الأهرام

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

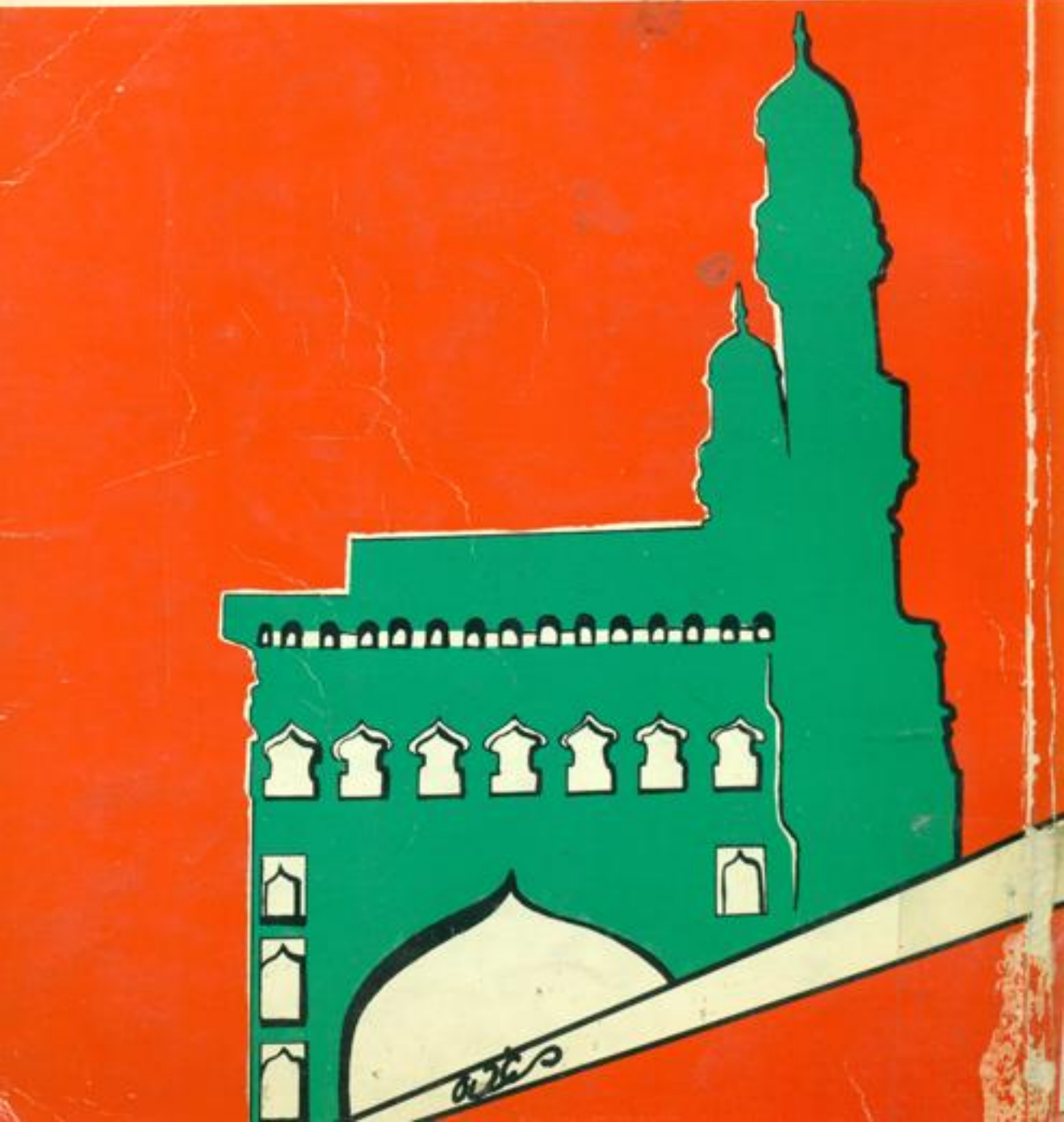

ارشيف المخطوطات
الجامعة تاسيس دار الحديث

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

(أسست في الهند سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م)
تصدر مرّة كل ثلاثة أشهر

(٢،٣)

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

الاشتراك السنوي للافراد 30 $ وللمؤسسات 50$

تطبع في بيروت وتوزع الى انحاء العالم :
ملتزم التوزيع : مؤسسة أيوب للتوزيع
شارع كليمنصو - بناية الأشقر - الطابق الأول
بيروت - لبنان ص.ب : ٦٣٩٣ / ١١٣
هاتف ٣٦٨٥٣٥ - ٣٦٨٥٣٨
كافة الاشتراكات ترسل إلى :
مجلة الموسم (محمد سعيد الطريحي) لبنان - بيروت - بنك ميكو (فرع شتورة) رقم الحساب : 07. 07. 01. 471659
تلكس رقم : 20729 Mebcgmle
Mawsem Magazne
MOHAMED SAEID TURAYHI
A/C No. 07. 07. 01. 471659
TELEX : 20729 Mebcgmle
MEBCO EAST BANKING Co. S. A. L.
CHTAURA BRANCH Lebanon

shiabooks.net

ملف عن
الدكتور الشيخ احمد الوائلي

رسمت ملامحي ليظلّ شكلي ... مع المضمون في قلب الكتاب
فجسمي سوف يبلى بعد حين ... وامحا مثل غيري بالتراب
وفوق الترب ليس يبين حُسنٌ ... ولا قبح لشيخ أو شباب
بلى سيظلّ من فعلي وقولي ... حضور رغم إني في غياب
فيا متأملاً رسمي ترحّم ... عليّ بيوم أُدعى للحساب
وقل ربي تلطّف في فقير ... لرحمتك الكبيرة والثواب

(أحمد الوائلي)

السيرة الذاتية

نسبه وولادته

هو الشيخ أحمد[١] بن الشيخ حسون بن الشيخ سعيد بن الشيخ حمود الليثي ، الوائلي ، النجفي .

ولد في النجف الأشرف يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٧ ، وبها تربى ونشأ مع شقائق النعمان تطل على ذلك الوادي الأفيح .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أُسرته

الليثي بفتح اللام وسكون الياء ، وفي آخرها ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى ليث بن كنانة[٢] ، وعلى هذه النسبة يؤكد مشائخ القبيلة ، ولها اليوم فروع كثيرة في الفرات الأوسط ، وناحية الحمّار ، من قضاء سوق الشيوخ ويعرفون بآل حطيط ، وقسم الحي ويعرفون بآل باش آغا ، وللّيثيين فروع تتصل بالموصل وبلاد الجزيرة وقديماً كانوا زعماء البطائح ـ بين البصرة وواسط ـ وكانت لهم ولاية البطيحة فيما قبل القرن الخامس الهجري وبعده ، وكان أبو علي بن أبي الجبر الليثي متقدماً في بعض نواحي البطائح وقد عصى أيام طغرلبك وهزم الجيش الذي أرسله السلطان لحربه ، وبقيت إمارتهم إلى ما بعد سنة ٥٥٦هـ[٣] .

---

(١) كانت عادة الطبقة العلمية في النجف ، أن يلجأ الآباء إلى القرآن الكريم لاختيار أسماء أبنائهم تيمناً بكلام الله تعالى ، ولما بُشّر ـ الشيخ حسون ـ والد الوائلي ، قرأ المأثور من الدعاء ، وفتح القرآن فاذا بالآية الكريمة «ومبشراً برسول من بعدي اسمه أحمد . .» سورة الصف ٦/٦١ فاسماه أحمداً ونعم الاستفتاح ، فان هذا اليوم الذي ولد فيه ١٧ ربيع الأول يوافق الرواية عن أهل البيت عليهم السلام بميلاد سرور الكائنات محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) ابن الأثير : اللباب ٣/٧٤ القاهرة ١٣٦٩هـ ، السيوطي : لب اللباب في تحرير الانساب/٢٣١ . وراجع ابن القيسراني : الانساب المتفقة/١٣٣ .

(٣) أكثر أخبارهم في الخريدة (قسم العراق) ، ابن الأثير ج ٩ ـ ١٠ وعن الكامل ابن خلدون ٤/٥١ ، زامباور ٢/٢٠٩ وبالجملة فان الأخبار عن بني أبي الجبر قليلة جداً .

والوائلي : بفتح الواو وسكون الألف وكسر الياء تحتها نقطتان وبعدها لام ، هذه النسبة إلى عدة قبائل تزيد على عشرة[1] ، والواقع أن صلة ليث ببني وائل غير واضحة تماماً ولعل مردّ ذلك لبعض هذه الأمور :

١ ـ لأنهم يجتمعون مع وائل بالجد الخامس .
٢ ـ لأن أمهم ـ زوجة ليث جدهم الأعلى ـ بنت بكر بن وائل مباشرة .
٣ ـ لكون لوائهم موحّداً .

وعلى كل حال فانّ بني ليث عرب اقحاح ، وآثارهم ، وتاريخهم ، واعلامهم تملء الكتب ، وتراود الوائلي فكرة إعداد دراسة عنهم تحت عنوان «منتجع الغيث في الصحابة والاعلام من بني ليث» وذكر لي أنه بدأ بأوّليّات الموضوع في العراق .

وفي النجف فان الأسرة الوائلية برز منها الكثير من العلماء والأدباء ، ومنهم :

ـ الدكتور ابراهيم الوائلي (١٣٣٢ ـ ١٤٠٨هـ) يعد من أساتذة الأدب العربي في العراق .
ـ ابراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الحسين الوائلي (ولد ١٩١٤) كاتب قدير وشاعر وأديب .
ـ عبد الأمير بن الشيخ علي بن محسن الوائلي (ولد ١٩٢٨) كاتب أديب فاضل .
ـ محمد تقي بن الشيخ موسى بن عبود الوائلي (ولد ١٩٠٦) أديب وفقيه .
ـ الدكتور فيصل بن قاسم الوائلي (ولد ١٩٢٢) يعد من علماء العراق وتولى منصب مدير الآثار العامة ببغداد .
ـ قاسم بن الشيخ محمد (ولد ١٩٠١) وكان من رجالات ثورة العشرين ، ومن الأدباء .
ـ محسن بن الشيخ علي بن حرج الوائلي (المتوفى ١٣٣٦) عالم فاضل زاهد عابد .
ـ باقر بن الشيخ محسن (المتوفى ١٣٥٤) من أهل العلم والصلاح .
ـ عبد الحسين بن محمد بن حرج الوائلي (المتوفى حدود ١٣٤٩هـ) كان من الأبدال الزهاد العباد .
ـ علي بن الشيخ محسن الوائلي (ولد ١٣١٧هـ) من علماء النجف وأهل الوعظ والإرشاد .

وغيرهم الكثير من الاعلام في النجف خاصة والفرات عامة .

---

(١) اللباب ٣/٢٦١ . والأعرجي : الفلك السائر . مخطوط الظاهرية الورقة ٧٤ .

أبوه

هو الأستاذ الخطيب الأديب الراحل الشيخ حسون الوائلي (١٨٩٠ ـ ١٩٦٣م) ولد في النجف وتوفي بها ، وكان تاجراً للحبوب قضى أكثر حياته في(أبي صخير)وهي موضع من مملكة الحيرة القديمة[١] ، ولما تزوج الشيخ محمد علي قسام[٢] شقيقة الشيخ حسون اتصل به كثيراً بحكم هذه المصاهرة ، وأقنعه الشيخ قسام بسلوك طريق الخطابة الحسينية ، فاكبّ الشيخ حسون على دراسة مبادىء العلوم العربية والاسلامية ، واستطاع بنباهته وغناه وحسن حالته أن يطوّر نفسه ويتفرغ للمطالعة لينمي ملكته الخطابية ، مستعيناً بالشيخ محمد علي قسام ، ويُلاحظ أن وعيه السياسي بدأ بالظهور باتصاله بآل قسام ـ الذين كانوا من ألدّ أعداء الاستعمار البريطاني ، فحُسب عليهم ، وساهم كخطيب باداء واجبه الجهادي في الثورة العراقية الكبرى ضد الانجليز سنة ١٩٢٠ ، وكان شاعراً مقلاً أيضاً له بعض القصائد في رثاء الحسين عليه السلام ، وجدة الشيخ حسون كانت من الأسرة العلمية النجفية آل قفطان الذين ينتسبون الى بني سعد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أُمه

هي الحاجة بيبي بنت الشيخ عواد بن محمد حسين بن الشيخ علي زيني النجفي ، وآل زيني أصلهم من جبل عامل (لبنان) كما ذكر الشيخ محمد السماوي في بحثه عنهم[٣] والشيخ علي زيني ـ المذكور ـ جد والدته هو الجد الأعلى للأسرة النجفية «آل جِدّي» الذين منهم الشيخ جابر والشيخ حسن آل جِدّي .

وكان الشيخ علي زيني (المتوفى ١٢١٥هـ/١٨٠١م) من كبار شعراء النجف باللهجة المحلية وهو صاحب المواليا الشهيرة في النجف والذي يقول فيه :

---

(١) أبو صخير تقوم على ١٨كم جنوب النجف ، و٥٣ كم غرب الديوانية (محافظة القادسية) ، وهي تقع على فرع صغير من فروع الفرات ، وتقع أطلال الحيرة القديمة على كيلومترين منها ، وأكثر مباني أبي صخير بالآجر المقتلع من آثار الحيرة .

(٢) الشيخ محمد علي قسام (١٢٩٠ ـ ١٣٧٣هـ) زوج عمّة الوائلي ، وللوائلي قصيدة في رثائه ، عُرف بخطيب ثورة العشرين ، لمواقفه الجريئة ضد الاحتلال ، وهو من العلماء العاملين ، والخطباء الواعين والشعراء اللامعين ، له عدة آثار ، وله ترجمة اضافية في شعراء الغري ١٠/٤٩ ، ونقباء البشر لآغابزرك ٤/١٤٢٦ وفيه ولادته ١٢٩٩هـ . وآل قسام أسرة عربية نجفية أصلها من قبيلة خفاجة ، وبرز فيها كثير من الأعلام انظر معجم رجال الفكر والأدب في النجف/٣٥١ .

(٣) مخطوط في مكتبة الوائلي ـ بخط ناسخه السيد محمد صادق بحر العلوم ـ رحمه الله ـ .

يا ميمرٍ دوم غوجك على العدا حماي
وانته لنار الحـرايب لو خبت حماي
ابـات خـايف بقلبي موجـد وحماي
من حيث سيف العدا لقلوبنا ورّب
والصمت منـا تخردل (ياعـلي) ورّب
من شيعتك بيش عنك تعتذر والرب
سماك حامي الحمه وتريدالك حمّاي

وللوائلي قربى من جهة أمه بالشيخ هادي بن شريف القرشي ، والشيخ باقر القرشي وكلاهما من الأدباء العلماء ، وأمهم بنت الحاج ابراهيم جدي شقيقة الحاج جابر جِدّي .

وعلى العموم فإنه عاش في ظل اسرته طفولة مرفّهة ما تزال صورها في مخيلته حية في ذاكرته ماثلة في ذهنه بما يحدثنا نفسه عن ذلك فاسمع قوله :

سل الطفـولة هـل مرّ الـزمان عـلى ... الـيـد منهـا ومن أيّـامهـا الأول
أيام نشتار من صبح يطلُّ عـلى ... ورد وليـل عـلى الألحـان منسـدل
نـظلُّ نـركب أحـلامـاً مجنحـة ... تـطير فينـا إلى الجـوزاء والحمـل
ونـرسم الليـل سعـلاة بـاعينهـا ... جمـر وجثتهـا السـوداء كـالجبـل
وكلنـا نتبـارى في بـطولتنـا ... إذا حكينا فما فينـا سوى بـطل
حتى إذا مـا انتهينـا من مـلاحمنـا ... وأسلمتنـا حكـايـنـا إلى الملل
عـدنـا إلى الـرمـل نبني منه أروقة ... ونصنـع الـطين من خيـلٍ إلى إبـل
وقـد يمـرّ شجـار ثم يعقبـه ... صلح ومـا ثَمَّ من غـلٍّ ولا دغـل
عـواطف في نقـاء الشمس نـاصعـة ... مـا إن تعـاملن في يـوم عـلى دغـل
يـا للطفـولـة نـوّار واخيلة ... مـزوّقـات وطهـر غـير مفتعـل

ويقول في أخرى :

عهـود الصبا يـاحلوة ان ذكـرتهـا ... فـإنَّ شفـاهي من حـلاهـا تفـطر
وعهـد الصبـا تـرنيمـةٌ اريحيـةٌ ... تـزوّق من أحـلامنـا وتعـطر
فيـا للصبا جفت لـدان غصونـه ... وعـاد يبيسـاً عـوده يتكسر

نشأته ودراسته :

نشأ في النجف على أبيه نشأة فاضلة ، كان فيها عزيز الجانب ، موفور الكرامة ، شديد الاعتداد بشخصيته ، قوي الأمل بمستقبله ، متفوقاً على أقرانه ، مع نباهة وذكاء حادّين ، وللحاضرة النجفية أثر كبير في نبوغه ، كونه خريج مدرستها الكبرى ، التي هي أقدم مدرسة للأدب العربي ، تلك المدرسة التي مشى إليها الموكب من جزيرة العرب إلى الحيرة ، ومنها إلى الكوفة ، ومنها إلى النجف ، وهي نسيلة الكوفة أو بقيّتها ، وما برحت النجف مورد اعتزاز الوائلي وفخره :

نجفي يـــا خميلةً في الفيـــافي وربيعـــاً يهـــتزُّ وسط محـــول
وتـــرابـــاً معنبـــراً لست أرضى عن حصـــاه نجم السَّما ببـديـل
يـامغـاني العـلا ويـامهبط الفكـر ومحـــراب نـــابغـــاتِ العقـــول
يـامهـادي الـوثـير يـوم قـدومي ووســاداً أرجـــوه يـــوم رحيـــلي
نـــام فيـــه أبي وشيخي وإخـــواني جميعـــاً في ظـلِّ حـامي الـدخيـل

وفي السابعة من عمره درس لدى الكتاتيب وحفظ القرآن الكريم ، وكان ذلك في مسجد الشيخ علي نوايهْ في سفح جبل الطمّة من محلة العمارة ، وكان شيخه آنذاك الشيخ عبد الكريم قفطان ، وبعد تعلمه القراءة والكتابة ، وقراءة القرآن الكريم ، وبعدما صلب عوده واشتد ساعده ، بدأ دراسته بشكليها الأكاديمي الرسمي ، والحوزوي الذي يعتمد على قدرة الانسان ونبوغه ومقدرته العقلية ، فجمع بذلك الفضيلتين ، واستفاد من التجربتين ، ففي الأولى أنهى الدراسة الابتدائية بمدرسة الملك غازي الابتدائية في النجف سنة ١٩٥٢ ، ثم دخل متوسطة منتدى النشر ، فكلية منتدى النشر ، وتخرج منها بتفوق ومن أقرانه في هذه المرحلة السادة : صادق القاموسي ، ومحمد حسن آل ياسين ، ومحمد رضا المسقطي ، وأحمد المظفر .

ولما تأسست كلية الفقه سنة ١٩٥٨ انتسب اليها ، وتخرج سنة ١٩٦٢ بحصوله على بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الاسلامية ، ثم أكمل الماجستير في نفس الاختصاص في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة بغداد ، وكانت رسالته بعنوان (أحكام السجون) ثم غادر إلى جمهورية مصر العربية ، حيث درس في كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، ونال درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٨ عن أطروحته الموسومة «استغلال الأجير وموقف الاسلام منه» .

وخلال وجوده في القاهرة لاعداد أطروحة الدكتوراه ، درس الاقتصاد في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية ، ومن أساتذته في هذا الاختصاص كان الدكتور علي لطفي ـ رئيس الوزراء المصري فيما بعد ـ يعلّق عليه الآمال الكبيرة .

وفي مصر حظي الوائلي باهتمام الفئات المثقفة من العلماء والأدباء ، لسعة ثقافته وخلقه السامي واجتماعياته ، ومن بين الاعلام الذين استأثر باهتمامهم الدكاترة والأساتذة : أحمد الحوفي ، وعبد الحكيم بلبع ، وتمام حسان ، ومصطفى زيد[1] ، ومحمد علي السايس ، وعبد العظيم معاني ، وبدوي طبانه ، وعلي الخفيف ، وغيرهم .

ولمصر في ذاكرة ـ الوائلي ـ أيام لا تنسى من الجهاد العلمي ، واللقاءات الأدبية المثمرة ، وما يتبع ذلك من تبادل في الخبرات وتلاقح في الأفكار ، وعلى حدّ تعبيره فإن مصر هي لسان الضاد المعبر ، ومنبعها الثر ، ووجه العرب المشرق :

ومصر كفاءات وحشد مواهب ... بكل مجال رائع عندها جذر
ومصر من الفصحى لسان معبر ... ومن غرر الأفكار منبعها الثّر
ومهد حضارات تصدّى قديمها ... إلى حدثان الدهر فانهزم الدهر
ونضّرها الاسلام فهي لوامع ... تموّج في أبعادها النُّور والنَّور
ومصر وأرض الرافدين توائم ... وما توأم إلّا لتوأمه شطر
يشدّهما عمق الحضارة موئلاً ... وينميهما للمجد من يحرب نجر
ومن فوق هذا شرعة الله وحّدت ... مسارهما فاستلحم الشفع والوتر[2]

أساتذته :

أما دراسته الحوزوية فقد بدأت بقراءته مقدمات العلوم العربية والإسلامية ، ثم تدرج في ذلك حتى انهى مرحلة السطوح وهي مرحلة متقدمة في الدراسة الدينية لجامعة النجف الكبرى ، وحظي خلال هذه الفترة بجمهرة من الأساتذة الأجلاء ومنهم أساتذته في العربية وعلومها :

---

(١) وقد أشرف على رسالته للدكتوراه .
(٢) من قصيدة يرحب بها بالكاتب المصري عبد الفتاح عبد المقصود ، ألقاها في حفل أقيم له في منتدى النشر ـ والوائلي رئيس المنتدى يومذاك ـ سنة ١٩٧٧ .

١ ـ الشيخ علي ثامر : (ت ١٩٦٤/١٣٨٤) من علماء النجف الأفاضل ، وهوَ والد الدكاترة : حسن ، وأحمد ، ومحمود آل ثامر ، وقد درس عليه المعاني والبيان وعلوم البلاغة ، والشيخ علي هذا أستاذ الشاعر محمد مهدي الجواهري في علوم البلاغة[١] ، وللوائلي قصيدة في رثائه تعبر عن شدة تأثره لفراقه ، وعن علاقته الروحية العميقة به ، ومما جاء فيها :

رسمتك في فكري فضاء بك الفكر ونحتك في شعري فجلّى بك الشعر
سكبت القوافي في رثاك من الشجى فمن لوعتي شطر ومن أدمعي شطر

ومنها :

رأيت الغنى فكراً يعيش وغيره وإن ملأ الآفاق من ذهب فقر
فما مات عيسى وهو يفترش الثرى ولا عاش قارون وأبوابه تبر
تهاوى رماداً ألف صرح ممرد وعاش على البردي في ألق سطر

٢ ـ الشيخ عبد المهدي مطر :

ولد (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) من شيوخ الأدب والشعر وأساتذة الفقه والأصول ، والوائلي كثير الثناء عليه ، توفي بعد ١٩٧٠ وله ديوان شعر كبير معدّ للطبع وكتب أخرى أكثرها مخطوط[٢] .

٣ ـ الشيخ هادي بن شريف بن مهدي القرشي :

ولد(١٣٤٣هـ/١٩٢٥م) ، كان عالماً فاضلاً جليلاً من اجلاء المشتغلين والمدرسين[٣] .

ومن أساتذته في الفقه والأصول :

٤ ـ الشيخ علي بن الشيخ محمد سماكة :

ولد سنة (١٣١٩هـ/١٩٠١م) أحد العلماء المجتهدين ، ومن أساتذة الفقه والأصول[٤] . توفي في الحلة بعد ١٩٧٠ وكان عالمها الأكبر ، ورافق الوائلي لدى دراسته لديه السيد صالح الخرسان .

---

(١) ديوان الجواهري ٨٢/١ طبعة دمشق .
(٢) راجع شعراء الغري ٩٧/٥ ، معارف الرجال ٤٨/٢ . ماضي النجف وحاضرها ٣٥٧/٣ .
(٣) ماضي النجف وحاضرها ٦٧/٣ .
(٤) مشهد الإمام ١٣٣/٤ .

٥ ـ السيد حسين يوسف مكي العاملي :

(١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ـ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) مجتهد وعلامة معروف[١] وهو والد الحجة العلامة السيد علي مكي العاملي ـ عالم الشام ـ المعاصر .

٦ ـ السيد محمد تقي بن السيد محمد سعيد الحكيم :

ولد (١٣٤١هـ/١٩٢٣م) من كبار علماء العراق المعاصرين ، عضو المجامع العلمية بمصر وبغداد ، من كتبه الشهيرة «أصول علم الفقه المقارن» .

وممن تتلمذ لديه في دراسة العقائد والفلسفة والمنطق :

٧ ـ **الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء** (ولد ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م) عالم محقق من أئمة الجماعة في النجف[٢] ، من كتبه : نقد الآراء المنطقية ، وجنة المأوى ، وغير ذلك ، ومن زملائه في الدراسة لديه : السيد رضا الخلخالي ، درسا لديه منطق المنظومة .

٨ ـ **الشيخ محمد حسين بن محمد المظفر** (١٣١٢ ـ ١٣٨١هـ) : من كبار علماء الأمامية ومؤلفيهم في النجف من كتبه : الشيعة والإمامة، الامام الصادق ، تاريخ الشيعة ، وغيرها[٣] .

٩ ـ **الشيخ محمد رضا المظفر** (١٣٢٢ ـ ١٣٨٣هـ) : العلم العلامة الجهبذ المصلح الكبير ، من أعلام النجف الكبار ومن أساتذتها الذين برزوا في أفكاره الاصلاحية ، وبث وسائل الدعوة داخل العالم الاسلامي وخارجه ، حضر مؤتمر باكستان ١٣٧٦ ، ومؤتمر جامعة القرويين ـ مراكش ١٣٧٩ وانتخب عام ١٩٦٣ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي ، من كتبه الشهيرة : المنطق ، وأصول الفقه ، وما تزال تُدَرَّس في جامعات النجف وايران والهند وباكستان[٤] ، كتاب أحلام اليقظة وحرية الفكر والإسلام وغيرها . والوائلي من أشد المتأثرين بأفكاره الاصلاحية ورافقه في كثير من مواقفه وأحداث حياته ونهضته ، وكان خليفته فيما بعد في رئاسة منتدى النشر ـ المؤسسة العلمية الشهيرة في النجف ، وقد نظم الوائلي رائعة في رثائه مطلعها :

أكبرت امسك أن يأسى عليه غد ولم يزل يرفد الدُّنيا بما يلد

ويقول فيها :

---

(١) له ترجمة ضافية في كتابنا المخطوط عن تراجم الرجال .
(٢) له ترجمة في دليل الجمهورية العراقية/٥٤٢ ، وماضي النجف وحاضرها ١٧٦/٣ .
(٣) ماضي النجف وحاضرها ٢٧٠/٣ ، شعراء الغري ٢٩١/٩ . طبقات أعلام الشيعة ٦٤٦/١ .
(٤) ماضي النجف وحاضرها ٢٧٤/٣ ، شعراء الغري ٤٥١/٨ ، طبقات أعلام الشيعة ٧٧٢/١ .

لا لن يموت نديٌّ منك مؤتلق بالنيّرات وللأمجاد منعقد
يا أيها النبع ثرّاً في تدفقه أيام أغزر ما في دهرنا الثّمد
ستون عاماً ضخاماً في حصائلها وان تبدّى قصيراً عندها العدد
ومن عطائك فيه ألف باسقةٍ شوامخ في نداها للسّما نُهُد
لا يأكل التُرب روحاً منك خالدةً بل كل ما للتُراب الشلو والجسد

١٠ ـ الشيخ محمد تقي بن الشيخ جواد الايرواني (ولد ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م) من العلماء الافاضل والفقهاء والأماثل .

أما في النصوص الأدبية ، فقد حضر لدى :

١١ ـ الشيخ محمد سعيد بن سلمان مانع (ولد ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢١) من الشعراء الأدباء ، من آثاره (أنيس الجليس في التشطير والتخميس) .

ودرس الفلك والهيئة لدى :

١٢ ـ الشيخ جليل العادلي . أما في الرياضيات والهندسة فقد حضر عند :

١٣ ـ السيد كاظم الحبوبي . وفي اللغة الانكليزية حضر عند :

١٤ ـ السيد كاظم كشكول .

وفي الخطابة تتلمذ لدى نخبة خيّرة من مشاهير خطباء عصره وهم :

١٥ ـ السيد باقر السيد سليمون .

١٦ ـ الشيخ مسلم الجابري .

١٧ ـ الشيخ محمد علي قسام .

١٨ ـ ولابد من الاشارة هنا الى حدث هام في حياته الدراسية ، ذلكم هو تحمله المسؤولية الدينية بالانصراف الكلي والتوجه التام للخدمة الدينية بارتدائه (العمامة) والعلماء في النجف يرشحون لذلك من يتوسّمون به الكفاءة والمستقبل المشرق ، وبعد أن يأخذ الطالب شطراً كبيراً ويقطع شوطاً طويلاً ، في ضبطه لمقدمات العلوم وتحليه بمكرمات الطباع والآداب ، لاكما نرى في أيامنا هذه ، حيث يتلقف العمامة ويتوج بها نفسه كل من هبّ ودب جرياً وراء المنافع الدنيوية والاطماع الدنيئة فيشوّهوا بذلك صورة الدين لدى الناس :

وأهوى العمائم تطوى على نهى راجح يذبلاً أو شماما
وأما اذا كوّرت والرؤوس بغير نهىٍ فاقرئوها السلاما

ويقتـــــلني منفق عمـــــــره عـــلى العلم يفنيه عـاماً فعـامـا[1]
ليصلح دنيـــــاه في دينـــــه ويـدعى بنـا حجـة أو إمـامـا

ينتقد الوائلي هؤلاء المرتزقة ممن تشبهوا بزي أهل العلم من وعاظ السلاطين وطلاب الدنيا انتقاداً مراً وينعى على الحوزة احتضانها لامثالهم :

وفـــريق تيمموا عتبـــة الأسيـــاد في حقـــــل سيـــــد ومســـــود
ربضـــوا حـــولهم كـــما كـــان أهـــل الكهف فيـــه وكلبهم بالوصيد
لفـــظتهم شتى المجـــالات إذ ضـــاقت بهم بـــلاهـــة وجمـــود
فـــاســـتراحـــوا الى التفيؤ بـــالحـــوزة أكـــرم بـــظلهـــا الممـــدود
فـــاستراحـــواء فـــطاحـــلاً في شهـــور واستـــطالـــوا هيـــاكـــلاً من جليـــد
واستفـــــادوا مضـــــيرة وسمتهم بشعـــــار في جبهـــــة أوفـــــود
فتبـــدى عـــلى الـــوجـــوه وســـام فيـــه نـــور من الحيـــاة الســـود
وتهـــامت سخيـــة بـــركـــات من خـــداع قبئس دنيـــا القـــرود

لذلك فيجب صيانة هذا الشعار المقدس من يد العابثين وضحكة الهازئين ، ووجب على اهلها الحقيقيين أن يتنبهوا لذلك ، وأن يصونوا (العمامة) من الجاهلين المنتحلين ـ والوائلي ـ من أوائل الذين نبّهوا الى ذلك عبر خطاباته المتكررة إلى الامة ـ لأنَّ الوائلي ادرك بحكم بصيرته ، وتسنمه كرسي الخطابة الحسينية والمعرفة الواسعة في علوم أهل البيت في انه قد وصل الى ماوصل اليه من الرفعة والسمو كان عبر تدرج طويل ، وصبر ومعاناة كان قد بذلها لأجل ذلك ، وذلك ماتفاءل به اساتذته ساعة توّجوه بالعمامة النجفية ، يوم ان تقدم العلامة الشيخ محمد الشريعة ليضعها على رأسه وسط حفل بهيج اقيم في مبنى منتدى النشر وسط جمهرة واسعة من أهل الفضل والأدب ، وذلك حدث لن ينساه الوائلي طيلة عمره ، لأنه اصبح منذوراً لخدمة الدين منذ تلك اللحظة ؛ وتسلم الامانة المقدسة التي يحرص على الوفاء لها بروحه ويحلو لديه بذل نفسه في سبيلها .

عصر الوائلي

من العوامل المؤثّرة في صياغة شخصية الوائلي ، هو عامل المجتمع الذي عاصره فالوائلي ابن النجف الأشرف ، نشأ في محيطه تربية وتعليماً ، والنجف من أعرق البيئات الثقافية الاسلامية قدماً ، يقول الدكتور على جواد الطاهر :

---

(١) الأبيات للمرحوم محمد علي الحوماني .

«النجف مدينة العلم الديني المنقطع النظير ، ثم الأدب والشعر ، وهي فيهما نادرة من النوادر واعجوبة من الأعاجيب ، يُعني أهلها بقول الشعر وسماعه والحديث عنه عنايتهم بالمسائل اليومية من أكل وشرب ، انهم أدباء كما يتنفّس المرء الهواء . . ولاتسل بعد ذلك ـ عن الكتب والمكتبات ، والأسر العريقة في العلم والأدب والشعر ومجالسها الخاصة والعامة ، ومايُتلى من شعر في الأفراح والأحزان ، وفي مآتم الحسين بن علي ومايتفاخر به الشعراء ويسمر به الناس . .

إن الشعر في النجف حياة ، وهو لدى ابنائها ولا أسهل منه أو أيسر ، أو أنه فيها كالماء والهواء استسهالاً واستعظاماً ، جداً وهزلاً ، وهو مجد كما هو مرتزق ، وعلامة فارقة لاتكاد تضاهيها فيه بلدة اخرى في العالم العربي . .[1]

ومن خواص النجف التي تذكر بالاكبار انها سايرت التطورات الدينية الأدبية في العالم العربي ، بصدر رحب وأفق واسع فهي مع محافظتها على أصالة الفكر الاسلامي لم تتزمت فترفض المعاصرة ، وإنما أخذت من وسائلها وأسبابها ما رأته الضروري النافع حتى «أنّ الكتب الحديثة ما تكاد تدخل العراق حتى تتجه رأساً الى النجف فتتلقفها الأيدي هي وكتابات أكثر حداثة كشعر شوقي وحافظ وإيليا أبي ماضي ، وفيهما مايناقض الفكر النجفي المناقضة كلها ، وهو رد فعل يتبناه الذين ضاقوا بالقديم وبلغ بهم الضيق الطرف الأقصى من رد فعل مطبوعات الأستانة ، والهلال ، والمقتطف ، وشبلي شميّل والريحاني . . ومجلات وجرائد مما يعد حراماً وكفراً والحاداً . .[2] .

على كل حال نشأ الوائلي في هذا العصر الذي يعتبر قمة في نضج وسعة المدرسة العلمية النجفية في مختلف أبعاد المعرفة ، وكان من عناية الله تعالى بالحوزة أن تتابع جيل من المراجع المحققين والعلماء الكفوئين لقيادة الحوزة ، وقد ضمت هذه الفترة على تعاقب واجتماع :

الميرزا حسين النائيني ، والسيد أبو الحسن الاصفهاني ، والسيد محسن الحكيم ، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، والسيد أبو القاسم الخوئي ، والشيخ محمد حسن المظفر ، والسيد عبد الهادي الشيرازي ، والسيد حسين الحمامي ، والسيد محمد تقي آل بحر العلوم ، والشيخ محمد رضا آل ياسين ، واضرابهم من فحول العلماء الاعلام ، وهؤلاء مجرد نموذج لا على نحو الاستيعاب ، وتليهم طبقة أخرى صمّت مجموعة ، منهم :

الشيخ مرتضى آل ياسين ، والشيخ محمد رضا المظفر ، والسيد موسى آل بحر العلوم ،

---

(١) مقدمة ديوان الجواهري ٣/١ دمشق ١٩٧٩ .

(٢) نفس المصدر ٦١/١ـ٦٢ .

والسيد محمد باقر الصدر ، والسيد محمد تقي الحكيم ، والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي ، والسيد مرزا حسن البجنوردي ، وأمثالهم ، وهذه المجموعة هي الأخرى مجرد نموذج من عدد كبير .

وحفل عصره أيضاً بعدد من الخطباء المبرزين ، منهم الشيخ محمد علي اليعقوبي ، والشيخ محمد علي قسام ، والسيد صالح الحلي ، تليهم طبقة اخرى نسجت على منوال السابقين ممن ذكرناهم من الأدباء والشعراء فيشكلون كمّاً كبيراً لهم طابعهم النجفي الخاص ، وأدبهم الناضج والرائد ،ابتـداءاً من شيخ الأدب الشيخ محمد جواد الشبيبي ، والشيخ محمد رضا الشبيبي ، والشيخ علي الشرقي، والشيخ محمد مهدي الجواهري، والسيد محمد سعيد الحبوبي، . والشيخ صالح الجعفري ، والدكتور عبد الرزاق محي الدين ، وكثير غيرهم ممن صقلت بهم أبعاد النجف الحضارية ، ومن الجدير بالذكر أن معظم أهل العلم شعراء ولكنهم لايرغبون بذكر ذلك عنهم لرغبتهم في الاحتفاظ بالنهج العلمي والاشتهار بذلك ، أما المحققون في الابعاد الفكرية الأخرى فيوجد أعداد كبيرة ، ورد ذكرهم في كثير من الموسوعات والمراجع المتخصصة[1] ، ومن أراد الاستزادة الرجوع اليها لأن النجف وبالاختصار كل زقاق من ازقتها معهد علمي ، وكل ناد من انديتها ومجلس من مجالسها هو عبارة عن مؤسسة ثقافية تحفل بعطاء علمي ناضج .

ومثل هذا الجو لابد أن يفعل فعله في شخصية الوائلي ، فقيهاً كان أو شاعراً أو خطيباً ، ويعمل على صقله وتهذيبه ، وبالتالي تكوينه بالشكل اللائق ، ولاشك أن للاستعداد الفطري لديه أثر في توجهه وحرصه على الانتهال من هذا الغدير الذي يحمل سمات المعلم الثاني بالوجود الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن قدس روحانية مرقده السامي الرابض كالأبد على الذكوات البيضاء من الغري الأغر ، ومن فيض نفحاته وبركاته أن عايش الوائلي وأقرانه هذه الأجواء الرائعة التي قد لايجود الدهر بمثلها ، وعاصروها وتفاعلوا معها فكراً وعقلاً وروحاً ، واستطاعوا أن يعطوا ، ويؤثروا في الأوساط العلمية والاجتماعية ، وللنجف في شخصية الوائلي أثر بليغ محفور في ذاكرته ، ورنين يومي أبدي الحضور في شعوره وتصوراته ، يُملي على ذاته تمثلها في حركاته وسكناته ، ولم تزده الغربة إلاّ تعلقاً وتولّهاً وهياماً وشوقاً مضرم اللهب ، جياش العواطف ، لن يهدأ ولايستكين :

---

(١) راجع مثلاً : ماضي النجف وحاضرها (١ـ٣) ، شعراء الغرب (١ـ١٢) ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام للأميني .

صـــور أقمن بمقلتيَّ اقامـة المعمود في ربـــع الحبيب النـــائي
يـزددن حسنـاً كلما بعـد المدى ويلفهنَّ البعـــد في لألاء
وتـــراب أوطـــاني ربيـــعٌ أخضر ولـــو أنها في بلقـــعٍ جـــرداء
صـافحتـه بـالخَـدِّ[1] عنـد ولادتي ورسمت منـــه بجبهتي طغـــرائي

* * *

(وادي الغري) وحق رملك وهو ما اشتـــاقـــه في غـــدوتي ومســـائي
لـو تستبين على البعاد مشـــاعري ملهـــوبـــة كـــالجمـــر في الـــظلماء
وصبـــابتي وأنـــا القصي عن الحمى وبمقلتي تلفّت الغـــربـــاء
لحـــــزنت لي ولحنَّ رملك مثلما ضج الحنين بأدمعي ودمائي
فـــأنـــا ابنـك الـبرّ الـوفي وفـطرة عـــطفُ الأب الحاني عـلى الأبنـاء
أتـــرى وطيفـــك يستبـــد بمقلتي انســـاك لا ورمـــالـــك السمـــراء
فـــأنـــا لهيب مشـــاعـــر وصبـــابةٍ تـــواقـــة لقبـــابـــك الشَّـــماء
وإلى محـــاريب العبـــادةِ والتقى ولخشعـــــةٍ من راهب بكَّـــاء
أمـــا مـــدارســك التي رقت بهـــا للفكـــــر الف خميلةٍ غنّـــاء
أنـا من طيـوف خيلهـا أشدو بمـــا في روضهـــا من روعـــةٍ وبهـــاء
وبـــطن تربـكِ لي جـذور أوغلت من أعـــظم الاجـــداد والآبـــاء
ممن أراق دمـــاً وأسرج فكـــرةً من أجـل مجدكِ دونمـا ضـوضـاء
وبـــراعم لي في حشـــاكِ دفنتهم كـانـوا النسيج البكر من أحشـائي
وأريت فيهم للطفـــولـــة بسمـــةً ودفنت فيهم بهجتي وهنـــــائي
فلديـــك أصـــل والفـــروع وانني أنـــا لاحق بهـــا بـــدون مـــراء

والفتى ، يجوب فعلاً مراتع النعمان بن المنذر ، ويستظل بغرياته ، ويتفيأ شقائقه ، ويفترش شَيْحه وقيصومه ، في أجواء لم يغادرها الشعر قط ، حَيّة نابضة بأصداء الأعشى الكبير ، وعدي بن زيد العبادي :

---

(١) عُرفت النجف قديماً بخد العذراء ، وهي التفاتة ذكية من الوائلي ، لم يطرقها قبله أحد من النجفيين ، ويرد في شعر الوائلي كثير من أسماء المواقع الأثرية التي تربى في ظلها كآثار دولة المناذرة ، وقصورها ، وأديرتها ، وذلك بتأثير الصورة التي انطبعت في صباه يوم كان والده يُكثر التردد على الحيرة القديمة ـ بحكم عمله التجاري ، وذاكرة الصبا لا تُنسى .

وللدوالي بـأريـاض السـديـر بهـا طيف من ابن عديٍ أو شذى دَعَد
وديـر هنـد وقـد مـرّت كـواعبـه تمشي الى الكـرح في دلٍ وفي أود
حيث الشعـانين تستهـدى مواكبـه طـريقهـا بنهـود للسُّـما نُهُد
وحيث يمـزج ثـرواني خُمـرتـه بالخمر حين ابتغى ماءاً ولم يجد
لكـوفة الجند أطياف الكميت بهـا ونـدة ثقـة في المتن والسنـد
لسـامـر المتنبي العبقـري لـدى ربـوع كنـدة بـالنقـاد محتشـد
لـرملة النجف السمـراء ضـاحكـة أبعـادهـا بـالأصيـل الحلو والـرأد

ما دمنا في مجال دراسته يحسن بنا الاشارة الى منهجيتها ـ ولو بصورة عابرة ـ ذلك أن الوائلي لم يقتصر على الدراسات المذكورة بل واصل فيها التحصيل الذي يتطلبه موضوع الخطابة الحسينية ، والذي يحتاج فيه الخطيب الى تحصيل موسوعي نظراً لحاجة المنبر لمجموعة كبيرة من المواد العلمية .

ومن المفيد هنا الاشارة أيضاً الى أن كلاً من الدراسة الحوزوية ، ومناهج المنبر الحسيني في هذا العصر كانت تتسم في جو شديد من المنافسة تتميّز به مدرسة النجف العلمية في أصالتها وعمقها ، ومايلاقيه طالب العلم من صراع في سبيل تحقيق ذاته ، وإثبات وجوده ، ولا دور في مدرسة النجف إلاّ للموهوبين الذين يمنّ الله تعالى عليهم باستعداد خلقي بالاضافة الى جد في السعي والتحصيل ، وحلقات تتبارى فيها الكفاءات من اساتذة لامعين يحرص كل منهم على انتاج مميز يساجل به الآخرين مما يعرفه من طلاب العلم في الاسر العلمية في النجف ، وكذلك بجيل مميز من الخطباء حقق نقلة في المنبر الحسيني من مجرد كونه محركاً عاطفياً يعتمد على اثارة الشجون والحزن لمأساة الطف ، الى مرحلة حفلت بالسرد التاريخي وربط الحوادث بعظات وعبر وشيء من العقائد والاحكام توضع في إطار أدبي ، ومنهج من مفرداته النصوص الأدبية بقسميها الشعر والنثر وسير الصالحين والعظماء ، وكانت المرحلة بالنسبة للوائلي حافزاً له على استثمارها وبناء الأسس عليها منطلقاً الى ماهو أوسع وأشمل ، ومعتمداً في ذلك على امكاناته العلمية لتحقيق ذلك وفق قنوات منهجية وعلمية ، ونجح الوائلي في ذلك نجاحاً عريضاً ، وسرعان ما امتد صيته الى الملايين من أبناء الطائفة في العالم العربي والمهجر وبالطبع فليس من السهل نجاح مثل هذا الأسلوب الذي عرف به الوائلي ، لأن مستمعي المنبر يختلفون في وضعهم الثقافي ، ويتنوعون من امىّ الى جامعي ، فلست تملك قدراً جامعاً يرضي أذواق هؤلاء مالم تتنوع المعلومات ، ويتم اختيار منهج لبق يوازن بين حاجات هؤلاء في انسجام وربط ذكي ، وذلك ماوُفق فيه الوائلي الى حدٍ كبير مع ماتميز به حضوره من جرأة أدبية عالية ولباقة نادرة وبديهة

حادة ، فطفق شعاع مجالسه الثرة يخطف أبصار المعجبين ، وأخذ سحر بيانه يستولي على ألباب المؤمنين ، وطار صيته في كل المرابع والنوادي واشتهر أمره في الحواضر والبوادي وبذلك تسنم عرش امارة الخطابة الحسينية بحق وحقيقة ، فهو اليوم أمير المنبر الحسيني بلا منازع ، ولايجادل في ذلك إلا معاند أو جاهل ، وذلك من الله لطف وتدبير بل هو فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده ، فبورك للوائلي امارته في رحاب سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام .

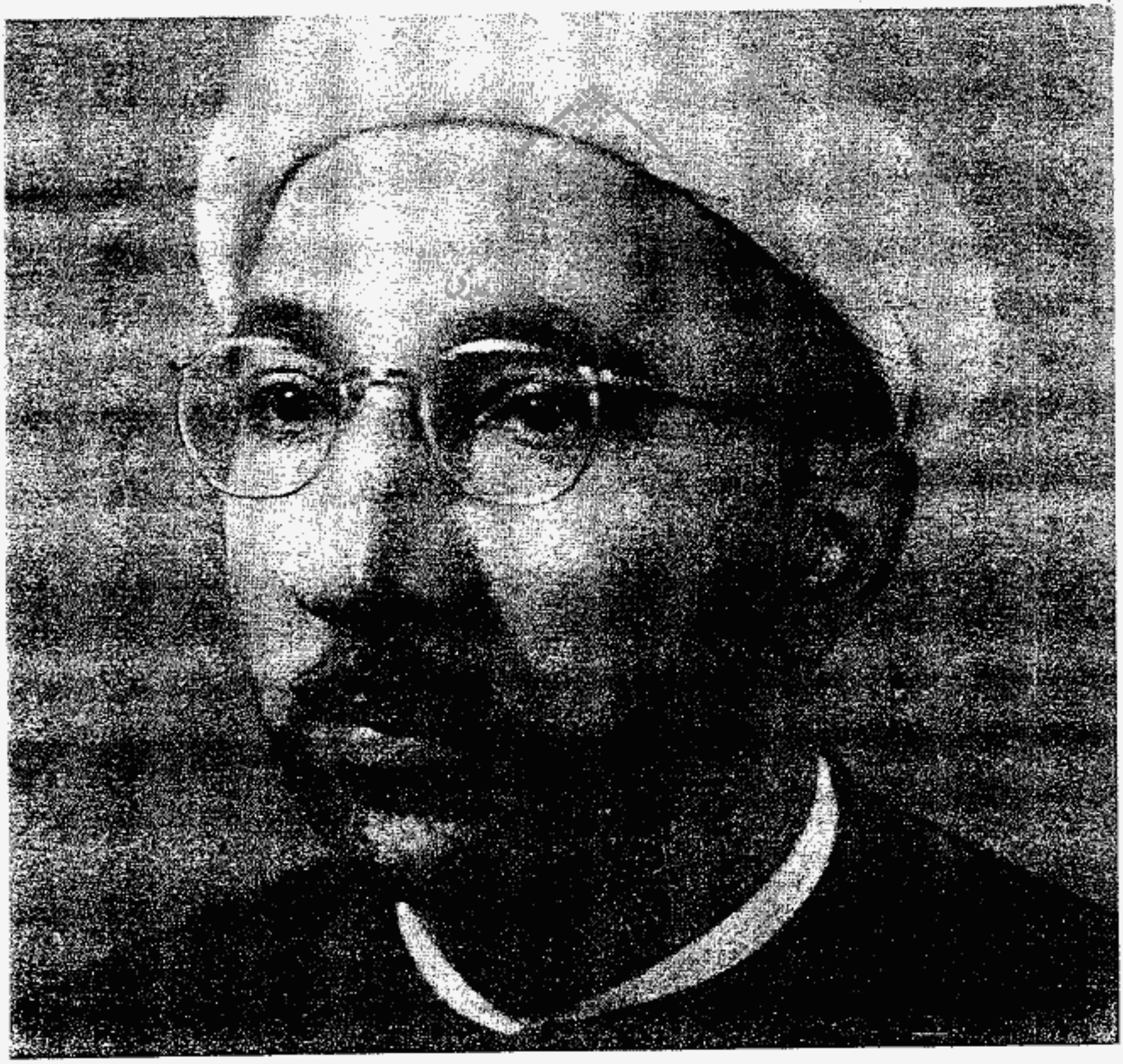

* الوائلي كما يبدو منذ نحو ربع قرن

لقطة من الماضي

شباب الدعاية للقضية الحسينية

وردتنا رسالة من المجر الكبير في لواء العمارة تحت العنوان المذكور وقد وقّعها الذوات الآتية أسماؤهم :

ارحيمه العبود . حاج راضي . عبد علي الشاوي . يوسف حسن رشيد . يحيى عبد الحسين . فرحان الكناني . حسين حاج علوان . جاسم حاج عفاره . مهدي كريم .

وقد رفعوا الرسالة الى المعهد العلمي الكبير (منتدى النشر) في النجف بالنظر لقيامه بتخريج طائفة من الشباب الحي للدعاية الحسينية وأحد المثل الذي قدّمها الاستاذ الشيخ أحمد الوائلي الذي عنوه بهذه الرسالة وإليك نصّها :

لما كانت نهضة الحسين غير محدودة في عالمها ولا تخص أي فريق من البشر فهي قضية انسانية يعود مغزاها لصالح الناس أجمع تحتم على ذوي النبوغ ورجال العلم وأبطال العمل أو يوجههوها بما يستدعي وضع العالم اليوم من تطور وتقدم في الفكر والعمل ، ويكفينا هواناً أن نرى بشراً مثلنا قد ركب الجو فطار وارتقى ، وامتطى البحار فخاض وطوى ، وذلل شامخات الجبال فطأطأت لهمته خضوعاً ، وبقر الأرض في التعدين ، سير الحديد فركب ، وكام المعادن فطرب ، واستخدم البخار فاستفاد . ألم يكن منا أن نحسن القول ونفهم كيف تأدية المقصود والوصول إلى أهدافنا الروحية ودعايتنا الدينية بأن نكيف المشاعر ونأخذ بمجامع القلوب ونوضح الأهداف التي رمى إليها الامام الحسين بأسلوب موفق يتلائم ولغة الجيل اليوم وقد ظهر اليوم بصيص من هذا الخواطر فتجلّى في أشخاص نخص منهم الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي الذي متعنا بمحاضراته هذا العام (١٩٤٦) والذي يصح لنا أن نعبر عنه بأحد أعضاء (شباب الدعاية للقضية الحسينية) وختاماً نرجو من الله أن يتحفنا بأمثال هذا الشاب الفاضل كما نرجو أن تتفضلوا بنشر هذه الرسالة لتكون معربة للملأ عن شكرنا وإكبارنا للوائلي ودمتم سيدي للأدب والعلم حارساً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لجنة التأبين الحسينية في ناحية المجر الكبير

«نشرت في مجلة البيان ـ النجفية . السنة ١ العدد ١٥ (١٩٤٦)»

رئاسته لمنتدى النشر :

عمل الوائلي في المنتدى منذ تأسيسه ، وعايشه تلميذاً وأستاذاً وأصبح سكرتيراً له عام ١٩٧٠ ، وفي عام ١٩٧٦ انتخب رئيساً لهذه المؤسسة الفكرية العريقة الذي وضع لبناتها الأولى وشاد صرحها العظيم ، العلامة الراحل الشيخ محمد رضا المظفر ، بالتعاون مع جماعة من العلماء والأدباء المعروفين في النجف ، ومنهم : «السيد يوسف نجل الإمام السيد محسن الحكيم[1] ، السيد محمد تقي الحكيم ، الشيخ محمد رضا فرج الله ، الشيخ مسلم الجابري ، السيد جواد شبر ، السيد عبد الحسين الحجار ، الشيخ محمد صادق القاموسي ، الشيخ عبدالله السبيتي ، الشيخ عبدِ المهدي مطر ، السيد محمد صادق السيد مهدي الصدر ، السيد محمد جمال الهاشمي ، الشيخ محمد حسين المظفر ، الشيخ علي سماكه ، السيد هادي فياض ، السيد محمود الحكيم ، الشيخ محمد طه الحويزي» مع تعاون نخبة من رجال المال والإدارة كالحاج رؤوف شلاش ، والسيد هاشم الصراف وغيرهم وكان التأسيس سنة ١٣٦٧ وارخ ذلك الشاعر الشيخ محمد حسين بن يونس المظفر المتوفى سنة ١٣٧١هـ بقوله :

بـــا بنفسي عصـــابـــة أخـــذتهم غـــيرة الـــدين مـــذ رأوه تفـــرنـــج
فـــأقـــامـــوا بنـــاءه لبنيـــه فهـــو من طيب نشره يتـــأرّج
بلواء ديننـــــا الحنيف ارخ (منتـــدى النشر جـاء للحق منهـــج)

واستطاع المنتدى أن يثبت وجوده وسط معارضة شديدة من زمرة الجهل والتخلف والتقاليد والأعراف المتوارثة الجامدة التي كان يثيرها كل من تضرر من الأفكار الاصلاحية التي طرحها المنتدى[2] ، لكن القافلة استمرت في سيرها المتزن ، فنالت استحسان الجمهور الواعي ، وكان مرجع عصره السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني في مقدمة المؤازرين والمؤيّدين[3] .

وبلغ الاستحسان مسامع الشعراء وأثار قرائحهم ، ورأوا في المنتدى تحقيق الآمال والمآرب ، والطريق القويم نحو تحقيق النهضة والرقي والاصلاح ، فهذا الشيخ محمد علي اليعقوبي يقول :

---

(١) وكان من أعضاء المنتدى النشيطين الأوائل راجع العرفان المجلد ٢٧/٤٢٩ (سنة ١٩٣٧) .
(٢) انظر نظام منتدى النشر ، المطبوع في النجف سنة ١٩٥٥ ، في ٤٠ ص ، مع ملاحظة النشاطات المكثّفة والأفكار المتجددة التي تحفل بها مجلة البذرة ومجلة النجف وكلاهما لسان حال المنتدى .
(٣) مجلة العرفان ، المجلد ٣١/٥٧٨ سنة ١٩٤٢ .

سما المنتدى فضلاً على كل معهد ... لذلك أضحت تشكر الناس فضله
حذا حذوه بالجد والسعي فرعه ... ولا عجب أن يتبع الفرع أصله
ألا أيها النشيء الذي سار راقياً ... بأوج المعالي مرتقى ما أجلّه

وهذا الشيخ محمد جواد الغبّان منشداً :

منتدى النشر وكم من نهضة ... أحدثت في عالم الفكر انقلابا
منتدى النشر ، اسلمي باقية ... فلقد حققت للجيل الرغابا
سرت بالنشر إلى آماله ... فجنى منها الذي لذّ وطابا
أنت قد أنقذته من بعد ما ... انشب الطيش به ظفراً ونابا
تلك أعمالك لا تحصى وهلْ ... أحد يستطيع للنجم حسابا
هي أعمال تسامى ذكرها ... فرواها الدهر أنغاماً عذابا

وفي غضون هذه الفكرة الموجزة عن المنتدى تتضح أهمية هذه المؤسسة في بلد يزخر بالتيارات الأدبية والعلمية ويضج بالصراعات المختلفة ، وأمامها وقف المنتدى يناطح ويكافح حتى ثبت جذره وشاع ذكره وسار بين الركبان أمره وعاش الوائلي في خضمها فتقاذفته أمواج الصراع بين القديم والجديد ، ولاقى مؤسسها الحجة الراحل ومؤازرونه الكثير من الأعباء ، وفي العام ١٩٦٣ تجدد الطيش والبلاء وتعرض المنتدى لهزات عنيفة في محيطه ، وبقي الوائلي على إخلاصه له بل وصرح بذلك ـ لا خائفاً ولا وجلاً ـ عبر قصيد دافق ضمنه دفاعه المستميت وثورته الصارخة في وجه أعدائه فاسمعه قائلاً :

نجّاك عبر التيه أنّك بيرق ... ووقاك عند الموج أنّك زورق
لا ترهبي أن يغرقوك بضجة ... فأبوك عهدي سابح لا يغرق
شدّت بكاهله الخطوب فأدّها ... ثقلاً وما أدّته سود تطرق
ورمته أمٌّ بالعقوق فكذبت ... كفٌّ تذود وفكرة تتألق
المسرج الأذهان يطعم جوعها ... قلباً على اللهب المقدّس يحرق
والمنكر الذّات التي لو رامها ... لتضخّمت ذات واخصب مرفق
لكنّ ذات العاملين وجودها ... هدف وإن وعر الطريق يحقق
ولتنمحي من بعد ذلك ذاتها ... ما عاش رقم بالمكاسب ينطق

* * *

غُذّي فإنّ الدرب يعرف من مشى ... متشأب الخطوات ممن اعنقوا
إن الذي نبزوك حين تبيّنوا ... رجعوا إليك وكذّبوا ما لفّقوا

رفقـــاً بعـــاقـــرة تهـــزُّ بمهـــدهـــا خلواً لتهـــــرب من فـــــراغٍ يقلق

وبهذا النفس المفعم بالآمال الكبيرة المعلقة على جمعية منتدى النشر استلم الوائلي منصباً خليقاً به فماذا حقق من ذلك ؟

والحق أقول أن المنتدى شهد في زمانه نهضة موفقة ، بعد فترة ركود نسبي بعد وفاة عميده ومؤسسه العلامة المصلح الشيخ محمد رضا المظفر ، فشجع الوائلي بمؤازرة أعضائه الاعلام إقامة الندوات الثقافية ، ونشرت مجموعة لا بأس بها من كتب التراث الاسلامي ، وشهدت النجف على عهده أول معرض للكتاب النجفي ، وشيّدت كلية الفقه التابعة للمنتدى تشييداً جديداً رائعاً يليق بها وعودلت الشهادات التي تمنحها الى المستوى الرسمي الأكاديمي ـ وإن كان تستحق أكثر من ذلك . . وغير ذلك من النشاط المثمر ، ولو استمر به الحال وسلم من الأهوال لا ينعت غرساته ، وأثمرت ادارته من الطيبات أضعافاً مضاعفة .

شاعرية الوائلي

إلى جانب ما كان للوائلي من أثر في الخطابة الحسينية عالج قرض الشعر ، على طراز واسلوب شعراء (النجف) الأقوياء ، ولذا اشتهرت بعض أشعاره بين طبقات الشعب ، وتتابعت روائعه تروى بين طلاب الأدب وعشاق الشعر ، ولنبدأ بحكايته مع الشعر منذ البداية ، فالنجف كما قدمنا مدينة شاعرة ، والشعر لدى أبنائها سهل يسير ، والوائلي أحد هؤلاء الذين نشأوا في بيئتها الشعرية الخصبة ، وتأثر بمحيطها الشعري العام وتربّوا في ظل نهضتها العلمية والأدبية المتزنة . فأخذ يعب الشعر من مجالس النجف ومنتدياتها منذ صغره ، ثم طفق يقرأ لمجموعة كبيرة من الشعراء المتقدمين مثل شعراء العصر الجاهلي جميعاً ، ومن العصور اللاحقة قرأ وحفظ لكل من :

المتنبي ، والبحتري ، وأبي تمام ، ومهيار الديلمي ، وابن حيوس ، والوأواً الدمشقي ، والفرزدق ، وجرير ، والكميت ، ودعبل الخزاعي ، والعرجي ، والشريف الرضي ، كما قرأ الترجمات المتوفرة لاشعار عمر الخيام وسعدي الشيرازي .

ومن المعاصرين : أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومعروف الرصافي ، وجميل صدقي الزهاوي ، ومحمد مهدي الجواهري ، ومحمد سليمان الأحمد ـ بدوي الجبل ـ وتأثر بشعراء النجف ـ بالاضافة إلى الجواهري ـ الشيخ محمد جواد الشبيبي ، ومحمد رضا الشبيبي ، وعبد الرزاق محي الدين ، وكان لتفاعله مع الوسط الأدبي النجفي الأثر البارز في الفكرة والعاطفة المتدفقة في شعره ، حيث عاش الوائلي أحداث عصره الاجتماعية والسياسية برهافة في الحس ،

وعمق في الوعي ساير التطورات الفكرية وتابع أساليبها ومادتها ومناهجها ، وقد تركت الأحداث العاصفة التي مرّت بتأريخ العراق المعاصر بصماتها واضحة في شعره ابتداءاً من ثورة العشرين حتى الوضع الراهن إذ ولد الوائلي وثمان سنوات مرّت على الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، من غير أي نتيجة تذكر ، صحيح أنه لم يعاصر هذا الحدث السياسي الضخم الذي حدد مستقبل العراق فيما بعد ، لكنه عاصر الموجة الغاضبة من اليأس التي أعقبت الثورة وتلبدت بها قلوب العراقيين حيث ربح ثمار الثورة غير أهلها وكسب خيراتها الأعداء من النفعيين والمتفرّجين ، بينما نرى الفراتي المقاتل والمضحي قد خاب أمله المنشود حيث انتقم الانجليز لرجالات الثورة وجنودها وأهلها :

ففي (الرميثة) من هاماتنا سمة ... وفي (الشعيبة) من أسلافنا نصب
و(العارضيات) أمجاد مخلدة ... أضحى يحدّث عنها الدهر والكتب
فالجو طائرة والأرض قنبلة ... وبالجهات البواقي مدفع حرب
وخضت بحراً دماء الصيد ترقده ... وما السفائن إلا الضمر العرب
ثم انجلت وحشود من احبتنا ... صرعى على القاع تسفي فوقها الترب
فذا قوام وكان الغصن منكسر ... وذاك وجه وكان البدر محتجب
وتلك امّ يلفّ الوجه أضلعها ... على جنين ابوه في العرا ترب
قد افلت الامل المنشود فهي على ... جمر من الألم المكبوت تضطرب
حتى احتضنا امانينا وصار لنا ... بين الممالك من جاراتنا لقب
جاء الزعانف من حلف الفضول ومن ... اذنابه فأرانا اننا الذنب
انحى بمنجله حصداً وخلّفنا ... لا سلّة يجتنى فيها ولا عنب[1]

ولم تبرح الصورة القاتمة التي خلّفها الانجليز في العراق ، عالقة في ذهنه ، مصورة في ذاكرته ، وعندما يزور لندن ، يقف على نهر التايمس المشمخر المتكبر ، يسترجع الشاعر ذكريات الأسى ومشاهد الفقر والحرمان الذي سببه الاحتلال الانجليزي للعراق ، فاسمعه قائلاً :

اتذكر يا شاطىء التيمس ... شواطىء من دمنا تكتسي
لنا في مناكبها جنة ... بغير الاضالع لم تغرس

---

(١) من قصيدة للوائلي في رثاء السيد عيسى آل كمال الدين من رجالات ثورة العشرين (ولد عام ١٢٨٨هـ) وتوفي ببغداد في ٢١ رمضان ١٣٧٢هـ

ولـــوعـــة ام بجنب القتيـــل ودمـــع اب صـــابـــر مُوتسي
فنحن مـــع الحـــزن في مجلس وانت من الـــورد في مجلس
واذ ليـــل اكـــواخنـــا تستحيـــل كـــواكب في ليلة كـــرسمس
واذ عـــرق الضمَّـــر الكـــادحـــين وذوب الحشـــاشـــة والانفس
يعـــود هـــوىً في عيـــون الحسـان واشـــذاء في اعـــين النـــرجس
وإذ تحضن الـــترب اكـــواخنـــا ليُفـــرش دربُـــك بـــالسنـــدس

★ ★ ★

اتـــذكـــر يـــا شـــاطىء التيمس مـــلاعب ســـوطـــك في الأرؤس
وانت بـــاجســـادنـــا مخلب ســـوى العنق الحـــرِّ لم يغـــرس
غرستم بها الحقد عند الشعـــوب ويـــابئس ذلـــك من مغـــرس
ومـــا زال يـــا منـــطق الابـــتزاز لســـانـــك لـــلآن لم يخـــرس

وبالرغم من قضاء الانجليز على ثورة العشرين قضاءاً عسكرياً ، إلّا أن أهدافها المثلى كانت في ضمير كل عراقي حرّ غيور على أمته وشعبه ، ولم يعكّر ذلك صفو العقيدة الاسلامية في نفوس ابناء هذا البلد التوري الخلاق ، ولما رأى المستعمرون ذلك عمدوا إلى إشاعة الأفكار الالحادية ، ونشر الدعوات العلمانية ، وإعادة العصبيات الشعوبية والقومية ، وأمدّوها بكل أسباب الدعم والتأييد ، ووضعوا الفكر الاسلامي وسط دوامة الشبهات والشكوك مما هو كذب على التاريخ والمثل والأخلاق :

والارض يحكمهـــا رهطٌ وان نـزلـوا لا ينسبون الى مـا جـدَّ من نـظم
لو ساوموني حصىً من تحت أرجلهم بـــانجم الاشـــتراكيـــين لم أسم
الكـــاذبين عـلى التـأريـخ والمثـل الغـ ـراء والعلم والأخـــــلاق والقيم
والحـــاملين شعـــار الكـــادحـــين وهم محض افـــتراء عـــلى العـــمال متهم
والمـــدعـــين التســـاوي والســـماء لهم والارض والنـاس اصناف من الخـدم
النـــاب والظفـر فحـواهم فـما نبضت من رحمـــة بهم يـــومـــاً ولا رحم
عقماً لارحام دنيـا الناس ان نسلت امثـــال اولاء من عـرب ومن عجم

ويصب الوائلي جام غضبه على مدّعي الاشتراكية من الحاكمين المستبدين الذين يضللون الشعب الكادح بالشعارات البراقة ويعيشون هم في نعيم الحياة في ظل قصورهم الفارهة الفاخرة بينما يذوق الشعب الأمرّين من الجوع والخوف :

اشـــتراكيـــة لهم من جنـــاهـــا كـــل صفـــو وللشعـــوب القـديـد
في شعـــارات كـــادحـــين ولكن كـــل فـــرد لـديـــه درّ نضيـد
فـــارهـــاتٌ من المـــراكب تختـــال وبيضٌ من الاوانس غيـــــد
وليـــالٍ حمـــرٌ واصبـــاح خضر وصـــــدور مجلوة ونهود
واكـــدحي يـا منـــاكب العـري حتى تتهـــادى للحـــاكمـــين قـــدود
أيها الحاكمون جدّوا ولـــو يومـاً فضرب العـــدو فينـــا شـــديـد
جـربـــوا طعنكم بـــه لا بصـــدر هـــو أصـــل لـــه الفـــروع تعـود
اقنعـوا هذه النياشين في الأكتـــاف ان الميـــــدان فيـــــه جنـــــود
لا تحيـــدوا عن دربه فهـو الحذر الـــذي ربَّ عـــودكم والـــرصيـد

ويساهم الوائلي في قصائد كثيرة تلتقي كلها في الدعوة إلى حكم الله ، ومواجهة التيارات المنحرفة وإعادة الفكر الإسلامي إلى موقعه السليم والطبيعي في نفوس المسلمين :

رب رحمـــاك ذوّبتنـــا الـــرزايـــا واللظى قـــد يذوب منـه الحديـد
كُفَّ نعمى الحكـــام عنـــا فـــإنّـــا نحـــو هـذي النعـماء فينـا جحـود
وأعنّـــا عـــلى الـــوصـــول لحكم من معـــانيـــك ظله ممـــدود

ودافع الوائلي عن أفكاره المستمدة من روحية الإسلام ، دفاعاً مستميتاً ، لا بالقول وحسب ، بل بدخوله في معترك السياسة التي برز فيها أول ما برز بانتمائه إلى (حركة جماعة العلماء) في النجف الأشرف ، وكان من الأعضاء الأوائل الذين ساهموا في إنشاء هذه الجماعة مع نخبة من أعلام النجف ، وفيهم جيل من الفقهاء والأساتذة ، من أمثال الشيخ مرتضى آل ياسين ، والسيد باقر الشخص ، والشيخ محمد رضا المظفر ، والسيد موسى السيد جعفر بحر العلوم ، وكان من مهام الجماعة السعي إلى نشر كلمة الله ، والتنبيه على مظالم الشعب العراقي ، والوقوف أمام المد الأحمر العارم الذي هزّ العراق من أقصاه إلى أقصاه أواخر الخمسينات ، فكان الوائلي محاججاً لدوداً ، ومخاصماً عنيداً للشيوعية في فترة شهدت عنفوان المدّ الشيوعي في العراق ، وليس من المستغرب أن يتعرض لمحاولة اغتيال إبان تلك الفترة ، عندما كان ضيفاً على الحاج عبد الحسين جيته كوكل بالبصرة ، لأنه كان يعرض بالحكم القائم ويؤلب عليه الجمهور ، ويثير العامة ، للتمرد والثورة ، وفي قصيدة له عام ١٩٥٩ ألقاها في حفل حاشد عُقد في النجف ، وجّه انتقاداً قاسياً للزعيم عبد الكريم قاسم الذي أظهر مودة للشيوعيين في حينه فقال :

وعـاد يزأر في النـادي الوديـع فتىً مُفَيهق صـوتـه كـالصخـر ينحـدر
يحكي البطولات كالصبيـان ان ركبوا عصيَّهم حسبـوهـا الخيـلَ تبتـدر
وحـولـه نفـر يـروون من خـدعٍ لـه الهـديـر لـيروي انَّهم هـدروا
وهو الذي كان لا يسطيع من هلعٍ ان تستقـر عـلى اعـطافـه الأزُرُ
ايـام لا نحن في سلم فيمنعنـا ولا بحـرب فنـدري كيف نعتجـر
اغـراب لا نحن من قيس فتمنعنا ولا قـريش فيحمي رحلنـا مضر
مشى لنـا ، غرباء ، لـو بساعـدهم لهـان ، لكنّهم ظـلٌ لمن امـروا
تقسمـونـا فـإغـراء لمن رقصـوا رقص القـرود وضغط للذي صـبروا

ويتفاءل خيراً بفتوى الإمام السيد محسن الحكيم وبقية العلماء الأعلام بتحريم الانتماء للحزب الشيوعي ، فيقول :

حتى تـداركنا كـالرعـد منـطلقـاً صوتُ الفتاوى عـلى أفواه من زأروا
دوّى بهـا نفرٌ من خـير قـادتنـا عند الخطوب ، فمـرحى أيُّها النفـر
فـانجاب ليـل وولّت ظلمـة ومشى ضـوء ورفـسرف فتـح ابلج نضر

ثم نرى انه يقف موقف الريبة من انحسار المدّ الأحمر ، حيث كان اكثر الشعب يفتقر للوعي والثقافة ، وحيث ان الاستعمار ما زال متربصاً لشعبنا يحيك المؤامرات :

لكنني وبقـايا الكـأس مـا بـرحت تغري النشاوى أرى أن يُؤخذ الحذر
فـإن ذبذبـة (الأنـواء) مـا بـرحت والبـوق للنفـخ مـا ينفـك ينتـظر
وشيمـة النَّفـر المسعـور تخـبرنـا بانهم يُهلكـون الحـرثَ لـو قـدروا
فـأججوا الـدَّمَ عـزمـاً في تـزائبنـا بـاسم الحسين ليوم الهول يُـدَّخـر[1]

ويصور الواقع المرّ الذي مرّ به العراق خلال هذه الفترة عام ١٩٦٠ :

بغـداد لا مـرَّت عليـكِ بشرّهـا دهمـاء تعقـد في سـماك سحـابـا
مـطرت عليـكِ شراذمـاً ممسـوخـة حشـدت على أرواحنـا الأوصـابـا
وغـريبـة عن فكـرنـا ودمـائنـا فيـما أتتـه وتـدَّعي الانسـابـا
درست على ابن الغاب تـأخذ دوره حتى تخيلت الحيـاة الغـابـا

(١) نُشرت هذه القصيدة في مجلة الأضواء عام ١٩٥٩ بعد حذف المقاطع المتضمنة لنقد الحكومة وعلّقت المجلة على ذلك بما يلي : «هذه القصيدة هي قصيدة الحفل ، ولكن حالت دونها بعض الموانع التي لا تعترف بها الأضواء فأثبتها دون التي القيت . .»

وأدت تـــطلعنـــا وداست عـــزنـــا ... وتغـــرزت بجســـومنـــا انيـــابـــا
وتفـــاخـــرت في قتلنـــا وتـــوزّعت ... منّـــا جســـومـــاً بضّـــة ورقـــابـــا
منحت صـــدور النـــابغـــين لفضلهـــا ... بـــدل الـــوســـام اسنـــةً وحـــرابـــا
ووراءهـــا من بعـــد ذلـــك معشرٌ ... يبكي القتيـــلَ وينهب الاســـلابـــا
ولقـــد وقفنـــا خـــاشعـــين حيـــالهـــا ... لنحطَّ من عســـلٍ رمتـــه ذبـــابـــا
واذلَّ من سكن البسيـــــطة امـــــة ... عـــاشت تهـــادن مسرفـــاً كـــذابـــا
أو بعـــد ان قفـز الـــزمـــان بـــأهله ... عـــدنـــا نعـــايش اكلبـــاً وذئـــابـــا
يـــا رب عطفـــك ان تعـــود ضـــوابط ... مسخـــاً وينقلب النعيم عـــذابـــا
يـــارب عفـــوك ان تجف منـــابـــع ... ويعـــود مخضـــلُّ الخميـــل تـــرابـــا
يـــارب لطفـــك ان نمجّدَ تـــافهـــاً ... او نعبـــد الازلام والانصـــابـــا

ولم تختلف هذه الصورة التي رسمها الوائلي هنا عن الوضع الخطير في العراق ، بل تفاقم شرّاً وازداد سوءاً على عهد (عبد السلام عارف) وكان مما تميز به عهده اثارته للنعرات الجاهلية والطائفية لتيسير سيطرته على أبناء الشعب ، مما دعا الوائلي إلى مهاجمة الوضع القائم :

فيـــا بـــاعثيهـــا نعـــرة جـــاهليـــة ... (محمـــدُ) واراهـــا الـــتُّرابَ تـــورَّعـــوا
عـــذرتكمُ لـــو ان مـــا تنبشـــونـــه ... عـــظام ولكن جيفـــة وهي ابشـــع
ولـــو ان مـــا تبغـــونـــه من ورائهـــا ... خفيٌّ لقلنـــا عـــابث ســـوف يقلع
ولكنـــه الكـــرسي مهـــما بَـــرَعْتُمُ ... الخـــداع يُغـــطي رأســـه ثم يـــطلع

وفي القصيدة نفسها يعرّض الوائلي بالرئيس عارف ويحمله مسؤولية الحالة المتأزمة التي وصل إليها العراق ، ويصبّ عليه من انتقاده الشديد دون مواربة أو وازع من خوف ، مع انه ألقاها بنفسه في حفلة كبرى عقدت في النجف عام ١٩٦٤ في ظل التوتر وانعدام الثقة بين المواطنين والحكومة آنذاك ، وكان مما قاله :

(محمـد) هـل يـرضى جهـادَك تـافـه ... تســتر بـــالاســـلام وهـــو مضيَّـــع
يهملج في اعقـــاب كـــلّ مضلِّل ... فـلا النُّصح يثنيه ولا هـو يسمع
يخـــرف في خلط تنـــافـــر نسجـــه ... يؤد ويؤذي السمـــع حـين يجعجـع
فـــطوراً إلى غـــربٍ يمتُّ بقـــولـــه ... وطـــوراً إلى شـــرقٍ يمتّ وينـــزع
وطـــوراً يؤاخي من نسيج خيـالـــه ... نقـــائض فـاعجب للنقـــائض تُجمـع
مفـــاهيم لينينيـــة في جـــذورهـــا ... عليهـا من اسم الله ثـوبٌ وبـــرقـع

وإذاكان للوائلي ثمة حصانة في مدينته النجف كونها بلد المرجعية الدينية القويّة التي ينتميْ إليها الوائلي ، ويمثل بعض طلائع نهضتها ، ولاعتبارات عائلية واجتماعية تتميز بها مدينة النجف التي حملت سمة المعارضة لجميع الحكومات السابقة واللاحقة ، ربما يكون لهذا كله أثره في إقدامه وعدم تورعه في مهاجمة السلطة ، لكن الوائلي الذكي استغل هذه الظروف مع الضعف البيّن في الحكومة ، وبلغت به الجرأة والاستبسال ان يقف في بغداد وقفة مشهودة فينقد السلطة في مركزها وأمام أركانها وأزلامها ، وفي وسط أدبي وفكري رفيع المستوى من البلاد العربية ، وذلك في مؤتمر الأدباء العرب الخامس عام ١٩٦٥ :

بغداد يومك لا يزال كأسه صورٌ على طرفي نقيض تجمع
يطغى النعيم بجانب وبجانب يطغى الشقا فمرفّه ومضيع
في القصر اغنية على شفةِ الهوى والكوخ دمعٌ في المحاجر يلذع
ومن الطوى جنب البيادر صرّع وبجنب زق ابي نؤاس صرّع
ويد تكبّل وهي مما يُقتدى ويدٌ تقبّل وهي مما يُقطع
ويراءة بيد الطغاة مهانة ودناءة بيد المبرِّر تصنع
ويصان ذاك لأنه من معشر ويضام ذاك لأنّه لا يركع
كبرت مفارقة يمثّل دورُها باسم العروبة والعروبةُ ارفع
فتبيّني هذي المهازل واحذري من مثلها فوراء ذلك إصبع
شُدّي وهزي الليل في جبروته وبعهدتي انَّ الكواكب تطلع

والوائلي حين يستنهض ابناء العروبة لصيانة مفهوم العروبة من الانحراف ، فهي عنده مبدأ اسمى وأرفع من أن تشوهه الطغاة ، ورابطة خيّرة تدعو للالفة والمحبة بعيداً عن التشاحن والتلاعن ، عروبة ذابت في الاسلام وذاب فيها ، عروبة صهرها الاسلام من جديد ، فعادت تهز العالم من أقصاه إلى أقصاه بالمغاوير الذين أدركوا هديهم ووعيهم الرسالي ، فمضوا يدكّون حصون الشرك ، ويتسنمون ذرى المجد في الأعالي ، ويسطرون ملاحم النصر والفداء والأصالة :

يا ضفاف الفراتِ كم فيك غيلٌ ماردٌ ينشيءُ المواليد أسدا
والمغاوير الحمر يوماً وسيفاً والمصاليت السمر وجهاً وزندا
عرفتهم ملاحمُ المجد سيفاً يعربياً يأبى مدى الدهر غمدا
يعلكون الرصاص في الحرب قوتاً ويعبون من دم النحر وردا
ادركوا بالإسلام هدياً فإن صالوا رأيت الميدان بدراً وأحدا

وإذا استنسبـــوا دعـــا البعض شيـ ـبـــان وبعضٌ بكـــراً وبعضٌ معـــدّا
ومشـوا في الوغى من السيف امضى وبـــدرب الهـدى من النـور أهـــدى

ويقول في اخرى مستنهضاً ومذكّراً بفلسطين :

فـــانهدوا ان للعـــروبـــة جـــذراً من سرايـــا (محمـــد) يمتـــاح
إذ (عـــلي) يـدك (خيـبر) في عـزم روتـــه عنـــه القنـــا والصفـــاح
نحن بين الحياة في حكم (إسرائيل) شعبـــاً يـــدوســـه الـــذبّـــاح
أو كـــراماً نعـطي الـدمـاء لتحيـا امـــة من عـــطائهـــا الارواح

وفخره بالعروبة سجله في العديد من قصائده ، من ذلك قوله :

فـــــاني (للعـــــربي) الصميم جـــذوري بيضـــاء لم تـــدنس !

وقوله :

(عـــربي) مـــلء الـــزمـــان وعـــزم يتلظى وصـــاهـــل نفّـــاح
وهـــو اليـــوم مثلما كـــان بـــالأمس هـــديـــر مـــزمجـــر وطـــماح

ويظهر بوضوح تأثره بالدعوة للوحدة العربية التي حمل لوائها طائفة من شباب العرب واحرار الأمة ، وفي النجف نفر منهم ، ومن بينهم المرحوم احمد الجزائري الذي عمل من أجل تلك القضية وأبلى بلاءاً حسناً وصبر على النفي والاعتقال والترهيب حتى قضى شهيداً في سبيلها فاسمعه مخاطباً إيّاه :

ايها (اليعـربي) حـين غـزا الاجيـال زيف الـــدّخيـــل والتغـــريب
حمـــل العـرب بـين جنبيـه روحـاً ورجـــــاءاً بقلبـــــه لا يخيب
ودعـــا الغـــافلين للوحـدة الكـبرى ينـــادي بـــرهـــطه ويهيب
وتغنى بمجـــد ســـوريـــة العـــرب ســـواء شـــمالهـــا والجنـــوب
ذاب في اهلهـــا جميعـــاً ، هـــلالٌ من وراء انتـــمائهم ام صليب
قـــارع الاستعـــمار شخصـــاً وفكـــراً فهـــو في ذلـــك القـــوي الحسيب
وتلظى عـــزمـــاً ومـــا نـــال منـــه النفي والاعتقـــال والـــترهيب

وتأخذه العزة بقومه والفخر بهم مأخذاً عظيماً ، ويذكر دائماً ذلك الماضي الخالد من تأريخها العريق يوم فتحت طلائع الامة آفاق الدنيا وسادت اركان الارض حاملة رسالة التوحيد والحضارة والانسانية ، وحملت مشعل الحرية الذي لا ينطفىء فانارت الطريق للأجيال من مختلف الأجناس والأعراق ، بهمة وإباء وشمم ، ينطوي على التواضع والأدب الجم ، تلك

الشمائل الأصيلة التي ما برحت شعوب الأرض تتحدث بها ، وتستاف من عبيرها ، وتستجلي من روائعها أساساً للحضارة ، ومنطلقاً للكرامة :

امتي واسألي النجومَ اما كُنَّـ ـا غزاةً عبر النجوم نرود
وزرعنا الفتوحَ في كلِّ فجٍ فلنا فوق كل ارض شهود
الخدود المصعرات وسمناها فخرت على ربانا الخدود
وافترعنا الصعاب بالسيف فانها رت لدينا حواجزٌ وسدود
ان نهدنا للفتح تسبقنا الاصـ ـداء حتى تفر منها الجنود[1]
أو مشت خيلنا تسبرجن يلثمـ ـن خطاها اباطح ونجود
في محاريبنا التقى والهدى والذكر لله لا سواه سجود
ولأقلامنا الحضارات مازال إلى الآن جذرها مشدود
ولامجادنا بكلِّ رباع الارض صرحٌ إلى السما ممدود

ولقد كان فهم الوائلي للعروبة عميقاً صريحاً مقروناً بعاطفة الصدق والايمان ، وقد عمقت هذا الفهم جولاته في العالم العربي وللجاليات العربية في الخارج بهدف التوجيه :

لسنا بمعهود على ابعادنا يبس فدنيانا الربيع الممرع
ايّ الكرائم ليس في اعناقها مما نسجناه العقود اللمع
ام ايّ وضّاء وليس بجذره قبس لنا يجلو الظلام مشعشع
سدنا فما ساد الشعوب حضارة اسمى ولا خلق اعفّ واورع
قدنا الفتوح فما تشكّى وطأنا فكر ولا دين ولا من يتبع
حتى الرقيق تواضعت احسابنا كرماً فأولياه مالا يطمع

وحديث العروبة يجرنا إلى حديث الوطن الذي يأسر لب شاعرنا الوائلي إلى حدّ يفوق الوصف ، ولا عجب فالوائلي وطني أصيل ونجفي صميم عاش حياة النجف في أصولها وتقاليدها ، ومارس صور هذه الحياة ممارسة متصلة بأعماق نفسه وأحب هذه المدينة حبّاً يصل إلى حدّ الفتنة بها :

حنيني إلى وادي الغري وقبة يغازلها نجم السنا ويلاعب
عليها لعاب الشمس تبر وتحتها ائمة عرفانٍ وحبر وراهب
تقاة اصابوا من علي اخا هدىً وحبر تقى ، والصالحات نسائب

---

(١) لا يخفى ما في هذا البيت من لفتة ذكية إلى قوله ﷺ: «نصرت على الرعب على مسافة شهر . . .».

وتـــاقـوا إلى المثـوى الاخير بجنبـه ونعم (عـــلي) في الشـدائـد صاحب
فـــلا زلت يـــاوادي الغـــري خميلة تمـــر عليهـا الغـاديـات الســواكب

ويلجأ الشاعر إلى (راوية) حيث مرقد السيدة زينب بنت علي (ع) وفيها يجد بعض ما يسليه ويعوضه عن العتبات المقدسة التي دأب على زيارتها كل عام :

دأبت ازورك في كـــلّ عـــام وألثم تـــربـــك يـــاابن النبي
ومـــرت سنـــين ولم أجتـــلي ســـماتـــك في روضـــك الأطيب
بعيـــد ضريحـــك عن راحتي ولستَ بعيـــداً على مـــطلبي
وحـــين نـأى الـطف زرت الشـآم وحـــدت (لـــراويـــةٍ) مـــركبي
الى حـــدث فيـــه منـــك المثـــال تحـــذّر من جـــذرك المنجب
فـــأنت أراك بكـــلّ عـــلاك هنـــا قـــد تجســـدت في زينب

غير أن (قبة علي) و(وادي السلام) لن تفارقنا مخيّلته فهما مظهران بارزان من مظاهر نجفه البعيد وطالما استأثرا باهتمام الشاعر ولا ريب في ذلك لأنه عرف عندهما ذاته ونشأ بين متالعهما :

تحيـــة أيُّهـــا الـــوادي الحبيب إلى رُبى اليهـا النجـوم الـزُّهـر تنجـــذب
يلوح في لابتيهـــا من (ابي حسن) وجـــه ومن قسمـــاتٍ منـــه تختضب
غفت مـــلايين آمـــال بـتربتهـا الـ ـسمـراء فهي على ابعـادهـا كثب
لو عن ثغور بهـا نمَّ الثرى لغـدت تلك المتـــالـــع فيهـــا ينبت الشنب

ويقف على (الفرات) العظيم ، فيستثير مشاعره وكوامن افكاره بل يأسر نواظره فلن يصدر عنه إلّا عن هذه الخطرات المخضلات :

اسرت نـــاظـــري فلن يُســـتردا خـطرات عـــلى الفـــرات المفـــدّى
الجـــلال المهيب في المتن نخـــلاً والجـــمال الأنيق في الحـــرف وردا
وحشـــود الامـــواج تحضـن بعـضـاً فـتراهـاجـشـداً يـعـانـق حـشـدا
ورفيف الظلال من فارع الصفصـاف يضفي عـــلى الشـــواطىء بـــردا
وخـــطوط الشعـاع مـا بـين سعف النخـل تهمي فتنسج الشمس بُـــردا
وتمـور الأجـواء من وكفهـا السائـــل يجـــــري فيمـــــلأ الافق رأدا
والنـــواعـــير ذكـــريـــات رقـــاق خلّدت بـــالغـــرام ليـــلى ودعـــدا
والهيـــام المسحـــورُ من كـــل هـــذا يتلظى عشقـــاً ويـــزفـــر وجـــدا

ومن في مثل عاطفته المشبوبة كيف يطيق بُعداً عن وطنه ؟ وإذا تحقق هذا فعلاً ، فما ستكون ردّة الفعل ؟ . والواقع انها بدأت خفيفة ثم ازدادت تحقيداً ، وستعرف ذلك فيما بعد ،

والصورة الاولى التي رسمها لأول وهلة صورة قديمة لا روح فيها سبقه الكثيرون إلى تصويرها ذلك انها من قبيل (الجسم في وطن والروح في وطن) غير انك تحسّ في مقطوعته التي أرسلها إلى نجله محمد حسين عام ١٩٨٠ بعد أشهر من غربته ، تحس حنيناً شجيّاً من قلب وامق أسره الحب وأمضّ به النوى ، ولعبت به الاشواق أيّ لعب !

بُنيّ تقاضاني الهوى بعض ماله ... فرحت وبي مما تقاضى متاعب
فجسمي بارض الشام والروح عندكم ... وقلبي الى واديكم يتوائب
واني وان تحنو عليّ مرابع ... واهل بأرباض الشآم اعارب
فأنّى كوفي الهوى تستميلني ... بأرض الفراتين الرُّبى والمناكب
ولا ارتضي إلا الفرات وماءه ... ونخلاً يناغيه الهوى ويداعب
مطالع شمس بالفرات أحبُّها ... وفي دجلة تسبى عيوني المغارب
ورمل بأكناف الغري مذهّب ... تنثّ عليه بالعبير السحائب
به للظباء النافرات مسارح ... وللمرقلات الضابحات مقانب
ورهط على احسابهم وفعالهم ... حسان مزايا تجتلي ومناقب
هنالك جسمي والفؤاد وأولي ... وآخر ما اصبو له والمآرب

ثم بدأت بعد حين سحائب الكآبة تملأ عينيه ، وأخذت بوادر الأمل تتبدد من الطريق أمامه :

أحباي ما أقسى على البعد غربتي ... واعنف وقع الحزن مما اصوِّر
وبعض احبائي بعيد وبعضهم ... يُغيَّب في عفر التراب ويُقبر
وهيهات ان اسلو وللموت والنوى ... معاولُ في قلبي تحزّ وتحفر
ولم يبق عندي غير رجع من الصدى ... يريني طيوفاً منكم ويعبِّر
ولولاه ما عاشت بقايا لنابضٍ ... تلازمه البلوى فيذوى ويعصر

ويثقل عليه الحزن فيلتجىء إلى القوافي ويحملها همومه وآهاته :

تغرب حزني فاستحال اغانياً ... وقد يبدع الألحان حزنٌ تغربا
وعندي قوافٍ من هموم حملتها ... فما بعض شعري غير همٍّ تعرّبا
وما هز أوتار الحشى مثل لاعج ... فأبكى كما شاء البكاء واطربا
وللحزن خمرٌ صاغ كل ملاحم ... وصالاً وهجراناً وعشقاً ترهّبا
تقلب بين الجمر والخمر خافقي ... فيا لفؤاد بين ذين تقلبا
واخلد للأحزان حتى عشقنه ... وغازلنه إلفاً وتِرباً محببا

فعاش ولم يعرف سوى الحزن والجوى فلو مـــرت الأفـــراح فيـــه تعجبـا

ويأنس الشاعر احياناً بغربته ، ويرى فيها ترويضاً لجماحه ، وتقوية لعزمه على مواجهة صعوبات الحياة عبر كفاحه الطويل الذي اختطه منذ نعومة أظفاره :

وتؤنسني في غـــربة بعض مـا بهـا تغـوّل عـــزمي واســتراض جمـاحي
فقـــد نـــازلتني النـــائبـات وهكـذا قـــطعت حيـــاتي كلهـــا بكفـــاح
تقصدن ضعفي حين لا من صلابة ولا من مجن ســـابـــغ وســـلاح
واسلمني للوجـــد شلواً ممـــزقـاً انيني انغـــــــامي ودمعي راحي
فبعض همـــومي يستجـــير ببعضهـــا وبعض جـــراحي يشتكي لجـــراحي

ويأتي العيد ، وهو بعيد عن دياره ، وأهله ، وأحبابه ، فيتمثله في الغربة مثقلاً بالأحزان ، ويتمنى لو أنّه لم يقع ، وطبوله لم تقرع ، ثم كأنه يستمد هاجساً من رجولته وكفاحه ، فيحسب همومه مدعاة لعزته وترويضاً لهمته :

ويـــا أيهـــا العيـــد في غـــربتي وددت طبـــولـــك لم تقـــرع
فـــما عـــاد وقعـــك في غـــربتي سبتـــه الهمـــوم بـــذي مـــوقـــع
وللهم فعـــل يعيد الحيـاة اسىً والنـ ـهـــــــار إلى اسفـــــــع
ســـأبقى بحـــزني اغني النجـــوم واشرب خمـــــــري من ادمعي
وأقتـــات طيف بـــلادي هـــوىً قـــويَّ الشكيمـــة لم يخنـــع

ويمدّ براحتيه قِبل المسجد الحرام الذي بارك الله من حوله ، داعياً الله ضارعاً له بطرف لم ترقأ فيه الدمعة ، ولن تهدأ العبرة ، ان يحفظ أهله من كل سوء مردّه البعد والضنى والفراق الصعب الطويل :

ولي وطن فيـــه اذوب وصبيـــة بنيّتُهُم من ادمعي ودمـــــــائي
وكلهم قـــد مســـه الضر والأذى وبـــات عـــلى قيـد مـع السجنـاء
بكفـــك يـــارب المفـــاتيـــح كلهـــا ونـــاصـيـــة الاشرار والشرفـــاء
وانت وليّ فـــاكشف الضرّ والاسى فـــما ضرّ لـــو أكـــرمتني لِـــولائي
ومـــا ضرّ لـــو ارسلت منـك ارادة لتنهي احتكـــام القيـــد بـــالاسراء

ويجيل ذاكرته ، فتمر بخاطره صورة مشرقة من ذكريات الوطن فيستبد به الحنين وينازعه الشوق لان يبذل نفسه في سبيله ، وان يضحي بكل ما عنده تعبيراً عن الاخلاص :

بلدي يعيش اخـــو السلو بنعمـــةٍ وانـــــا اعيش البُعـــد في لأواء
حمّلت عيني والنجـــــوم اليَّـــةً ان يحـــرســـاك بعتمـــة الـــظلماء

ولـــو أن أضـلاعي تفيـك جعلتهـا سـورأ يصـونـك من اذىً وبـلاء
يـا كـل اهـلي والحنـين سجيـة للكـل تسكن فـطرة الأجـزاء
ابعث قليـلاً من شـذاك فـانني استـاف عـطر رمـالـك العفـراء
انـا بعض تربـك بنت عنه برهـة وغـداً يطول لـدى ثـراك ثـوائي

ويبقى التمني بالعودة غاية شاعرنا الوامق ، ذلك انه يخفف بعض غلوائه ، ويجد فيه تعلة للنفس من شدة همومه وبلوائه ، فيرتسم الأمل أمامه مؤذناً بغدٍ سخيٍ ، وكم في التمني من بهجة للنفس ومتعة للروح إذ به تحيا وعليه تعيش ، مع انه شائك المسلك ، وقليل منه لايُدرك :

امنيـاتي بـأن نعـود لـواديـه فـواديـه مهـدُ علم ونـور
فننقي نفـوسنـا في غـديـر (لعـلي) فهـو النقي الطهور
ونـروي مشـاشنـا من غـير لم يضـارعـه مـا علمت غـير
ونشـد الغـداة بـالأمس صنـواً نـدّيـاً وأن الـحّ الهجـير

أما الشكوى عنده فتجدها في شعره كثيرة رائجة وهو أمر انطبع عليه ذوقه بفعل امارات الحزن والانفعال الدائم :

ويـاضيعـة الانسـان بـين معـاشر ترى فيه أدنى قيمة من نوىٰ القسب

ويبدو لي ان الوائلي عرف الناس معرفة احزنته أشد من حزنه لجهلهم إياه :

فليت ضـلالي دام في ميعـة الصبـا ولامـال فيَّ الشيب يومـاً الى الهـدى
ولانضجت مني مـدارك أبصرت لهـذي الـدنـا وجهـاً كريهاً معقـدا
ولاعشت جيـلاً كـل آن لـه هـوىً تنصر صبحـاً ثم عصـراً تهـوّدا
تمـرس في التمثيـل حتى تخـالـه لـه كـل آن مـظهـر قـد تجسـدا
ومن نكـد الايـام ان تحسب الـذي تحـول حـربـاءاً حصيفـاً مسـدّدا
وان تتـلاشى في الحيـاة مبـادىء أخـال الدُّنـا والحق من دونها سدى

ويبلغ به الضيق ببعض هؤلاء الناس حدّاً كبيراً يتشاءم معه حتىٰ من الدنيا فيذكر كلاماً لايخلو من مؤاخذة ولعله قاله في فترة عصيبة بل في ليلة سوداوية الطالع انطوت على مزاج متعكر ونفسية محطمة :

أفهـذه دنيـاً يعيش النـاسُ في ابعـادهـا أم مبـركٌ للنـوق ؟
وأولاءِ نـاسٌ أم همُ الانعـامُ في ثـوبٍ من التجميـل والـتزويق ؟

ولما كان النجاح بجميع معانيه غاية الوائلي ، فإنَّ مايثيره أن يرى حوله فئة تتزلف كالكسيح للوصول الى هذا النجاح ، إلاّ ان نفسه الأبّية لم ترض تلك الوسائل والدنيات ، وبدأ

ينقد (مواكب التضليل) من أولئك الذين أتخذوا العلم أقنعة للوصول الى مآربهم الشخصية مهما كلفهم الأمر من رياء ومداراة :

(نجفي) افتـــدي خيلك والاغصـــان فيـــه من زاحفـــات الـــرمـــول
ومن الشـــوك راح يغـــزوه والسعـــدان يمتـــدُ فيـــه عـــرضـــاً بـــطول
قـــد مشىٰ يـــزحم الـورود فبـاتت وهي خجـــلىٰ ملمـــومـــةً في ذبـول
واضيـــع المقيـــاس فيهـــا فـــأمست وهي مهـــد الأصـــول دون أصـــول
واشمخـــرت فيهـا انـاس فـأضحت لست تـــدري صدورهـا في ذيـول
أيّ طعم للتمـــر ان نفق الحنـظل أم أيُّ ميـــــزة للنخيـــــل
خـدعوهـا بالشكـل زوراً كـما تخـدع يـومـاً بـالـبـوّ أمُّ الـفـصـيـل
نحـــروا طفلهـــا وجـــاءوا بجلد مـــــلأوه بـــــالتبن للتمثيـــل
أمّكم بـــرّة فـــلا تـــرهقـــوهـــا بـــالعقـــوق اللئيم والتنكيـــل
رب صُن بلدتي حقـــائق فضـــلٍ وقهـــا من مـــواكب التضليـــل[1]

ووقع الينا من ابياته الحكمية طائفة حسنة ظهرت في تضاعيف شعره ، تنبىء عن تجربة ومران وكفاح مع الحياة مرير ، وتشير بوضوح الى انه كان أكثر الاحيان يقصد اليها بروح مربٍ واعٍ لغرضه التربوي ، وهذا بعضها :

ومن خلق الشـــطآن ان صخورهـا جلامد مهمها استفحل المدُّ والجزر
ويـرضي بغـاث الـطير صيـد مؤمـــل ويـــرفض هـــذا في تخـــايله النسر
وقـد يكتفي في تافـه الـزاد كـاسـل لأن كـــريم الـــزاد مـــأتـــاه متعب
وأقـلام هذي النـاس كالنـاس نفسها ففي بعضها رجس وفي بعضها طهر
قـد يخـدع الـوهم سكـرانـــاً فيجعله يـظن أن الـذي في كـأسـه القمـــر
فـــالمجـــد يحتقـــر الجبـــان لأنـــه شرب الصـدى وعـلى يـديـه المنبـع
وتعجبت ! كيف نجهـــل حتى الآن مـــــاكـــل أحمـــــر تفـــاح !
وتلك قـــواميس الحيـــاة فســـابق لـــه التمـــر والتـــالي جنـــاه جـذوع

(١) سبقه الصافي الى رسم صورة محزنة لما آلت اليه بعض الأوضاع وانعدام المقاييس في النجف لكنها صورة قاتمة قصد بها النكتة والسخرية معاً ، فقال :

إن الـغـري بـلدة يـصـحّ أن تـــكـــنـهـا الـشـيـوخ والـعـجـائـز
فـصـادرات بـلدتي عـمائـم وواردات بـلدتي جـنـائـز
مـا شـغـل أهـلهـا سـوى بـطالـة فـلا يـقـيـم ثـمّ إلاّ الـعـاجـز

خلق النجوم بدفئها وشعاعها حتىٰ لمتنة الحضيض تزود
مهلاً فما مدح اللباب بقشره والسيف يبني المجد وهو مجرد
فبحيث تجتمع الورود فراشة وبحيث ليلى يوجد المجنون
ولو كان في الأفق بعض النجوم لما ظلَّ في ليلهِ القاتم[1]
أسأل العود دون شدّ وقرع هل شدا في لحونه وتغنى
قد عذرت الخفاش أن آثر الليل فهذا مزاجه المطبوع
فاحفظ فما تغني التجاربُ غافلاً وضع الحصيل بمزودٍ مخروق
قد يُصاغ الانسان حدوة بغل أو يصاغ الانسان سيفاً صقيلاً
وليس سيان من يرعىٰ بشاهقة مع الكواكب أو يرعىٰ مع الغنم
إن الدماء جلال في جراح وغىً ولاجلال لها في جرح محتجم
وسيعيا التراب ان يدفن الانغام فالجرس في الثرى لايغيب
وسواء على الكسيح أكان الساق مقيداً أو طليقا
وماكل بحار يقود سفينة وماكل كبش صالّح لنطاح

أما العاطفة في شعر الوائلي فإنها تلعب دوراً مهماً وأساسياً ، انها جياشة ترفرف اجنحتها بخيلاء فوق القريض الذي يبعثه الينا في جو يكون غالباً محموماً وأكثر مايبرز ذلك في شعره الموجّه الى اولاده فقد سكب من روحه نفحات تربعت على عرش لها منسق الهندسة فضفاض الخيال استوحىٰ فيها معاني الطفولة ولذّاتها وصورها المطبوعة في خاطر الآباء وجسدها في اشعار ممسوقة بوقع يُؤنس القلوب ويذكّر بالمحبوب :

بني وان طالت بجسمك قامة أُعّوذها بالله ، وأخضرٌ شارب
وبانت على الافعال منك رجولة وعزم اذا ما استبهم الأمر ثاقب
فما زلت في عينيّ طفلاً بمهده ينطُّ كما نطَّ الصغار الارانب
وفرخاً أُغذيه فإن فترت يدي عن الأكل يلوي وجهه ويشاغب
ويوسعني شتماً فالتذ شتمه والقم كفيه فمي وهو غاضب
وأمسح خدّيه إذا سال فيهما لعاب وأوذي عضوه وأداعب
واسرق من العابسه لأغيظه وأقذف منه بالنوى وأحارب

---

(١) هذا المعنى كرره في قصيدة اخرى :

فإذا النجم لم يسلح في سماء آثر الليل أن يقيم طويلا

أحسّ اذا انفاسه لفحت فمي نعيماً وترتاح الاماني اللواغب
وألمح في عينيه كلَّ خصائصي وقد أتمنىٰ فيه ما أنا راغب
ستبقى الخميل الخصب في متخيَّل وتبقىٰ الحديث الحلو حين يجاذب

ومن قصائده الجميلة يطيب لي أن انتخب هذه الأبيات الحلوة المليئة بالحنان والعاطفة من القصائد التي وجّهها الى اطفاله ، وهي على ما أظن من أكثر قصائد الديوان صدقاً وحرارة :

طيوفك الحلوة الوسنىٰ بُنيَّ (علي) في كل درب أراها وهي تضحك لي
ملأت كلَّ جهاتي والزمان فلا وجه ولازمن إلّا وفيه (علي)
أراك في كل طفل في الطريق مشيٰ يدحو برجليه مايلقاه من زبل
يظل حين يرى في دربه جملاً لم يشتروه له يبكي على الجمل
بنيَّ ياخفقة النعمىٰ علىٰ كبد يدب فيها دبيب البرء في العلل
إذا دجا الليل شدّتني اليك رؤىً غرّاء ان حال بُعد الدار لم تحل
تجلوك في حضن ماما والكرىٰ سنة تدبُّ منه الى عينيك في مهل
تطويك للصدر في زند واغلها تشد من شعرك المجدول في خصل
تكاد تشرب من خديك قبلتها كظامىء عبَّ في علٍ وفي نهل
تسقيك أحلىٰ حكاياها مهدهدة حتىٰ تنام على مهدٍ من العسل

وفي مرثياته دمعات صادقات لايذرفها إلّا الوفاء ، ومن خلال هذا الدمع تتوثب رؤىً واسعة عميقة تلوح كما تلوح الأشياء مغمغمة خلل الدموع ، ومن ذلك قوله في رثاء زوجته ورفيقة عمره :

رفيقة عمري هل لجرحي بلسم رحيلك ادماه وما أنقطع الدم
مددت له كفّي فلما رددتها اذا الكف مما ينزف الجرح عندم
أحاول اسلو الحزن أو أطرد الشجىٰ فيكبر حزني بالسلو ويعظم
أنام على صمت الجراح وصمتها يعبر عن حرّ الجوى ويترجم
واصحو على سكب الدموع ونوحها وللدمع ثغرٌ ربما يتكلم

ومن ذلك قوله في مرثيته لاستاذه المظفر :

لا لن يموت نذيٌّ منك مؤتلق بالنيرات وللاعجاد منعقد
اني وحقك لا أنفكّ تؤنسني رؤىً ويلطم وعي واقع نكد
تراك عيني وذهني يحتويك فان مددت كفي الى كفيك لا أجد
فكم مسحت عيوني علَّ خادعة من الكرىٰ أخبرت مالبس يعتمد

وكم حضنت ظنوناً ان كاذبة نعتك يدفعها للفرية الحسد
لكن قبراً على رمحين من بصري يشدُّني فإذا كل المنى بدد
فأرعوي للنهى تجلوك لي أفقاً رحباً يشع على ابعاده رأد
ومن عطائك فيه الف باسقة شوامخ في نداها للسما نُهُد
لايأكل الترب روحاً منك خالدةً بل كل ما للتراب الشِّلو والجسد

ولاشك ان القراء يتساءلون بعد هذا عن موقف الوائلي ـ وهو الذي كان مرشحاً قوياً ليحمل الى امته رسالة الوطنية والحرية والاصلاح ـ امام الحرب الضروس ، قد نتملس له عذراً إذا رأيناه ساكتاً ، لأن الضربة كانت أكثر مما نتصور والمحنة التي ابتليت بها الامة أكبر مما نرى ، وهي على مقدار من التعقيد الذي يصعب بسطه في هذه العجلة ، لكنه مع ملابساتها وحساسياتها انضم الى ميدان الرعاية الاجتماعية التي حتمتها طبيعة الحرب ووجه الى ذلك كل عنايته ، وكانت تمر عليه خلال ذلك صور مروّعة من الحرب البائسة فيؤجج في ذلك قوافيه ، وتهتز لذلك انغامه .

وقصيدته (سماسرة الحرب) من بين قصائده الحزينة المعبرة عن الظروف المؤلمة التي كانت تمر به من خلال صور الكآبة التي فرضتها الحرب :

ملأتم رباع الأرض بالنوح والندب كفاكم دماءً ياسماسرة الحرب
لقد ملأها وحش الفلا وتجشأت بطون الرِّمال السمر من كثرة الشرب
فأين عصور هذبت من غرائزٍ وسارت مع الانسان من أول الدرب
وعدنا لدنيا الغاب في كل مابها وحوشاً نغطي مخلب الوحش بالثوب
كفاكم دماءً ياسماسرة الحرب دعوها لسرد الحق والوطن المسبي
وللشرف المجني عليه ، فأمة بلا شرف تنداس بالنعل كالترب
وليست دمانا سلعة تشترونها وما للدما أثمان عند ذوي اللب
لقد بعتم قدس الدماء وطهرها ببخسٍ من الأثمان يا أخوة الذئب
وألقيتم من أجل دنياً خسيسة وحفنة نفطٍ الفَ يوسف في الجب
كفاكم دماءً ياسماسرة الحرب أفيكم قلوب أم خلقتم بلا قلب
ومن اجل ماذا ؟ هل هناك (قضية) تراد ويضرىٰ دونها المرء للذب

ويختتم قصيدته بالتذكير بما آلت اليه الحرب من المصائب والرزايا مؤكداً على ضرورة الوئام ، داعياً الى الوفاق والسلام ، مستوحياً من صور الطفولة البريئة التي ذاقت ويلات الحرب المرعبة ، مستلهماً من طهرهم ، معاني الأمان والطمأنينة والمستقبل الحافل بالامنيات العذاب :

كفـــاكم دمـــاءً يـــاســـماسرة الحرب ففي السِّلم مايغني عن المركب الصعب
وفي السلم كسب من حلال فجربوا بأن تتركوا من لعبةِ الـدَّم والغصب
اذا كـان عمـر المـــرء رحلة عـابـر ويحـــوي جنـاه غـيره ، فلمن يجبي
ملأتم رباع الأرض من علق الـدِّما وأولى بكم أن تغمروها من الخصب
زرعتم بـــاشـلاء الشبـاب حقـولنـا وكـــان المنىٰ أن تـزرعـوهنَّ بـالحَبّ
سلبتم من الاطفال ضحك ثغـورهم فـأحـزنتم من كـان طهـراً بـلا ذهب
أفيضـوا على الأطفـال دفئاً وهـدهدوا نفـــوسهم بـالحلو والســائـغ العــذب
فـلانغم في الأرض من دون لغوهم ولو لم يكونوا كانت الأرض في جدب
فيـــاربَّ ألهمنـــا الســـلام وأمنـــه ويـــارب ذد عنّا دهـاقنـة الـرعب
فـــأنت شجبت الحـرب إلاّ كـريمـةً وأنت جعلت السّلم أكـــرم يـــاربي

وبهذا ترى كيف ان الوائلي سجل مأساة بلاده في أبيات حزينة يلفها الضباب الكئيب .

وإذا كان هنالك مايعاب به الوائلي فهو انه عزوف لايحب الشهرة، ويأنف أن يسلك اليها السبل التي سلكها غيره من بعض الشعراء ، وهو أزهد الناس بالشهرة التي تأتي عن طريق التهريج وجمع الانصار والحواريين ، وهو الى جانب ذلك احرص على الشعر ان يتخذ وسيلة ، لأن الشعر غاية لايبلغها إلاّ النوابغ الموهوبون :

قـــالوا بـأن الشعـر لهـو مـرفَّـه وسبيـــل مـــرتـــزق بـــه يتـــذرع
وإذا تســـامينـا بـه فهـو الصـدى للنفس يلبس مـــاتـــريـــد ويخلع
أن تـــطرب الارواح فهـو غنـاؤهـا واذا شجاهـا الحـــزن فهـو الأدمـع
فـــذروه حيث يعيش غـريـداً عـلى فَنَنٍ وملتـــاعـــاً يئن فيـــوجـــع
لاتـــطابـوا منـه فـما هـو بـالـذي يبني ويهـــدم أو يضرُّ وينفـــع
اكـــبرت دور الشعـــر عـما صـــوروا وعرفت رزء الفكر في من لم يعـوا
فـــالشعر أجـج الف نـارٍ وانبـرىٰ يلوي أنـــوف الـــظالمـين ويجـدع
لـــو شاء صـاغ النجم عقداً نـاصعاً يـــزهـــو بـــه عنق أرقّ وأنصـــع
أو شـــاءَ ردَّ الـرَّمـل من نفحاتـه خضـــلاً بـانفـاس الشـذىٰ يتضـوع
أو شـــاء ردَّ الليـــل في اسـماره واحـــات نـــور تستشف وتلمـــع
أو شاء قـاد من الشعـوب كتائبـاً يعنـــو لهـا من كل أفق مـــطلع
أنـا لا أريـد الشعـر ان جـدَّت بنـا نـــوبٌ يخـــلّى مـــاعنـــاه ويقبـــع
أو ان يوش الكأس في سمر الهوى ليضـــاء ليـــل المـــترفـــين فيســطع

أو أن يُبـــاع فيشـــتري إكليله تـاج من المدح الكـــذوب مُرصَّـع
لكن أريـد الشعـر وهـو بـدربنـا مجـد وسيـف في الـكفـاح وأدرع

والشعر ـ عند الوائلي ـ موقف ـ قبل أي شيء آخر :

جـنـد الشِـعـر لـلـمـواقـفِ والـشـعـرُ بـلا مـوقـف كـلامٌ رتـيـب

ومثلما للشعر دوره الكبير في الحياة فإنّ للأدب عموماً رسالة يؤديها الأدباء المتلزمون حينما يتطلب الواجب وتدلهم الخطوب وقفتهم حيال الحق فيؤدوا تلك الرسالة بأمان واطمئنان غير ناكصين ولا متوانين :

سل الرسالات هل كان الأديب سوىٰ رسـالـة اذ يجـدُّ الأمـر تُـرتقب
وصيحـة تتحـدى البغي أو قبس اذا ادلهمت عـلى أبعادنـا الخطب
وفي النـوائب تـرجيـع لـواهـة وفي البـطولات عـزم مـارد يثب
وفي الشقـائق فيـما يجتلىٰ عبق وفي الصحـائف فيـما يجتنىٰ أدب

وكما أصبح واضحاً فالوائلي من اتباع المدرسة التقليدية في الشعر النجفي بل من أنصارها والمنافحين عنها ، لهذا فهو يستهجن الشعر الحر ويعتبره بدعة مؤداها عجز وقصور اصحابه عن النهوض بمستوى لانفسهم يواكبون به الأدب الرفيع الذي تتطلبه الشاعرية الأصيلة :

وفـريق تيمـموا الشعـر فـاغتـالـوه والشعـر فكـرنـا المكتـوب
مـزّقـوا هيكـلاً لـه فـاذا الشعـر تفـاريق مـزقت وجيـوب
وأذابـوا وقـع القـرار بمـوسيقـاه فـامتص روحـه التـذويب
واتـاه يستـامـه بعـد نـزع النسر من معشر البغـاث دبيب
زعمـوه حـرّاً وقـد انجبـوه ومحـالٌ أن ينجب المجبـوب
إنها بـدعـة التبني وهيهـات كي يـاوى بخـامـلٍ مـوهـوب
هـدفٌ صـارخٌ وأن سـترتـه ظلمات الابهـام والتغبيب
وسيبقى في النـاس كـل أصيـل ويـولّي لأهله المجلوب

واعتقد جازماً ان الوائلي لو جرّب النظم على المنوال الملتزم الذي نجده عند السياب مثلاً ، لاجاد فيه أيّما إجادة ، ولتخلص من عقدة وحدة القافية ليسرح في الخيال بعيداً ، راسماً صوره الشعرية المتدفقة بلا روية أو تكلف .

مختارات من أشعار الوائلي غير المنشورة

جيل الحجارة

«أوحت بها أحجار غزة ونابلس في أيدي أطفالنا تضرى في مقابلة مدافع الصهاينة».

أربعي (اسرائيل) فالأمرُ جِدُّ ... راحَ وقتٌ به يصعّرُ خَدُّ
لم يكن بالحسبان أنَّ حقوقاً ... هُضمت في حجارةٍ تُسْتَرَدُّ
كيف تلوي الأحجار أعتى الشظايا ... إنما يقهر الشديد الأشدُّ
غير أن الحجارة الحق شفعٌ ... حين تهوي والمدفع البغي فردُ
ومتى ضُمت العزيمة للحق ... فلا بابٌ عن دعاءٍ يُسَدُّ
هكذا كان للاوائل منا ... دعواتٌ مع السيوف تَشِدُّ
فتنالُ النصر المبين وللنصر ... سبيلٌ بغيره لا يُعَدُّ
غير أنَّا لما حملنا دعاءاً ... دونَ سيفٍ لم يأتنا منه ردُّ
ايه جيل الأحجار مرَ علينا ... في اسار الطغيان عقدٌ وعقدُ
نكرع الذل والهوان كأنّا ... مالنا دون ذلك الورد بُدُّ
واقتضانا الضياع مسخ الهويات ... فلا قبل في مدانا وبَعدُ
مزقتنا الأهواء شرقاً وغرباً ... وغمتنا مذاهب لا تُعَدُّ
فإذا نحن ضجةٌ دون شيء ... وصدىً بالأضْعان والغير يعدو
ويريقُ التصنيف في الانتماءات ... خُداع مهما تباين حَدُّ
أيّ فرق والكل صرن إماءاً ... ان هذي ليلى وهاتيك هندُ
سئلتنا اشواطنا وهي ثكلى ... هل درينا حقاً إلى أين نعدو؟
عبثٌ أن يسير ضعن ولا يدري ... لدى السير هل هنالك قَصْدُ؟
والى أن وُلدتَ قال لنا الشوط ... هنا فارسٌ على الدرب يبدو
ولَكم تبدأ السيول بقَطْر ... ولَكم يُشعل الحرائقَ زَنْدُ
ايه جيل الأحجار خلي النياشين ... لركب ما مسَّ صدغيه وَقْدُ
عاش يعطي لنفسه كل يوم ... رتبةً من خياله تُستمدُّ

في امتداد السنين قد يصنع القـ ـادة وقـدُ اللظى وعلمٌ وجُهـدُ
وهمُ في يـومين بالمقعدِ المخمـل والشـوط كـاعبـاتٌ وورد
لخّصوا الدرب فالمعاهـد يسألن : تـرى عـاد للمعـاجزِ عهـدُ ؟
هكـذا فالألقـاب في الكتب سفـرٌ والنيـاشـين في المنـاكب حشـدُ
فتهـادى جيـلَ الحجـارة أنت الـرتبُ الحق والـطريق الأسَـدُ
لـكَ هـذا المتـاف لم تصنـع الأطـماع ايقاعَـه ولا الـزيف مَجْـدُ
والهـوى والمشـاعـر الحق سيفٌ والأمـاني والخـافقُ القلب بَنْـدُ
يـا دمـا سـال لابن سبـع وعشر فـوق رمل فالرمـل شيحٌ ورنـدُ
وقعتـه رمال (غـزة) أو (نـابلس) لحنـاً وغـرّدت منـه (لـدُّ)
وبـأجراس من كنـائس (رام الله) وقُـداسـه مدى الـدهـر خُلْدُ
ولدى (القدس) في المنـائر والمحراب من طهـره صـلاةٌ ووِرْدُ
سـوف تبقى على الرمـال شموخاً مـا لـوى منـه غـاصبٌ مستبـدُ
كبريـاء البارود مـرّغهـا الرمـلُ بـأحجـاره فللرمـلِ حمـدُ
حيث للبغي بـالمـدافـع جنـدٌ ولـدى الله بـالحجـارةِ جُنـدُ

★★★

يـا مـدىً يـأسر المسامـع والأبصار فـيما لـديـه بـعـدٌ وبـعـدُ
الـرسـالاتُ في مـداه نـجـومٌ والـنبـيـون فـيـه هَـديٌ ورُشـد
فـأبـو الأنبيـاء والـروح والعـذراء قـدسٌ جـلالـه لا يُحَـدُّ
وهـديـرٌ فـيـه مـلاحـم كـنعـان بـوعي الـدهـور فيه بـرقٌ ورعـدُ
ودوالٍ تـبرّج الـكـرم فـيـهـا مثلما اختـال عنـد حسنـاء عقـدُ
شَـفٌ مـاءُ الكـروم حتى أغـاض النجم في ان يحكيه في الأرض نِدُّ
وهـوى الـبـيـارات أجّـج مـنـه يـوم قـطف الليمـون وصـلٌ وصـدُّ
والصبـايا تـواضـجُ كثـمار التّـين والـراقـصـات خَـطوٌ ونَهْدُ
تـتهـادى ويهـمس الغصنُ والنبـع وتـغفـو الـزهـور والـطير يشـدو
مـهـرجـان بسـاطُـه الـسـنـبـلُ الأصفـر والخيمة السـما الـلازوردُ
مـسـرحٌ للقلوب والفكـر والعـين بـأبـعـاده هـيـامٌ ووجـدُ
مهـد (عيسى) رزيـةٌ حـين تُسبى عنـد رجسٍ وأنت للطهـر مهـدُ

ويُداسُ القرآن فوقك والانجيل والضاربون عجلٌ وقردُ
صمت المصحف المرتّل والقدّاس والقدس لا رحالٌ تُشَدُّ
حَزِن ابن البتول عيسى لقتلى رضّعٍ عند حلمة الثدي أُرْدوا
وشبابٍ براعمٍ وصبايا زفّهم في مواكبِ العُرس لَحْدُ
وأعدّ الريحان لا لسرير العرس بل للنعوش سوّاه وعدُ
كان يغدو على العرائس اكليلاً فيا للريحان للقبر يغدو

* * *

قد سقى الرمل من مواويل حزنٍ والدٌ ثاكلٌ وأمٌ وجدُ
فاحملوا هذه المواويل أحجاراً إذا اشتدَّ جَزْرُنا فهي مَدُّ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نبي السَّلام

بمناسبة ولادة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

كتبَ الكون عنه في تقريره انه الكون كله في صغيره
وهو للعالمين طُراً عطاءٌ فعلامَ الاصرار في تنصيره
مولدٌ للفداء جسَّدَ روحاً انه روح الله في تصويره
فتلقّاه الكون نجماً وروضاً وانتشى من شعاعه وعبيره
آنست بيت لحم طلعة عيسى في جلال ما حدّثوا عن نظيره
خلق الله رحمةً وجمالاً وجلالاً فصبّها في سفيره
وتسامى بصُنعه والنبوات نسيجٌ مميزٌ بحريره
وبراه ليمسح الشرّ بالخير فكان المسيح في تبشيره
ايها الراهب الذي نبذَ الدنيا وخلّى كثيرَها لييسره
خرقةٌ عند العُري ثم رغيفٌ عند جوعٍ وهجعةٌ في حصيره
ووسادٌ من الرمال وظلٌ بذُرى عوسجِ الفلا في هجيره
فالفلا دارهُ الكبير وكل الناس أهلٌ في حُله ومسيره
وأميرٌ كنوزُه كلُّ قلب حل الحب خالصاً لأميره

ذاك سلطانُه فأين السلاطينَ جميعاً من جُنده ونُشيره
كلُّ عرش ان لم يقم بقلوب فهو طيف الخيال في تعبيره
والنبوات عرشها من قُلوبٍ ليس يقوى شيءٌ على تغييره
يا رسول السلام إنّك تأبى أن يساءُ السلام في تفسيره
إن خدّاً أردته يحملُ اللطم تمادى بالظلم في تصعيره
صنف الكون في مقاييس تأباها وآذى عظيمَه بحقيره
ورأى الناس دونه في جذور فتنائى مسيره عن مسيره
إنه ابن السماء فيما يراه وهم ابنُ التراب في تبريره
ولقد كنتَ واضحاً وهو خبٌّ عاشَ يخفي الأحقاد في تكفيره
إنه اللؤم في محيا خدوعٍ لست تدري بشيره من نذيره
إن رهطاً يُنمى اليك بريءٌ منك في فعله وفي تفكيره
يا نبيَّ السلام والنور يا من هو حبٌّ لخصمه ونصيره
أنت تُحيي الموتى بإذنٍ من الله وعن أمره وعن تقديره
وتُشيع الوفاء والبر في الكون وتوصي غنيه بفقيره
فغريبٌ من كادرٍ لك يُنمى ان يميتَ الأحياء موت ضميره
كلُّ ميت من العداوات يحيا وكريمٌ يموت من تدبيره
لوّث الأرض والسماء وحتى البحر يشكو التلويث من تفجيره
أين أولاء منك حتى وإن شدَّ بك الانتساب في تجذيره
أنت كالشمس يأخذ النور منها الورد في الحقل والقذى في حفيره
وهي تبقى شمساً ويبقى القذى نتناً وأين المنير مِن مستنيره؟
يا رسول السلام أبناءُ حربٍ قد تباروا للكون في تدميره
في شعارات كذّبتها النوايا احكمَ النفط صوغها لأجيره
واستخلرا الأحقادَ والطائفيات فعاثت كالخمر في سكّيره
وأعيدت مصاحفٌ رفعَ (ابن العاص) فيها الخداع يوم هريره
والعزيفُ المجنون يرقص للدم ويشدو لمدفع في هديره
ووجوه الشباب في حمم الليزر يشوي منها اللظى في زفيره
رألوفُ المعوّقين حطامٌ قد تبارى البارود في تكسيره
والبواقي أراملٌ ويتامى عاشت الدمع تحتسي من غزيره

وشؤون مريرة وسجونٌ ... وغَدٌ مظلم الرؤى في مصيره
وإلهُ الحروب فوق سريرٍ ... وكُسور الرجال حولَ سريره
يتباهون انهم اعبدُ السلطان ... لا يرغبون في تحريره
والغواني وراقصات الجواري ... جنب تسبيح البوق أو تكبيره
صادحاتٍ ينسجن ثوباً مُعاراً ... يُدرك العارفون كُنْهَ معيره
فإلى الموت إن أردتِ حياءاً ... أمتي لا خيار في تخييره
يا شذى روح الله هبّ علينا ... إن ابليس نافخٌ في كيره
وأعد للربيع فينا شذاه ... وابعث الجلنار في تزهيره
رُدّ عنّا مخططاً أجنبياً ... نجح الاستعمار في تمريره
فلئن كانت اليهود ارادتك دماً ... تسكر الهوى من خميره
فعلينا قد ألّب الحقد وحشاً ... يحسب الدم سائغاً من غميره

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رسالة الى صغاري

لا تلمني إن الملام تجني ... وأعنّي إذا استطعت أعنّي
ما احترفت الجوى لأقلع عنه ... فأشر للجوى ليقلع عني
ما سوى الحزن في الوجود فلا ... تُكْثر لومي إن صرت مدمن حزنِ
واذا ما صبرت دني فلا تلمح ... غير الأحزان خمراً بِدَنّ
إنّ لحناً يصوغُه الحزن لحنٌ ... عبقريٌ من دُونهِ كل لحنِ
اخلفتني تطلعات يقين ... كاذب الوعد فاستجرت بظني
وعشقت الأحلام أغرق فيها ... فهي إن خان واقعٌ لم تخني
وإذا أكدت الوسائل بالآمال ... افضت بطبعها للتمني
أرأيت العقيم إذ يحرم الطفل ... فيروي غليله بالتبني
ها أنا أنشدُ السمو بأحلامي ... لا سمو عن واقع متدني
نعمة الحلم عند صحوا الرزايا ... نعمة النَجم في ظلام الدُّجُن
أنا لولا الأحلام ما كنت إلا ... مشرقاً في يد الأسى المرجحنِ
يا صغاري على البعاد سلامٌ ... من أب شاء حزنه أن يُغني

وكثيرٌ من الغناء نُواح يتخفى بثوب شدوٍ مُرِنّ
وإذا غنّت الجراح مشى الابداع لحناً في عود كل مغنّ
أنا بالليلِ آهةٌ تتحدى كلَّ ورقاء أنت اني كأنّي
فإذا أصبح الصباح افاق الوقد بالقلب والشرود بذهني
قد ألحَّ الطعن الشديد على روحي ومالي وحقكم من مجنّ
والذي يرفدُ الشجون طيوف أين يممت الوجه لم يدعني
حملتكم مشاعري خفقاتٍ باكياتٍ في نابضٍ مستجن
والى أن أضم منكم وجوهاً بينها حال البعد دهراً وبيني
سيظل الحنين وردي وزادي وبريد الدموع منكم ومني
عمّركِ الله يا طيوف بلادي ما الذي تحمليه زاداً لفنيّ؟
كم تمنيت أن أجليك مجداً وأرجّي بك العلا وأُمَني
وجبال الشمال تشمخ زهواً ونخيل الجنوب حلو التثني
وهديرُ الفرات والدجلة البيضاء امتاع كل عين وأذنِ
والمواويل في مطارفك الخضراء والعيش في غدٍ مطمئنّ
غير أني ويا هول ما قاسيت مما سمعته غيّراني
كل آنٍ أرى معز يرن الثكل في صوته ولا من مهني
وتطيح الأمجاد مجداً فمجداً وتعود الصروح مفروش عهن
وصنوفٌ مروعةٌ من مآسٍ لم ترد في تأريخ انسٍ وجنّ
وإلى أن يطوى الدجى وإلى أن يترك العزم مشيةَ المتأنّي
وتعجَّ الرحاب بالفارس الأسمر في صهوة الجواد الأرنّ
سوف أبقى أعيش في لجّة الأحلام من جور واقع متجنّ

سناء محيدلي

قالها بمناسبة مرور اسبوع على استشهاد (سناء محيدلي) في عملية بطولية في الجنوب اللبناني ضد العدو الاسرائيلي :

تطلّعَ يستجلي سنا الأرضِ كوكبُ ... فشـدَّ بعينيـهِ جبـينٌ مُعصبُ
تعرى به لبنـان سهلاً وشـاهقاً ... وشـاطِىءَ بحـر بـالحـلا يتـأشّبُ
ومرت به شمسُ الجنوب فأنضجت ... به الكَرْم فالصهباء في الصدغِ تلهبُ
وجسـدَ أطيـافَ الفـداء كـريمـةً ... الى بدر واليرموك تُنمّى و تنسبُ
هو المجد يا دنيا (سناء) فغردي ... فأنتِ أريجُ الخلد بل أنت أطيبُ
دم وسرايانـا ـ ذميـلُ مسـيرُهـا ... وعـز أمـانينـا رجـاءٌ مخيّبُ
تألق فانزاحت عن الليل عتمةٌ ... وأمـطرَ فارتـدت سحائبُ خُلّبُ
وما مسحَ الأذلال عن وجه أمةٍ ... كمثل وريدٍ بالدم الحر يشخبُ
ولاختصر الدربَ الطويل كخطوة ... مشت في طريقِ المجد وهي تؤثّبُ
رأت غايةً للدرب فاندفعتْ لها ... وما رجعت والمدفع الوغد يصخبُ
مـلاحمُ آبائي سمعت هـديرهـا ... بصوت سناءٍ وهو للمجد تغضبُ

★ ★ ★

(سناء) رأيتُ الشمس رغم سناءها ... تمجدُ ثوبـاً منك بـالدمُ يخضبُ
ويخضلك التأريخ سفراً وصفحةً ... بما ينزف الجسمُ الممـزق تُكتبُ
وأطيـافُ ايمـانٍ ورمـزُ صـلابـة ... سقى غرسَها في أرض (عامل) (جندب)
وأنت على الجوزاء كأسٌ كريمـةٌ ... تُهيب بـأبـطال الخنـوع ليشرب
متـونٌ وان ثِقـلُ النيـاشـين ادّهـا ... يشرّفهـا في كعب رجليـك شبشب
وعـزمةُ صقرٍ فيك تفـدي شموخَهـا ... خنـافس في مستنقع الـوحـل تـرسبُ
سيبقى وانْ شظّاه بارود مدفعٍ ... بثغرك صدّاحٌ مدى الدهر يخطب
أجل وسماتُ المجد صهوةُ سابحٍ ... شموسٍ بغير الدم هيهات تركبُ

★ ★ ★

(سناء) ودعوى التضحيات لسانُها صدوق ودعوى الادّعـاء تُكَذَّبُ
وكلُ قِناعٍ يُحكم الزيف نسجَه سيُحسرُ عن وجهٍ ويَبدو المنقّب
وتبقى الشعـاراتُ الكذوبـةُ سُبَّة تنمُّ عن الجبنِ الذليل وتُعـرب
تكـذبهـا حـريـةٌ مستبـاحـةٌ ويخجـلُ منها بـالهتافـات يعـرب
ويلعنُ دعـوى الاتحـاد تجـزؤٌ على كل شبرٍ منه دينٌ ومذهبُ
ورأسٌ حـواليـه رؤوسٌ تعفّنت فلو شمَّها نتنٌ من النتن يهربُ
تُسطر أمجاداً كذاباً لشيخهـا وتعزو له كـلَّ الشموخ وتنسبُ
لعنتُك من داء تأصلَ جذرُه بجسم وأعيـاه الطبيبُ المطببُ

★ ★ ★

ألا أيُّهـا الليلُ الطويلُ أمـا لنا كمثل ليالي الناس صبحٌ فيُرقبُ
ألسنا كمثلِ الناس صبحاً وعتمةً وفي أفقنـا شمسٌ تهلُّ وتغـرُبُ
فما بالُنا لا يعرفُ الصبـح أفقَنا إذا مـا تولى غيهبٌ جدّ غيهبُ
تقضم منـا الأجنبي بنـابِـهِ ومن أهلنا الحكام نـابٌ ومخلبُ
فنحن بـظفر الكاسرين فريسةً يمـزقنـا هـذا وذلـك ينهبُ
ونحن بكف الفاتحين منا هبٌ كـرامتنا تستام والأرضُ تسلبُ
وقـادتُنا ليـلٌ وخمرٌ وسـامـرٌ ينـظرُ ليلَ المترفين وربـربُ
ومفترِشُ النعمى وبالشعبِ فـاقةٌ ومستروحٌ والشعب يشقى ويتعبُ
ونحن ضيـاعٌ وامتهـانٌ ومحنـةٌ سنبقى بها حتى يثور المعذبُ

★ ★ ★

عروسَ الجنوب الحر ألفُ تحيةٍ لا فراش عُرسٍ بالشموخ مطيبُ
وأيُّ عروسٍ مثل يومِكِ يحتفي بها الدهر من فرطِ الجلال ويُعجَبُ
ولكنني أُنبيـك أن عـرائسـاً على دربك المزهو بالأمس طنّبوا
أصـاخوا لأنغـام الخلود وهـزَّهم من الخلد قيثارٌ على البعد يُطربُ
فتاهوا بما أسدوه للمجد من يدٍ وتـاهَ بهم أفقٌ أعـز وأرحبُ

★ ★ ★

الذبابة المسافرة

هذه قصيدة في ذبابةٍ ركبت على كتف الشاعر وهو في طريقه الى دخول الطائرة ، وكل ما دفعها عادت مرة اخرى حتى نزلت معه على أرض الكويت فأوْحت له بالأبيات التالية :

وذبابةٍ طارت معي من أرضها طوعاً ... ولم يعصف بهـا تهـدير
صعدت معي طيارةً في رحلةٍ ... كتفـاي كرسيٌ لها وسرير
لم تلقَ أيّ موانعٍ في دربها ... بل حيث تشتاقُ المسير تسير
لم يطلبوا منها الجوازَ ولم يصلِ ... لمزاجها من أجله تعكير
فتنقّلت عبر الحدود طليقةً ... في حيث لا منع ولا تحجير
فنجت فلا رعبُ المباحثَ سدَّ من ... فمها ولم يعبث بها شرّير
وتصرفت مختارةً في فعلها ... إذ لا رقيب حولَها وخفير
عُرفت بعلمانيّةٍ لا مذهبٌ ... من أجلهِ شجبٌ ولا تكفير
لا تجتوى أو تجتبى من أجله ... وينال منها تافهٌ وحقير
تُسبى هويتُها ويُسلبُ قوتُها ... ويأدُّ منها النبزُ والتحقير
وصلت لمنأىً لا الكلاب تشمّه ... أبداً وليس يعضه خنزير
وتمتعت بهوية دولية ... فبكفِّها أنّى تشاء مصير
وقعت على أيّ الارائكِ تشتهي ... فلها فراش ما تشاء وثير
اني لأحسدها على حرية ... منها ابن آدم لو تتاح جدير
إن الحياة بدونها عبءٌ وآلامٌ ... وطعمٌ ما علِمت مرير

★ ★ ★

أذبابتي أشكو إليكِ هواننا ... وضياعَنا والباقيات كثير
أترين أنّا من سُلالة آدم ... أم أننا للسائمات نَصير
انحى علينا القسر حتى أنّنا ... همَلٌ يُقاد كما يقاد بعير
واجتاحنا قهرٌ فماتت نخوةً ... وذوى شموخ واستكان هدير

وأمـاتنـا الـطغيـان يصنعنـا دمىً ... مـوتى يـزوّق مـوتهـا التصـوير
وتأنّق الاعلان يروي بؤسنا نعمى ... ويُبـدع عنـده الـتزويـر
نحن الرواحل سِيمَ من أكتافنا ... مـا استنكفت أن ترتضيه حمير
فهي التي عمِلت بأكلِ شعيرها ... ولكم نكـدّ ومـا هنـاك شعـير
بنت الفتـوح دمـاؤنـا وابـتزّهـا ... مَن عِنْـدَه التـطبيـل والـتزمـير
ممن ونحن على اللظى وغطاؤنا ... البـارود وهـو سُرادق وحـرير
لكنهـا الأهـواء شـادت ضَـرْحَـه ... وفمُ الهـوى عفنُ الكلام أجـير
وجنـودُنا وعـلى الحقولِ شـواهدٌ ... من كدحها وعـلى الربى تعمـير
ذابت على المسحاة تفترعُ الثرى ... فتـرفٌ فيـه غضـارة وخضـير
فجنى الثـمار مرفـهٌ وطغت على ... دنيـا الكـوادح كِسـرةٌ وحصـير
واستـاقهـا للصـادحين فغـرّدوا ... وشدا لـديه فـرزدق وجريـر
فـإذا الخنـا والسيئـات مناقبٌ ... وإذا الخـراب خـورنق وسـدير

★ ★ ★

اذبـابتي يُهني طَنينَـكِ انـه ... حـرٌ ويُخنقُ عِنْـدَنـا التعبـير
ولديكِ متسِعُ المدى ولنا مدىً ... بالرغم من سعة المجال صغـير
قـد صَغّرتـه نفـوسُنـا وطبـاعُنـا ... فتحكم الايـراد والتصـديـر
أوليس يُضحك ان يطولَ بافقنا ... الـذبّـان والانسـان فيـه قصـير
ويسفٌ فيهِ الى الحضيض بنو الورى ... وبـه الذبـاب الى السماء تـطير
اسمعت بالكذب الصراح ذبابتي ... ولكم لـدينـا كـاذبٌ ومبـير
رسمـوا الحدود واعلنـوها وحـدةً ... اكـذا يكـون اللف والتـدويـر
كتبـوا عـلى ابـوابهم حـريـةً ... من بعضهـا التكبيـل والتـدمير
اما اشتراك الكل في الدخل الذي ... يجنى فـأمـر مـالـه تفسـير
فـالوابـلُ الدفّـاق رزقُ عصـابـةٍ ... امـا الشعـوب فـرزقهـا التقـطير
مـدنٌ يغلفهـا الـبريق وتحتهـا ... عفنٌ رواهـا النتن والتقـذيـر
يـا مَنْ تجذر بـالشعوب وبـاؤهم ... ان الـدواءَ القـطع والتجـذير

لكم بوعي الشعب ايُّ جرائمٍ لا الحـد يغسلهـا ولا ،التعـزيـر
وعداك شعبي العذر بعضُ مواقفٍ لا العـذرُ ينفعهـا ولا التعـذيـر
مـا امة قـد غـيّرت احـوالها مـا لم يجيء من عندها التغيـر
فيم الهـوان وانت لستَ بقاصر فيـما ارى لكنـه التقصـير

★ ★ ★

اذبـابتي اين انتهى بخيـالنـا مجدٌ الى دنيا النجـوم سفـير
والخـالـدان بـطولـةٌ وشهـامـةٌ والبـاذخان الفتـح والتحـريـر
وخيولنا تزجي الغبار لهامة النجمات فـالنجم الشفيف قتـير
فنعـود نمسحه بِعَـرف خيـولنـا حتى يعـودُ النجم وهـو منـير
وعـلى الثرى مما سنابـكُ خيلنا وطئت حـداءٌ شيقٌ وعبـير
تختـال بالشهـداء فوق سروجها لا هـاربٌ من فـوقهـا واسـير
لم تبق آفـاق الشموخ سفـاؤها يـرتدُّ عنه الطرف وهـو حسير
وكبا باشـواق الطمـوح تطلعٌ فـالطرف مُغمض والفؤاد كسـير
ونتـاجُ أمِ الصَّقـر سقطٌ رغم اوحـام شـداد والمخـاض عسـير

★ ★ ★

عبير من دم

«الى الشهيد حجر بن عدي الكندي»

تيممت يوماً (مـرج عـذراء جُلَّقٍ) لـدى تلعـاتٍ في سفـوح جبـال
فمـرتْ رؤىً في ناظـريّ ولـوحت شـواخص في التـأريـخ عـبر خيـالي
وآنست نـوراً في قبـور تعـانقت عـلى بيضِ احسـابٍ وغُـرٌ فعـال
وحين مسحتُ التُرب لاحَ على الثرى شمـوخٌ ومغنَى عـزةٍ وجـلال
وهَبَّ عبـيرٌ من دم سـال اذ أبى بـأن يتنحى عن هـدىً لضـلال
وغـرد في سمعي لحجـر ورهـطهِ هـديرٌ بـورد المـوت غـيرُ مُبـالي
غـداةَ الخَيـارُ الصعب مـوتٌ مـآلُـهُ خلودٌ وعيشٌ ينتهي لـزوال

مســـالـــكُ امـــا للحضيض او الـــذُرى وللرجـــل ان تختـــارَ ايَّ مجْـــال
فكـــان اختيـــارٌ اثبتَ المجـــد انـــه الأسَـــدْ ، وان شـــظَّت ظبـــاً وعـــوالي
فيـــا حجـــر مـــرحى للجبـــين الـــذي ابى السجـــود لغـــير الـــواحـــد المتعـــال

★ ★ ★

ويـــا نبتـــةً رغم الهجـــير تعـــرّست وزَمَّت بمخضرّ الـــــبراعم عـــــالِ
ويـــا جِلسَ محـــراب وخشعـــةَ راهب ونجـــوى تقيٍ في ظـــلام ليـــالي
سقى الله قبـــراً ضمَّ منـــك ورهـــطِك الميـــامـــين اسمى عُصبـــةٍ ورجـــال
وخلدَ منكم للشمـــوخ مصـــارعـــاً ستبقى بـــدرب المجـــد خـــيرَ مثـــال
اجـــلْ وبعـــين الله مـــا ذاقَ أهلُنـــا ومـــا كـــابـــدوا في حب اكـــرم آل
فيـــا رب فيضٌ من نعيمـــك للذي أبَـــوْ ان يـذوقـوا المـاء غـيرَ زلال
ويـــا رب بـــوأهـم كـــريم منـــازل بـــظلك يا من مـــدّ خـــير ظـــلال
وليت الذي قد خـــال ان قد بليتم يرى من هو البـــاقي ومن هو بـــالي
فهـــذا طـريقُ الخـــالـدين ومن يَـــرُمْ خلوداً ســـــواه رامَ الفَ محـــــال
فضمّى رُبى (جـيرون) من اوْلَيَـاتنـا وجـــوهـاً كـريمـات السـمات غـوالي
صحـــائف من خلف الـــتُراب تـــألقت هـــدىً لا يغـــطى في حصىً ورمـــال
رســـائل خـــطتها انـــاملُ (حيـــدر) الى ســـــادرٍ من بغيـــــهِ بخيـــال
لِتُنْبِيـــــه ان المتقـــين مـــآلهم خلودٌ وللبـــاغـــين شرٌّ مـــآل

★ ★ ★

عذرا في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ .

عاشق الظلام

خواطر سجلها في ليلة من الليالي الحالكة

عشقتُ الـــدجى لا كـافـراً بضيـائي ولا لاعـــدَّ النجم من نـــدمـــائي
ولا أنشـــدُ الالهـــام فيـــه فلم تعـــد مجـــال الخيـــال الخِصب ذات عـــطاء
ومـــالي دنٌ في الـــدنـــان أعبُّـــه ولا قمـــرٌ اشكـــو لـــه بُـــرَحـــائي

وما كنت شادي الليل دونَ صباحه ... وبالصبح رأدٌ واجتلاء بهاء
ولكن عشقت الليل يُؤنس وحشتي ... ويستر احزاني عن الرقباء
واقرأ احبابي السلام فان نأوا عليه جعلت النجم من سفرائي
وأرسل احزاناً وِضاءاً طليقةً ... تحررن من قيدٍ وضغط وعاءِ
تعودن يشربن الاباء بشاهقٍ ... وما اعتدن غير النجم من قرناء

★ ★ ★

أقافلتي قد أوحشَ الدرب والنوى ... ولم يبقَ عندي فيهِ من رفقاءِ
وغامت به حتى شموعٌ ضئيلةٌ ... تعودن منح الليل بعض سناء
وعهدي به درب الكرام اذا به ويا لشجوني مسلكُ السفهاء
من الحاسبين المجد ان يأكلوا على ... موائد سحت في حمى الامراء
وان يتقنوا رقص القرود ويُحسنوا نشيد الثنا في جوقة الأُجراء
اذا عادَ فنّ الزيف فناً وحنكةً فماذا يكون الصدق غير هراء

★ ★ ★

اعاذلتي هل في الحياة بقيةٌ ... تُمدُّ اليها العين دونَ قذاء
وهل من طموح الكبرياء بأنها ... تزاحم تجار الخنوع بماء
أكاسٌ بماء مثلُ كاس بصرخد ... ويغلٌ ومهر سابح بسواء
امثلَ الذباب النّسر ان كليهما ... يطير قياسٌ مفرطٌ بغباء
اذا زحم الغربان صقراً بورده ... فليس امام الصقر غير ظماء

★ ★ ★

أطلَّ على الدنيا يكدّر صفوها ... مزاح يمنّي كأسَه بدماءِ
يعذبه ان يضحك الناس مرةً ... ويطربه ان اغرقوا ببكاء
وليس ينام الليل والناس عندهم ... رغيفٌ وبقيا عزةٍ وإباء
حلالٌ له كل الحرام لغيره ... ومن لم يُطعه فهو من عملاءِ
يرى انه الفذ العظيم وانه ... لرعي نعاجٍ لا يليق وشاءِ
وكيف يسوس الناس أرعنُ تافهٌ ... وكيف يُداوى الجهل بالجهلاء
قُصاراه ان يشدو بأصلٍ ... وفعلُه هجين يُعري أصلهُ لهجاء
فما المرء إلاّ ابن الفعال كريمةٌ ... وما الاهل دونَ الفعل غيرُ هباء

★ ★ ★

ومنعطف اشرفت منه على رؤى ... تكاذب وجهاها بدون حياء
تريك حضارات بلفظ وفعلها ... ستعليه قدراً ان تقول بدائي
وكارثة ان يصبح الذئب سيداً ... وأن يتمشى العهر في خيلاء
أفي زمن العلم الحديث وفترة ... تطول السما فيها يدُ العلماء
تقوم بنا يا للتعاسة حالةً ... مكاسبُها غزو وسبي نساءِ
احلّت لرهط عابثين دماءنا ... وصبّت دنان الخمر للزملاء
فيا لايادي النور ينصب عندنا ... بدون جزاءٍ بل لمحضِ حَباء
ألم يسمحوا للنور نمشي بضوئه ... ونشبع من ماء وشمّ هواء
اما تركوا الاثواب فوق متوننا ... وارجلنا جادوا بها لحذاءِ
اما الامبراليون راموا امتلاكنا ... وهم انقذوا الاسرى من الدخلاء
اجل حوّلوا الوهم الكذوب حقيقةً ... فصرنا لهم في اعبدٍ وإماءِ
لكَ الحمد يا من ليس يحمد غيره ... على كل مكروه وكل بلاءِ

★ ★ ★

رجعت الى حزني ألوذ بجمره ... واقنع دائي ان فيه شفائي
ومن عرف الاحزان يعلم انها ... هي المن والسلوى لدى نظرائي
فلولا الشجى ما اطرب الأيك صادحٌ ... ولا غردت صنّاجة الشعراء
ولا كانت (الخنساء) لحناً مخلّداً ... ولا فجرت في (صخر) نبعَ إخاء
وبعض الظما قد يُنشد الوِرد بالظما ... وربُ دواء ترتجيه بداء
حنانيك شعبي ما عهدتُك خانعاً ... وانت ابن عزف السيف وابن جلاء
ولكن وقد تعمي الشعوب طوارقٌ ... تخدر روحَ الشعب دون فناء
وقد تستنيم الكبرياء لفترةٍ ... وقد يستجم المهر بعدَ عناء
ولكنها تبقى الشعوب وان قست ... قيودٌ ولجّ الجبن بالجبناء
ستنقذ اسراها وتنقذ ثارها ... وتنفض عنها الذُّل دونَ مِراء

كواذب الاحلام

اغرقي يا رؤوس بالاوهام ... وعدي في كواذب الاحلامِ
واخدعي فالحياة محضُ خداعٍ ... وهراءٌ مفوف الاكمامِ
اوعزي للطبول ان تكثر القرعَ ... وغذّي الجياعَ بالانغام

واستهيني بـــالنـــاس فـــالنـــاسُ إلّا قلّةً لا يســـوونَ أيَّ اهتـــمام
حفنـــة من ثعـــالبٍ وابنِ آوى وســـــوادٍ مكثّف من ســـــوام
يتـــلاقـــون في الـــطبـــاع على الـرغم من الاختـــلاف في الهنـــدام
مـــا اخـــو الصـــدق فيهم غـــير صفـــرٍ بيســـار مـــا عـــدَّ في الارقـــام
هبـــطوا فـــالنمـــو فيهم نشـــازٌ واصيبت اذواقهم بـــالسقـــام
فـــاذا بـــالـــوجـــود يـــطرب للظفـــر وللنـــاب لا لسجـــع الحـــمام

★ ★ ★

كـــان في هـــذي الأرض بعض ربـــوع وادعـــاتٍ في نعمـــةٍ وجمـــام
قـــادَ من ركبهـــا تـــراثٌ كـــريم من جـــدود في الســـالفـــين الكـــرام
غـــير ان العـــدوى تمشت اليهـــا فسرت في نخـــاعهـــا والعـــظام
فتـــأسّت وللمقلّدِ حـــربٌ فـــوق حـــرب الاصيـــل في الاحتـــدام
فـــاذا الخـــير قـــد تحـــول شـــرّاً واذا الختـــل قمـــةُ الإلهـــام
واذا خـــدعـــةُ الشعـــارات فنٌّ يُتَبَنَّ عنـــد الـــذرى والآكـــام

★ ★ ★

قيـــل حـــريـــةٌ وفي كـــل شـــبرٍ الفُ كلبٍ بـــانفـــه شـــمّام
يتقصّى خـــطاي فهـــو ورائي وهـــو في كـــل خـــطوةٍ قُـــدّامي
واحتكـــام الجلواز وهـــو يقـــودُ الفَم والفكـــر والنهى بـــزمـــام
فـــاذا قلتُ في الســـماء غيـــومٌ هي فيـــما علمت محضُ جُهـــام
قيـــل لي قـــد شتمت غيم الســـماوات وبئس الاخـــلاق شتم الغـــمام
واذا مـــا التفت قـــالـــوا قـــد تـــرصـــدت مـــرور الـــزعيم لـــلإجـــرام
واذا مـــا نفضت كفي قـــالـــوا تنسف المنشـــآت بـــالألغـــام
هكـــذا كبّلوا الجـــوارحَ طُـــراً عن ضروب الارســـال والاستـــلام
وهُمُ يهـــدمـــون في كـــل يـــومٍ مـــا بنى المجـد من صروحٍ عِـظام
ثم يـــرمـــون غـــيرهم أنـــه يمتـــار من كـــل مبـــدأٍ هـــدّام

★ ★ ★

(اشـــتراكيـــةً) ولكن بجـــوعٍ وسجـــودٍ لحضـــرةِ الاصنـــام
عنـــدهـا الفقـــر للجماهـــير والانعـــام ملك الانصـــاب والازلام
تـــرسم العهـــر شـــرعَ كـــل فتـــاةٍ والضـــلالات دينَ كـــلِّ غـــلام

قـــذرٌ في تقـــدميـــات اسمـــوهـــا فصيغت في بهـــــرجٍ من كـــــلام
عـــوّضـــوا النقص في دَوىٍّ كـــما عـــوّضَـه ابن التسعـين في الاغتـلام
واصرّوا بـــانهم هبـــة الـــدنيـــا لاجـــل المســـير نحـــو الامـــام
ضيعـــوا ارضنـــا وبـاعـــوا امـانينـا وحـــطّوا انـــوفنـــا بـــالـــرّغـــام
واراقـــوا الـــدمـــاء في نـــزوات ليس في غـــايـــة ولا في المـــرام
يـــا لهـــدر الجهـــود والصلف المغـــرور حتى في قمـــــــة الانهزام
والخـــداع الاشـــد في دعـــوة الـــوحـــدة في طـــول بعـــدنـــا المـــترامي
فعـــلى كـــلّ رُقعـــة مثـــل جُحر الضبّ رمـــزٌ لـــدولـــة ونـــظام
وحـــدودٌ هيهـــات يعـــبرُ منهـــا غـــيرُ من حـــاز الفَ شرط تمـــام
هي للعـــرب والاعـــاريب حِجـــرٌ وهي مـــــأوى للزط والاعجـــام
فـــاذا مـــا الســـما رعتـــك وقضيت بهـــا حقبـــةً من الاعـــوام
ومنحت الجنسيـــــة المتـــوخـــاة ولفّتـــك بـــدلـــة الاحـــترام
ســـتراهم قـــد صنفـــوك لِحـــام بـــين الآخـــرون أبنـــاء ســـام
ثم راحـــوا يقـــررونَـــك صُبحـــاً ومِســـاءاً بـــالفضـــل والانعـــام
اولست ابن النفط فـاشمـخْ ولـو تـرجِـع بـالاصـلِ للبعـير التُّهـامي
اولا تستحي الشعـــارات بـــالمـــدخـــل من حجم زورهـــا المتنـــامي

★ ★ ★

هكـــذا يـــا عجـــائب الايـــام نحن اسرى الخُـــداع والابهـــام
ليس بـــين الاقـــوال فيـــما روتـــه واتجـــاه الافعـــال ايّ انسجـــام
انكـــرتنـــا نفـــوسُنـــا لمـــدى الاسفـــاف فينـــا بـــالنقص والابـــرام
نحن حقـــاً اولئـــك القمم الشـــمّاء فيـــما مضى من الأيّـــام
يـــومَ زمّت فينـــا سمـــواً وفكـــراً وشمـــوخـــاً شريعـــة الاســـلام
فصنعنـــا نقصَ الحيـــاةِ كمـــالاً وبنينـــا بفكـــرنـــا والحســـام
وتـــركنـــا عـــلى منـــاكب هـــذي الارض رمـــزاً لكـــل مـــا هـــو ســـامي
ورفعنـــا منـــارةً اسرجتهـــا بيض افكـــارنـــا لـــطرد الـــظلام
كيف ذاب السمـــو فينـــا فـــذُبنـــا فـــاذا نحنُ مـــوطىءُ الاقـــدام
كيف تـــاهت طـــلائـــعُ الهـــدي وهي الرشدُ والنور في غِمار الـــزحام
وانتهت تـــأكـــل الفُتـــات عـــلى مـــائـــدة الكفـــر وهي حقـــلُ الـــطعـــام

اقسمت ان تـــبُرَّ كـــلّ دخيـــلٍ وتبنت قـــطيعـــةَ الأرْحـــام
فـــاذا رهـــطنـــا عـــدوّ لـــدود واذا (التيمس) النصـــير المحـــامي
واذا نحن دون طعم ولـــــون ليس نـــدري عن بـدءنـا والختـام
راح حتى شكـــل العـــروبـــة والاســـلام واستبـــدلا بشكـــل هـــلامي

مصرع كباية أو كلاس

في كأس من الشاي كسر وكان يشرب فيه الشاي نحو ١٠ سنوات فقال :

أســـــاقيتي لا المنى تكمـــــل ولا المـــرء يـــدرك مـــا يـــأمـــل
ولا الليـــل دام ولا الصبـــح دام وطبـــع الـــدنى قلّب حُـــوّل
فيـــومـــاً شرورٌ ويـــومـــاً همـــوم وبينهـــــما زمن مهمـــــل
وفحـــوى الـــزمـــان عـــطاءٌ ومنـــع ومن ذهبـــــوا ثم مَن اقبلوا
وقـــد يستـــوي في النهـــايـــات مَن تمشّـــوا وئيـــداً ومَن هـــرولـــوا
ولا بـــد من غـــايـــة للمســـير اجـــل ينتهي مـــالـــه أوّل
وتمضي الانـــاشيـــد والحـــادثـــات ويمضي المفصّـــل والمجمـــل
وليس يـــظلّ ســـوى الـــذكـــريـــات بعمق مـــداركنـــا تعمـــل

★ ★ ★

أســـاقيتي كم شربنـــا معـــاً ولـــذّ بـــاســـماعنـــا محفـــل
فـــما مـــلّ ثغـــرك ثغـــري ولا ســـأمنـــا ولا ادبـــرَ المقبـــل
يُـــاجـــل فيـــك الغبـــوق الصبـــوح فـــأســـأل ايّهـــما افضـــل
بـــأحمـــر ينعشني لـــونُـــه فلون اليـــــواقيت أو أجمـــل
اشـــدُّك للثغـــر فعـــلَ الـــرضيـــع بثـــدي اذا شُـــدّت الأنمـــل
واقـــرأ وجهي عليـــكَ ومـــا اذا كـــان يكـــبرُ أو يـــذبـــلُ
واعـــرف فيـــك الصـــديق الـــوفي فعشرٌ تصرمن أو أطـــــول
وصحبـــةُ عشر بهـــذا الـــزمـــان مكـــاسب في نـــدرةٍ تحصـــل
الى ان رأيتُـــك فـــوقَ الـــثرى وقـــد هُشّم الـــرأس والمفصـــل

فعادت بتحطيمك الذكريات حطاماً واحزنني الموئل
وربَّتَ كأسٍ اذا حطمت تعوض في غيرها المنهل
وكم عاش كأسٌ وراحت شفاه تفاريق منها البِلا يأكل
وقد تستحيل شفاهٌ لنا كؤوساً بثغر لها ينهل
وكلُ تراب له قصة وامس ويومٌ ومستقبل
ولو نطقت طبقات الثرى لأسمعت الاذن ما يذهل

★ ★ ★

أساقيتي وعذرتُ الدموع غداة تملتك اذ تهمل
فما امتهنت كبرياء الدموع لغير اخٍ او هوىٍ يُثكل
وللمرء احبابُه جامد تعلق أم ناطق يَعْقِل
ويستويان بعرف الوفاء فكلٌ له بالهوى منزل
ويُؤذي الوفا عندَ فقدِ العزيز عواطفُ في فيضها تبخل
وهل خلق القلب الا لكي يذوب على الإلف أو يُشعل
وإلاّ فما الفرق ان لم يَذُب أقلب بصدرك ام جندل

★ ★ ★

أساقيتي لكِ اشكو الزمان فمن جهله عجبَ الجُهَّلُ
يذود القريب ويدني القريب ويسمو ويعلو به الاسفل
ويصنع، في جيفةٍ هيئةً لها التُرب لو دفنت امثلُ
وقد يُسأل البغل سبق الجواد وتأبى الفوارق ما يسأل
ويدعو البغاث لصيدِ الصقور فيسخرُ من قوله الاجدل
يُكلف فيه الجواد النهيق وصوتُ الحمار به يصهل
ويطمع ان تلدَ العاقرات وهيهات فالعُقم لا ينسل
ويبقى يسفّ ويبقى يسفّ الى درك ما به انزل
وفي كل هذا تعود الحياة عبثاً ومضمونها يهزل
فلست ألومك أمّا رحلت فقد يستريح الذي يرحل

★ ★ ★

اساقيتي ولع البين بي ولا عاد يدرك ما يفعل
فافردني من رفاق هم مجنّي وسيفي والجحفل

فـــــــراح مجني وسيفي بهم ... وهـــا انـــذا بعـــدهم اعـــزل
ولـــو انهم لـــومضـــوا قـــوضـــوا ... من الارضِ والنفس مـــــا اصّلوا
لهـــــانَ ولكنَّ اطيـــــافَهم ... تلح عـــــليَّ ولا تغفـــــل
وفي النـــوم مـــا عـــافني طيفهم ... وفي اليقـــظة الجـــرح لا يـــدمـــل
وقـــد تَنسَخ العـذب عـذبٌ ألـذ ... ويُلهيـــك عن حـــافـلٍ احفـل
وقـــد ملئـــوا كـلَّ بُعـد لـديـك ... فـــلا فـــارغٌ بعـــدهم يُشغـــل
فـــديتـــك آنيـــةً مـــا خلت ... وعـــاش لهـــا رحم مثقـــل
وعـــاملةً في المسا والصبـــاح ... فـــما كسلت مثـــل من يكســـل
بعـــاطلةٍ هـــزلٌ فكـــرهـــا ... ويُسمنهـــا عَـــطَلٌ مخجـــلُ
تعيش عـــلى رنَّـــة الادعـــاء ... وطبـــلٍ يمجّـــد من طبلوا
ويحتقـــر الكـــدح والكـــادحـــين ... واشرف من مجـــده المغـــزل
فـــما صنـــع الادعـــاء الحيـــاة ... بـــل الفـــاس والسيف والمنجـــل
وليسَ سَـــواءاً يـــدٌ رخـــوةٌ ... واخـــرى بمسحـــاتهـــا تمجـــل

★ ★ ★

أســـاقيتي ان دمـــع الـــوفـــا ... شَمـــولٌ يعبّ وقـــد يثمـــل
وخـــير الـــرسـائـــل مـــا بـــينَ من ... تـــريّث دهـــراً ومَن عجّلوا
ورمـــزٌ يـــدلـــل ان النفـــوس ... عـــلى طيب فـــطرتهـــا تُجبـــل
وقـــربى هـــوىً وقـــريب الهـــوى ... وان بـــانَ في جنســـه اوصـــل
وهـل أسكر الـــروح مثل الجـراح ... وأوحى لهـــا وهي تستنـــزل
وبعض الـــدمـــوع يغني الجـــراح ... وبعضُ الـــدمـــوع لهـــا يُعـــول
ومعـــذرة يـــا وعـــاء الشـــذى ... اذا الـــدمـــع للرزء لا يعجـــل
فـما يعجـل الـــدمـع فقـدَ العـزيـز ... ولا دفـــعَ الـــرزء من حـــوقلوا

★ ★ ★

وفي الـــترب حيث تـــذوب الشفـــاه ... وتـــــذوي القلوب بمـــــا تحملُ
رغـــائب مـــاتت ودنيـــا طمـــوح ... غفت بـــالـــثرى ومُنىً حُفَّـــلُ
واحـــلام امٍ ونجـــوى حبيب ... وشـــدو وروض هـــوى اشهـــل
وغصنُ صِبـــا جفَّ في يَنْعـــه ... ويـــا للصبـــا الغض اذ يـــذبـــل
وخُـــودٌ لَعـــوبٌ طـــواهـــا الـــتراب ... وثـــوب الـــزفـــاف بهـــا يـــرفـــل

وحيث الخـــدود وحيث الشعـــور ثـــوت نبت الكـــرم والسنبـــل
عـــوالم حـــافلة بـــالعـــظات لـــو الـــترب عـــمّا بهـــا ينقـــل
ايـــا مَن يـــرى العيش نبعـــاً يسيـــل وخصبـــاً يـــرفُ ولا يمحـــل
خُـــدعت فكم صـــوحت روضـــةً وكم جفّ عن جـــريـــه الجـــدول
فمن سمـــــة العيش حلو ومُـــــر وحـــــال يُقيـــــد أو يُـــــرســـــل
فـــــان غلب المـــــر طعم الحيـــــاة فتلك هي السمـــــجُ الحنـــــظل
وللمـــوت اكـــرمُ من بعض مـــا يمـــر على المـــرء او ينـــزل

١٩٨٦/٦/٢٦

دمعة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

في رثاء جعفر الخليلي

طواك الردى سفـراً فعِش في كتابـه كبـيرَ المعـاني رائعـاً كـل مـا بـه
فلم اخشى ان يغتالك المـوت فكرةً فما مات معنى الفكر رغمَ احتجابـه
ومثلُك من ان امَّـــهُ المـــوت ردّه خضيـلاً ومـدّ الخِصب فـوق يَبابـــه
ولكنـــه فقـــدُ العـــزيـــزِ فُجـــاءةً ولا امـــلٌ في عَـــودهِ وايـــابـــهِ
ومثـل الحيـاة المـوت سفحـاً وقمـةً ونـزراً وضخمـاً في رصيـدِ حسابـه
ومن محن الـدنيـا بقـاؤك بعـد مَنْ اذا ذهبـوا ابقـوك دونَ مشـابِـه
فـوجـهٌ اذا مـا غـاب تبكيـه سـاعـةً ووجـــهُ تَمَلُّ العمـرَ عنـد غيـابِـهِ
وتـــدفنُ فيـــه بـــالـــثرى ان دفنتـــه وجـــودك ان المـرء بعض صحـابـه

★ ★ ★

احبتنـــا لا الروضُ يُـزهـرُ بعـدكم ولا الغيث يجلو الروضَ عند انسكابه
ولا نـــوب الايـــام في غفـــلاتهـــا ولا العيش في ريعـــانـــه وشبـــابـــه
ولا القمـــر المجلو يجمـــع شملنـــا عـــلى سمـــر غِفٍ بكـــل نصـــابـــه
فـــدهـــرٌ تـــرضينـــاه شهـــداً وبهجـــةً امـــرٌ فـــذقنـــا علقـــماً من رضـــابـــه
ونـــادٍ بـــه كنتم اذا اكتظَّ ســـامـــرٌ نشيـــدَ الهـــوى في عُـــوده ورَبـــابـــه
غفـــا وغفا الشـــادي بهِ فهـــو موحشٌ واصبـــح قفـــراً نـــاعبـــاً بغـــرابـــه

فذوبت روحي بالدموع وبالجوى فما الدمعُ فوق الخد غير مذابه
اجل كل حلو راح بعد رحيلكم وظل الصدى في حزنه واكتئابه

★ ★ ★

(أبا هاتف) والامسُ في ذكرياتنا معالمُ كونٍ ما اختفى في ضَبابه
منيعٍ يجوسُ البارعونَ خلالَه وتبقى حُشودُ الخاملين ببابِهِ
زحمتَ به بالشوطِ حَشْدَ فوارسٍ فآنسَ فيكَ الشوط بعضَ عِرابه
وآثرتَ فيه ان تنامَ على الطّوى جِذارَ خِوان حاشدٍ بذبابه
على حين ضجَّ السُحت في بطن بعضهم ولاحت خيوطُ الرَّيب بين ثيابه
وخِبٌّ تردّى في ثياب ابن آدم ولكن يصيح الذئب تحتَ إهابه
فكنتَ الذي عاش الحياة بفضله وكانَ الذي عاش الحياة بنابه

★ ★ ★

(أبا هاتِف) والدرب لم ينسَ رائداً تقحمه بالامس رَغم صعابِهِ
وراعفةُ الاقلام إلاّ نواشزاً تنظِّر للسلطان كل رغابه
فكم قد توارى في (قرى الجن) عندما ابى الانس ما اسموه فحش سبابه
اخو كِسرٍ في مِزودٍ كبرياؤه تعدُّ الطعامَ السُحت دونَ اكتسابه
ترقّب عيشاً في قناةٍ كريمةٍ وان فاتَ منه عمرُهُ في ارتقابه
ومن احرز الخبزَ الشريف وِطَابُه فكل لذاذات الدنى بوطابه
وكم قهرَ الظلماء وهي كثيفةٌ بِوقدٍ وان اودى به في التهابه
تأبى بأن تطوي له الدرب شبهةً ولم يطوهِ في سرجه وركابه

★ ★ ★

(أبا هاتف) والموت وِردٌ محتمٌ ستكرع حتماً كل نفس بصابه
وقد يستوي عمرٌ بألفٍ وساعةٍ اذا كان كل ينتهي بذهابه
ولكن رأيت الموت اقسى مرارةً اذا اخترم الانسان عند اغترابه
وأن لا يموت السيف في حومة الوغى ولكن يموت السيف وسطَ قِرابه
وأألم وقعاً ان يذودكَ موطنٌ تعشقتَه في قِشرة ولُبابه
تحضنته طفلاً وذبت به فتىً وعانقته في خطئه وصوابه
تغنيت في انهاره ونخيله وسبّحت في محرابه وقبابه
فأنت ابنُه في وقْده وجحيمه وانت ابنه في عذبه وعذابه

وانت نشيجٌ للغريّ ملامحُ ... بمحكم اصلٍ فيه لا متشابه
وتمنع عنكَ الموطنَ الام عصبةٌ ... مكاسبها في نهبه واغتصابه
يذودك بغياً ان توارى بتربه ... مزاج يسيل الحقد بين لعابه
وقد يدَّعي في ذاك صونَ عروبةٍ ... وما ذاق غير العرب سوط عقابه
ولم يختفي حتى على البله قصده ... فقد شبعوا من زوره وكذابه
اذا ذادَ عن جذرِ العروبة (مالكاً) ... واعطى (صلاحَ الدين) حقّ انتسابه
وما ذاك إلا جيفة طائفية ... وما غير هذا زادُه في جرابه

★ ★ ★

(أبا هاتفٍ) يهنيك انّك راحلٌ ... الى ربّك المضمون حسن ثوابه
وصَحْبٍ ستلقى فيهُم كل واضح ... تيمم وجه الله كل احتسابه
وتقرب من شادٍ يناغمُ روْضهُ ... وتبعد عن وحشٍ يهرُّ بغابه
وسوف تسامى ان تخاصَم ظالماً ... فمثلُك مَن خلَّ الظلومَ لعابِه
ومن راح عند الله عاش حقيقةً ... ستنسيه كوناً غارقاً بسرابه
ولله بحرٌ من نعيمٍ ورحمةٍ ... ستسبحُ في تياره وعُبابه

★ ★ ★

اعفَر الثرى يا الفَ بُرجٍ مكوكب ... يلفُّ الوجوهِ الزهر فضلُ نقابه
وجوهٌ رأى فيها الجمال انيقَهُ ... واخرى الجلال اختصَّها لُمهابه
تغولَ مرآها الثرى غيرَ آسفٍ ... وعاثَ بمعناها الردى غيرَ آبه
ونُجلُ عُيونٍ في محاسن بضَّةٍ ... قسا الدود في تمزيقها بحرابه
وتلك الشفاه اللعس صيّرها البلى ... تراباً على سهل الحمى وهضابه
تحدّث عنها القبر بعدَ سكوتها ... حديثاً طويلَ الوصف رغم اقتضابه
طوى القبر احبابي فعانقتُ قبرهم ... اهيمُ لدى احجارهِ وخرابه
فدارُهم من بعد قبرٌ وقبرُهم ... هو الخلد في جناته وكعابه
حَسدتُ بهم اجدائَهم اذ تحضّنت ... معاقد مجدٍ من رعيلٍ نوابه
تهادت بهم بالترب بيضُ شمائلٍ ... كما يتهادى جدولٌ في انسيابه
إيا رملة الوادي على مطلع الحمى ... سلام على رمل الحمى وشعابه
على منزل حَطَّ الاحبة رحلهم ... وحطّوا هناك الخدَّ فوق تُرابه
وعهدي بأن القبر صمتٌ ووحشة ... فلا منشدٌ أو سامعٌ لخطابه

ورمـــلُ (عـلي) (بـالغـري) طـلاقـةً ... وبِشرٌ واخٍ ضـاحـكٌ بـرحـابـه
كـــأن عليـاً صبّ من بسـماتـه ... عليـــه وشـــذّى رمله بـتُرابـــه
فهـامـوا بـافقٍ من مـلامـح (حيـدر) ... يسيـل على الـوادي بسحـر خضـابـه
وعنـــد (عـــلي) للنـــزيـــل حمـايـةً ... ورفـــدٌ وحـــوض مـــترع بشزابـــه
اصابوا هنـاك النور في روعةِ السَّنا ... وسمّـوا هنـاك المسـك وسط عبابـــه
فـديتُ حمىً فيه شـددتُ مشـاعـري ... واهـلي ثـووا في ممـرعٍ من جنابـــه
وغشّـاه مـطلول الخـزامى بـطيبـه ... ورواه نـــوءٌ مـــرزم بسحـــابـــه

★ ★ ★

(أبا هاتفٍ) انّ ابعـدوك عن الحمى ... فـربَّ بعيـد مغـرِقٌ في اقـترابـه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(عبد المحمد)

بمناسبة ذكرى الملا عبد المحمد الرادود

لـــك مهما طـال الـزمـان وأبعـدْ ... صـــورة في خيـــالنـــا لا تتبـــددْ
قســـمات فيهـــا شحـــوب وحـــزن ... وجبـــينٌ من الصـــلاةِ مُسَجَّـــدْ
وجفـــون تقـــرحت وليـــالٍ المتقـين ... الابـــــــرار جَفنٌ مُسَهَّـــــدْ
وزفـــــير في آهـــــةٍ ودمـــــوع ... في رثـــاء ابن فـــاطمٍ ليسَ تنفـذ
كـــل هـــذا (عبـدَ المحمـد) ذخـرٌ ... انتَ فيـــه عـــلى المـــدى تتجـــدد
وسيُحيـــك كلما هـــلَّ عـــاشـــور صدىً من نـــواحِ آل محمـــدْ
وهـــديـــر الصـــوت الاجش ونـــبرٌ ... كم لآل النبي نـــاح وغـــرّد
ويقيني بـــأن دارك في الاخـــرى ... بـــظل الحســـين في خـــير مقعـــدْ
فـــاذا مـــا لقيت يـــومـــاً حسينـــاً ... في مقـــامٍ ســـامٍ وصرح ممـُرد
وتـــــأملت في جبـــــين أبيٍ ... هبط الكـــون كله وهـــو يصعـــد
قـــل لـــه هـــذه مشـــاعـــر عبـــدٍ خـــادم كم روى رثـــاك وردّدْ
هـو بـالغـــد نـاشـد مجدك الغمـر ... كـــما بـــالحيـــاة منـــك تمجّـــد
فتعـــاهـــده يـوم غـربتـه الكـبرى ... اذا مـــــا دُعي الى الله مفـــــرد
وتقبـــل هـــذي المشـاعـر والاكبـار ... من خـــادم المنـــابـــر (أحمـــد)

أيها الأسعد

طلب يوماً التحدث مع الدكتور اسعد علي فقيل له انه في خلوة مع الله ! فأنشأ قائلاً :

أيّها الأسعد الذي من رجائي انه في الدارين سعدٌ وطيبُ
قيل لي انكم قد خلوتم مع الله فقلتُ انَّ ذاك عجيبُ
لم يكُ الله في خصوص مكان انّما الكون فيضُه الموهوبُ
هو في الكون رقّةٌ والعيون الزرق سحرٌ وفي الضمير رقيبُ
وسِع الكون وجهه فالشروق الحلو لمحٌ من وجهه والغروب
فاذا الافقُ روضةٌ والسما زهرُ نجومٍ والارض غصن رطيب
فتحراه عندَ كل مكانٍ فهو بادٍ في كلِّها محجوب
قد رأته الارواح والعين كلَّت ان تراه فهو البعيد القريب
كل شيءٍ من فيضه ونداه والى الله في المصير يؤوب
انّ ربي كما يقول حديثٌ لم يسعه في الذات الاّ القلوب

في رحاب الرسول الكريم

نمنم الصفح والرضا في عقود ثم قلد إذا مننت قصيدي
يا هدى الروح والمنى يارسول الله يا كعبة الهوى المعمود
أنت عندي لكن دارك شطت فتوجهت للقريب البعيد
حاملاً في يدي من وله الأرواح شعراً ومن مذاب الكبود
آملاً ما منحت كعبا وحسّان وها منكبي فهات برودي

****

طيبة يا شذى البساتين طيباً يا هديل المرجّع الأغرود
يا رؤى جبريل والنور والأنغام في نبرة الكتاب المجيد
يا عبير الفتوح يا وهج الأمجاد من عزمة الكماة الصيد
يا ليالي القدر الكريمة قدراً وخشوع التسبيح للمعبود
يا عطاء القرآن يصنع دنيا الحب في أمة من الجلمود

يا أساريـــر من محيا أبي الـزهـراء عـاشت عـلى الـزمـان المـديـد
شـد عيني عـلى رحـابـك أفق رمقتـه السـماء بعـين حسـود
تتهـادى الغيـمات في بعـده الأزرق مثـل الـرئيس بـين الجنـود
حسبهـا أنها تلطف بـالأفيـاء من قسوة الهجـير الشـديـد
والنخيـلات فـارعـات شمـوخـاً في تئن كـالسمهـري الميـد
يشبـه الزهـو في بنودك في بـدر وأحـد فيـالـزهـو البنـود
وقست نسمـة فسفَّ عجـاج عـاد بي بـالخيـال عـبر العهـود
فـأراني وهج السنـابك من خيلك تغـزو بفكـرة لا عـديـد
ضـابحات يعلكن بـاللجم والبيض وميض وجـذوة في الغمـود
في رعيل من صحبك الغر لو شاء لنـال السـماء - في تصعيـد
بنشيـد الله أكـبر في أفـواههم يـا لقـدس ذاك النشيـد

****

ونـظرت الـثرى فـلاحت لعيني صـور الكـدح والعنـا المجهـود
ومساحى الأنصار في الحقل والناضح والصـوت من صريـر الكـرود
وأكف تبني الحيـاة وقـوم يتبـارون للجهـاد - الجهيـد
المـطاعيم حيث مـا لنـزيـل يطلب الرفد مـن قـرىً وورود
ينتمي البشر للشـمائـل منهم كـانتـماء الـرحيق للعنقـود
حلفـاء النبي أنصـار دين الله أهـل الايثـار رمـز الصمـود
قـد تنـادوا لـربهم وهـو نـاداهم فيـا للرعيـل نـادى ونـودى
صـور ردت الحيـاة نعيـماً وأتت مـرة فهـل من معيـد

****

يـا رمـال البيـداء هـل نسى الـرمـل أم استـذكـرت رمـال البيـد
يـوم يمشي (محمـد) فيتيـه الـرمـل من خـطوه الـوقـور الـوئيـد
والصحـارى روح ألح عليـه الجـذب فـأشتـاق للغـد المـوعـود
للخضيـل السخي يغـدق بـالخصب عـلى قـاحـل الـربى والنجـود
للكـمالات للشهـامـة للحـريـة الحق للطريق السـديـد
لخـلاص الانسـان من محنـة الفقـر ومن أفق سـادة وعبيـد
فـانتخت عنـد يـثرب وثبـات تعـد الـدهـر بـالغـد المنشـود

وعـــدتـــه أن ينثني مـــطمئنـــاً بكـــريم وصـــادق من وعـــود

****

في خيـــال الدنيـا نـابـغ وأفكـار تحـــلى الـــزمـــان منهـــا بجيـد
خـالدات في حين بـادت حضـارات ومـــاتت شرائـــع في مهـــود
أرجف الكفـــر أنها فكـــر بـــادت ولفت خـــــوافق من بنـــــود
شرعـــة الله ســـوف تبقى معينـاً ودمـــاً نـــابضـــاً بكـــل وريـــد
كلما أجـــدب الـــزمـــان تنـــامت واستفـــاضت حقـــولهـــا بجـديـد
أنها حـــاسر بجنب ألـــــوف زوقـــوهـــا ببهـــرج - وورود
فـــأنتقـــاهـــا الكمـال والصـــيرفيّ الفهم مـــا غـاب عنـه زيف النقـود

****

يـــا سرايـــا محمـــد أين منـــا حلبـــات في أمسنـــا المفقـــود
يـــوم كنـــا وخيلنـــا تعـــبر النجم وتسمـــو مغـــذةً بـــالصعـــود
سورة الفتح في صليـــل مواضينـا لهـــات الأنغـــام في تـــرديـــد
والأمـــاني عنـــدنـــا في سؤال الله انجـــاز وعـــده لا الـــوعيـــد
مـــا الـــذي نـاب مشرأب خـدود فـــاذا نحن ضـــارعـــات الخـــدود
دجنـــونـــا فنحن صـــوت ابن آوى بعـــد أصـــداء من زئـــير الأســـود
وتـــولى صراعنـــا عن جهـــاد واغتـــدى بـــين قـــائـــد ومقـــود
وجـــه القـــادة اللظى لصدور حسبتهم درع الخـــطوب الســـود
تـاجروا في دمـائها واستباحوهـا وعضـــوا زنـــودهـــا بـــالحـديـد
أكلوا يـــومهـا وبـاعـوا الـذي يـأتي ولاقـــوا نعـــمائهـــا بـــالجحـــود
رؤســـاء عـــلى الشعـــوب سبـــاع ونعـــال خـــدودهم لليهـــود
في شعـــــار تقـــــدمي بلفظ وفعـــــال رجعيـــة التجسيـــد
أنكـرتهـا حتى الـوحـوش لمـا فيهـا من ظلم والخنـــــا والجمـــــود

****

أيهـــا الـــزائـــر البقيـــع تـــأمـــل روعـــة المـوت فـوق تلك اللحـود
وتمـــلا السنـــا فـــذا من نجـــوم سكنتـــه فـــلألأت بـــالصعيـــد
إلْثم الـــترب خـــاشعـــاً وتنشق عبق الخلد في رمـــال الشهيـــد
هـــا هنـــا راقـــدون قـد صنعـوا اليقـظة فـالمجـد في ضريـح الـرقـود

ها هنا للنبي نامت فروع عرفت فيهموا سمات الجدود
ها هنا يرقد النبي بأهليه فهم سنخه بدون قيود
ها هنا معقل الامامة والدين وصنو التقى ورهط السجود
كل فعل دون المقاييس قد يفضي إلى سيء من المردود
سأل العارفون عن سر فعل لم يكلل بالنضج والتسديد

****

شدتموا قبر أحمد ومنعتم منح أولاده بقبر مشيد
أصحيح أن يمنع المثل حكم المثل وهو النضير بالتحديد
فأشمخوا لا يصيركم (آل طه) أن تعرى مصاحف من جلود
يا فراخاً (لفاطم) (وعلي) جاء يسعى لبالكم مقصود
مددا يا أعز من فتية الكهف أفيضوا فكلبكم بالوصيد
ياكساءاً ببيت فاطم ضمَّ الآل في يوم موقف معدود
و(البتول الزهراء) تعد لطفليها سخابا في خيطه المشدود
وبقايا النعاس في أعين الأطفال ناموا على سرير الجريد
ويدا فضة تلملم في جنب الرحى حفنة الدقيق البديد
وعلى سقى بعيلات نخل وأتى أهله بأجر زهيد
بيد ممسك ببضع تميرات وأخرى بحزمة للوقود
وتعد (الزهراء) من آدم (الطائف) فرشاً وخيشة للقعود
وتعد الطعام في طبق الخوص رغيفاً وبُرمةً من عصيد
أكلوا والنبي في دعوات ضارعات بخشعة وهجود
رب أولاء أهلي فطهرهم وهبهم رضاك يوم الخلود
رب وأجمع ما بيننا في ذرى عرشك في يوم ظلك الممدود
ايه (آل النبي) ما مثل هذا أي مجد من طارف وتليد
أين (كسرى) وأين (قيصر) من هذا على كل مالهم من رصيد

****

رب جئنا إليك منك فهذا الكون جزء من فيضك المعهود
رشحة من عطائك الغر يا ربْ فمنك العطاء محض الجود

يا عطاءاً ما شابه النقص والمن وذي رحمة الحميد المجيد
كل شيء مسترفد منك ذاتاً فافتقاري إليك معنى وجودي
ومحال إذ يسأل النقص نقصاً مثله أن يمده بالمزيد
يا ندى يبتدى ويعطي ويعطي الخير حتى لكافر وجحود
بي يارب لوعة ما لها الاك تطغى من حرها الموقود
ذل أهل وغربة تنهش الروح بأنيابها وحبس وليد
ويقيني أني كنود ولكنك أسمى من مذنب وكنود
إنني جئت انتحي منك بابا لا بذي شحة ولا المسدود
رب والكون مبدئاً ومعاداً هو من فيض مبدىء ومعيد
رب فأرحم عبد ألح عليه الضر وأرفق بناحل مثل عودي
يا جلالاً ويا جمالاً ويا رباً تسامى بالعدل والتوحيد
كل شيء ثغر يناجيك بالكون بلحن التسبيح والتحميد

****

أيها الهابطون في رغبات نال منها حتى اخسّ القرود
ها هنا يطفأ الغليل فهيا ننزل الرحل عند نبع برود
فالجنان المفوفات هراء جنب رمل النقا ووادي قديد
والخزامي والياسمين المندى وهزيج من صادح غريد
وبَلِيلِ النسيم في راعش الأفياء والدل من حسان غيد
لا يساوي الهجير في وهج الصحراء أو عوسجاً بسفح زرود
فهنا تستجم متعبة الأرواح في عالم الرضا والشهود
والسعادات ليس إلا بدنيا الله في أفقه الكريم السعيد

******

مكة المكرمة : ٢٩ رجب ١٤٠٧هـ

«دموع قلب»

في رثاء الشيخ سلمان الخاقاني رحمه الله

لا السامرون ، ولا الوادي ، ولا البان كأنّما الأرض ما كانت ولا كانوا
بدء النهاية في يوم البداية للاعمار فالحل بالترحال ايذان
درب الى الموت هذا الكون ما برحت من سالف تتوالى فيه أضعان
أنحن في هذه الدنيا حقائق أم ضرب من الوهم عاشت فيه أذهان ؟
أهكذا يستحيل الصرح أخيلة وينتهي فاذا الأفراح أحزان ؟
وهم ويصحو الخيال الحلو من خدع وتستفيق من الأحلام أجفان
وساعة واذا الدنيا بأهلها طيف تبدّى وولّى وهو عجلان
هي الأماني على كذب تطيب لنا كما استطاب السراب الآل ظمآن
فقل لأحبابنا ممّن نشيّعهم لنحن من شيّعوا لو صحّ ميزان
أقمتم ورحلنا في مشاعرنا لكم فمن مكثوا منّا ومن بانوا

★ ★ ★

تسائل البر والمعروف والخلق الرحب الكريم . . أحقاً مات سلمان ؟
وهل طوى القبر فذّاً من شمائله ومن شمائله علم وعرفان
وطلعة هي روض في مواسمه والروض عطر وأفياء وأفنان
ما أعظم الجنة الفيحاء في أفق تفحّ فيه من الأحقاد نيران
يا واحداً من رعيل سوف يعكسهم صدى على جنبات الدهر مرنان
ممن لدى الروح مثواهم وموطنهم وان ثوت لهم بالترب ابدان
وأجهشت ذكريات عشتها معكم فليت ذكراكموا بالوعي نسيان
وعاد دمعي صمتاً والقلوب لها دمع صموت وبعض الصمت اعلان

★ ★ ★

يا نازحين عن الدنيا وقد نزحت بهم عهود وأوطار وأوطان
أسلمتمونا الى صحراء يغرق في أبعادها الذئب والسهّار غيلان
لا نبع فيها ولا الأفياء وارفة فأين يطفي اوار القلب حران
وضيعة الروح فيمن ليس يعرفها كضيعة الروض والروّاد عميان

★ ★ ★

يـا مِن قبيلته التقـوى وان تـلك قـد ... نعتــه وافتخرت في ذاك (خــاقـان)
مـا أهون الـدم اذ ينميـك دون أب ... مـن النهـى تكـتـني فيــه وتــزدان
فمن بنى الصرح من لحم يموت به ... كــما تموت بــطين الحقــل ديــدان
وغـاية الفكـر والأخـلاق ثـوب عـلا ... وغــايــة الــدم والأعــراق أكــفــان
ولست أبخس من قــومي حقــوقهم ... فقـد أهـون واسم الحق انْ هـانـوا
ولا أعقّ جـذوري الشمّ وهي عــلا ... أدنى مــنــازلــة الــشــعــرى وكيــوان
لـكنـني أعـرف الانـسـان في قـيم ... لا في دم يـستـوي فـيــه وحيــوان
ألم يضق بك حضن الدم أمس ومن ... وشـائج الفكـر قد ضمتـك أحضـان
ســاء انتمـاءك أن تقســو وشـائجـه ... وأن ينــالـك من زنــديـك عــدوان
وان تــذاد ودار الأم واســعــة ... ويحـتـفـي بــرفــات منــك جـيران

★ ★ ★

تحيّـة يــا رعيــل الأمس مـن نفـر ... عـاشوا وماتوا وهم للفضـل عنـوان
الـصــاعــدين الى مجـد وســائلهـم ... اليــه صــبر ، واخــلاص ، واتقــان
أقصى مــطامحهم في أن واحــدهـم ... عــلى الشــدائــد للعــافــين معــوان
مـرّوا عـلى هــذه الـدنيـا بمـزودهم ... كــأنهم في ربــاع الأرض ضـيفــان
لـكنهـم أثـقـلوا الأيــام مـن سـنـن ... لهنّ في النــاس بـرهــان وبــرهــان
يـا من وقد رحلوا هيهـات يـرجعهم ... حــزن ودمــع مـن الآمــاق هتّــان
دعوا الصدى ان رحلتم كي نعيش به ... فــان أصــداءكم بــالسّـمــع ألحــان
وخـلّفـوا طيـبكـم فــالنتن زاحمنــا ... ومحنــة الــطيب أن يـؤذيــه أنتــان

★ ★ ★

(سلمان) لـو نبتت بـالقــبر صــالحــة ... وخــيرات مـن الـتـقــوى واحــســان
والمــترعــات نــدي عــامــر ونــدى ... والــطاهــرات ســلالات وأردان
فــان قبرك ممّـا كــان عنــدك من ... تـلك الكــرائـم جنّــات وأغـصــان
ولـو تسمّعت رمـلاً ضمّ ثغــرك في ... قــبر لــغــرّد بــالأذان قــرآن
لقــد ســألت القــوافي الغــرّ والفكــر الـشــمّاء ، أين مضى عـنهن ديــوان ؟
فـأنكـرت أن يلفّ الفكــر في كفن ... وأن تغــطّى وميض الــروح كثبــان

★ ★ ★

(سلمان) كسرة خبز والحصير وما ... بالنفس حزن ولا بالثوب أردان
هي السعادة في الدنيا ويكرمها ... لو تمّ من بعدها لله رضوان
اني وان أك قد يزهو على كتفي ... خزّ وملء خواني البر والضان
وألتقي كلّ يوم بالحشود ولي ... منهم رفاق أناجيهم وأعوان
قد عدت أمضغ روحي في مشاعرها ... لما ألحّ بها جوع وحرمان
فحيث يكثر زاد والكريم به ... نزر ففي مثله من جاع شبعان
لو يرتضي فضلات الزاد كل فم ... لما تمايز أحرار وعبدان
كفرت بالأوكس الأدنى وان خدعت ... به العيون وبعض الكفر ايمان
فما النعيم سوى روح تناغمها ... ودار عزّ ولوِ كوخ وعبدان

★ ★ ★

مررت عند القبور الدارسات وقد ... مرّت عليهنّ آماد وأزمان
فشدّت الذهن أطياف وأخيلة ... بهنّ للموت فيما غاله شان
هنا عروس بثوب العرس قد دفنت ... وبرعم دفنوه وهو ريّان
على التراب عبير من كمائمه ... ومن عذاريه أزهار وريحان
وذي أمان ذوت في أوج خضرتها ... وكم تعود الأماني وهي أشجان
وهامة هي ميدان لمعرفة ... أضحى بها للبلا والدود ميدان
وكومة من رماد ألحدت أمم ... بها وضمّت بها دنيا وأكوان
نام البليد بها والعبقريّ معاً ... وحطّ في عفرها (موسى) و(هامان)
والترب حضن كحضن الأم يجمع من ... أفيائه من وفوا عهداً ومن خانوا
قرأت أمسي به في صورة لكم ... على الثرى فأنا للأمس ولهان
فعدت أقتات منه في مخيلتي ... حتى كأنكم بالنفس أعيان
فلا تذودوا عيوني عن طيوفكم ... فليس لي غيرها والحق سلوان
أبي وشيخي واخواني وخالصتي ... ترحّلوا فالردى والعيش سيّان

★ ★ ★

(سلمان) أطناب تلك العرب قام بها ... لمعشر من هجان الأصل ايوان
ما فيه من أهلنا ارث فنخوته ... زور وأمجاده خمر ونسوان
ومنبت الشيح والقيصوم ليس به ... معرس أهله طي وقحطان
وليس للسابحات الغرّ يوم وغى ... شوط وللشد قمي الفحل أعطان

والحي ما عاد من طعم وفي كرم ... به يلوّح مطعام ومطْعان
يشجيك ان متون الخيل أثقلها ... عبء وما في متون الخيل فرسان
وان موترة الأقواس قد كثرت ... لكنّها ما بها نبل ولا زان
وان ألف عكاظ لا خطيب بها ... لكنْ بها هذر في القول طنّان
فرائد الضاد أشلاء ممزّقة ... وما لنظم بديع العقد امكان
عرب ويا غربة الفصحى بموطننا ... ورهط ضاد وشيخ الحيّ مرطان
أليس تحسد دنيانا القبور اذا ... ما كان في جوفها (قس) و(سحبان) ؟
كم بالقصور رؤوس هنّ منتعل ... وبالقبور عظام هنّ تيجان

الوائلي امير المنبر الحسيني

ان موكب التضحيات الاسلامية يتسم بطبيعة خاصّة تزخر بمعطيات بناءة تنبعث من خلالها انطلاقة الاصلاح الرائدة . . وذلك اساسه مقومات الشخصية الاسلامية التي ارادها الله ، حيث صياغة انسان نموذجي له وجود خاص نابع عن عقيدته الاسلامية ، مشتقة اصوله من عقله وخلقه وروحه ، وحينما تراه تجده يتطابق سلوكه الواقعي مع مبدأه الذي يدين له بالولاء .

والاسلام العظيم عقيدة مبدعة ذات فاعلية ايجابية على سلوك معتنقيها بحيث تجعله في حركية داخل اطارها الذي تحدده له ، ولهذا نلاحظ ان لمفهوم التضحية والتفاني قدسية ترتكز على معطيات مبدئية . . ومن يتصفح تأريخ الفداء في الاسلام يتضح له بكل جلاء ما كانت تستلزمه رسالة السماء في ابنائها ، وما تشهد به المواقف البطولية الرائعة التي سجلها شهداء الرسالة الغراء ابلغ دليل واسمى مثال .

واذا ما استعرضنا التأريخ الجهادي لامتنا نجد ان ثورة الحسين عليه السلام ، تقع في طليعة اليقظات الشاملة في وجدان الأمة ، واذا كان مفهوم الثورة يعني الادراك الكلي لجملة المتناقضات التي تعيش عليها الامة بشتى صورها فاننا نلاحظ ان الحسين فجّر ثورته ضد تلك المتناقضات التي عاشتها الامة أيامه ، فهو عليه السلام بعد ان وعى بذهنيته الوقادة مدى ما تخلقه تلك التناقضات وما له من تأثير في توجيه العقلية الفتية آنذاك وجد لزاماً عليه ان يقف بالمرصاد امام التخلف والتبعية والاستغلال الذي يعتبر السبب المهم والمباشر في قيام الظلم

والطغيان . ولقد اشار الامام الحسين عليه السلام الى غايته المثلى من نهضته المباركة فقال :

«اني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الاصلاح» .

والاصلاح الذي اراده الامام الحسين انما هو التغيير الصحيح وليس بالامنية فحسب ، وليس هو بالاشياء التي يمتلكها غيرنا ذلك ان الانسان هو صانع تأريخه وهو الذي يغيره حينما يدرك قوانين التطور واسباب حركته ، وهو بهذا الادراك يستطيع ان يغير واقعه بعد ان يفهمه ويطوره على ضوء ما يمتلكه من وعي وفهم لأن الثورة هي ارادة التغيير المقرونة بالفهم الواعي وهذا ما نتلمّسه من خلال خطبة له حيث يقول :

«ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من ان تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» .

ومن هنا سلك الامام الحسين طريق الاحرار الذين يتراءى على موكبهم عنوان العز والشرف ، فقدم نفسه الشريفة قرباناً على طريق الفداء والحرية والكرامة . واقتفى اثره شيعته الابرار ، وثاروا في وجه الطغيان المستكبر ، فعقدوا مجالس احتجاج حول قبر الحسين وشرعوا يمرون بذاك اليوم بخشوع ورهبة ، ويعقدون به وبما سبقه مجالس تشحذ النفوس وتدفع للموت ، ظاهرها عبادة يدعمها روايات ، وحقيقتها احتجاج صارخ وتصميم على التضحية .

ولا ريب ان خطباء تلك المجالس كانوا يذكرون مناقب اهل البيت ويتغنون بدفاعهم عن الاسلام وتضحياتهم في سبيل المصلحة العامة وينفذون من ذلك ولو تعريضاً لما يكشف نفسيات معاصريهم من الملوك وولاة العهود وبطانتهم من ولاة الجور ، ولقد اقضّت تلك المجالس مضجع الدولة فشرعت تحاول الحدّ من قوّتها وتدس في بطانتها من يقيم احتفالاً بيوم الغار الواقع في ٢٨ ذي الحجة واحتفالاً بذكرى قتل عبد الله بن الزبير الواقع في ١٨ محرم لترد بها على عاقدي مجالس المحرم ، ولم تكتف الدولة بهذا الرد ، بل شرعت بلسان تلك البطانة تحض الناس على اتخاذ العاشر من المحرم عيداً يظهرون به جديد الثياب وكامل الزينة ، ويتبادلون الهدايا وفاخر الاطعمة .

وما ان دالت امية حتى انزوت احتفالات يوم الغار ويوم عبد الله بن الزبير ، وجاء المتوكل العباسي يهدم الضريح القائم على جسد الحسين خشية انعقاد تلك المجالس ، والمتقي العباسي يأمر بهدم مسجد (براثا) في بغداد الذي اصبح مركزاً لمجالس الحسين ، بغية الحد من جذوة المعارضة المتقدة .

واستقبلنا عصور الجهل والانحطاط فاقتصرنا في مجالس المحرم على سردالروايات باصْوات شجية ناسين ان الذين اسسوا المجالس ارادوا منها المحافظة على منهاج الحسين والموت اقتداءاً به ، حرصاً على جمع الكلمة بانتزاع الزمام من الذين دفعوا العامة لهاوية الغرق . . وهكذا مرّت قرون اولها العصر العباسي الثاني ، وآخرها القرن الحاضر ، وجلّ خطباء مجالس الحسين ، يجهلون استثمار الفائدة التي اسست لها تلك المجالس ، فلا يوجّهون للتضحية في سبيل المصلحة العامة ولا يتعرضون لمرض سياسي يفتك بعصرهم .

وخلال هذه الفترة التأريخية ظهرت مؤشرات هامة في تأريخ المنبر الحسيني ينبغي التوقف عندها لمن يريد تتبع تأريخ الخطابة الحسينية ومن ذلك :

١ ـ لما ألّف الملا حسين بن علي الواعظ الكاشفي البيهقي السبزواري المتوفى ٩١٠ هـ كتاب روضة الشهداء ، أخذ مؤنبوا آل البيت يتلونه على المنابر فاشتهر كل منهم (بروضة خوان) اي قارىء روضة الشهداء ، ثم صار لقباً لكل من قام بهذا العمل ، وما زال هذا اللفظ شائعاً لدى العامة في العراق والخليج العربي «روزخون»[1].

٢ ـ وبعد ذلك بمائة عام تقريباً ألف الشيخ فخر الدين الطريحي (٩٧٩ ـ ١٠٨٥ هـ) كتاب «المنتخب من المراثي والخطب» وهو كتاب ضخم من مجلدين يحتوي على عشرات المجالس الحسينية المرتبة على ايام المحرم يبدأه بخطبة مسجوعة لكل مجلس ثم بآية قرآنية أو حديث شريف وقصيدة شعرية ، ثم يخوض بعد ذلك في احاديث تأريخية شتى تتعلق نهايتها بذكر شهادة الحسين عليه السلام وذكر مصائب آل البيت عليهم السلام ويختم كل مجلس بقصيدة رثاء حسينية لشاعر من شعراء عصره ، وألف ابن عمه الشيخ عبد الوهاب الطريحي كتاباً يحمل اسم (المنتخب) ايضاً غير ان شهرة الاول طغت عليه ، واشتهر كتاب (المنتخب) اشتهاراً عظيماً بل استعيض به في كثير من الاحيان عن قراءة المقتل ، وهي الطريقة التي كانت شائعة قبل تأليف هذا الكتاب ، وقد طبع المنتخب في تركيا والهند وايران والعراق ولبنان طبعات كثيرة وما زالت شهرته كبيرة خاصة في دول الخليج العربي ومنها البحرين حيث ما برح الوعاظ يحفظون الكثير من فصوله ويتلونها عن ظهر الغيب ، وربما ألّفت كتب على غراره في العصر الذي تلا عصر الشيخ الطريحي .

---

(١) راجع ما كتبه الميرزا محمد باقر الخونساري في روضات الجنات ص ٢٥٧ وما كتبه السيد هبة الدين الشهرستاني في مجلد المرشد ٣٠٦/١ ، وما كتبه الحاج الملا علي الواعظ التبريزي في وقائع الايام (مجلد المحرم ص ٢٨٤) .

٣ ـ نبوغ جماعة من خطباء النجف في فن الخطابة الحسينية ، ينتمون الى اسرة آل سبتي ـ وهي من الاسر العربية السهلانية ، وذلك اوائل قرننا الحاضر ، ولهؤلاء يرجع الفضل في تجديد موضوعات المنبر الحسيني وتنوعها ، واكتشاف ـ الاكريز ـ وهو اختيار اللفتة الذكية المناسبة التي تجمع بين الحديث التأريخي او الادبي او غير ذلك وجعله متفقاً مع نهاية مؤثرة تتعلق بذكر الحسين وآل البيت عليهم السلام . ولنا في كلام معاصري آل سبتي حجة على ذلك ، سواء من العلماء الذين حدثونا عنهم او من حديث المؤرخين والادباء الذين ذكروهم ومنهم المرحوم الشيخ جعفر آل محبوبة مؤرخ النجف المعروف ، قال عنهم :

«آل سبتي توارثوا الخطابة الحسينية ، وألِفوا رقى اعوادها فكانوا من السابقين في ميادينها والمحلّقين بفخرها خدموا المنابرَ خدمة جليلة تشكر وتذكر وترددها ألسن الثناء . .»[1]

ثم يتحدث عن الخطيب الحسيني الشيخ كاظم سبتي فيقول :

«كنت أحضر مجالسه في عشرة المحرم في دار آل بحر العلوم فيرقى المنبر قبله اربعة او خمسة من شيوخ الذاكرين وكلهم يقرأ في موضوع خاص فلا يتركوا ما يخص الموضوع من شاردة او واردة إلّا وذكروها حتى يستعين البعض منهم بالمراسيل والاخبار الضعاف والمنامات فاذا رقى المنبر جاءنا بشيء جديد لم نسمعه ممن كان قبله واخذ حقّه من الابكاء فكان السبق له وحقاً اقول انه مخترع ومبتدع في فن الخطابة»[2] .

٤ ـ قيام الشيخ نصار العبسي بتأسيس اول مجالس الحسين في النجف ومن عصره كثرت المجالس واجريت سِنّة حتى يومنا وكانت وفاته عام ١٢٤٠ هـ ، وذلك على ما نقله السيد حسن الصدر في التكملة[3] .

وقد واصل الطريق من بعده الشيخ محمد نصار الشيباني اللملومي المتوفى ١٢٩٢ هـ وكان من الافاضل وقد نظم واقعة الطف بتفاصيلها نظماً ممتازاً ومؤثراً على طريقة نظم أهل البادية ، وكان له في هذا النظم القدح المعلى كما جاء في الحصون المنيعة[4] . والى الآن تقرأ منظوماته الحسينية وفي جميع المجالس التي تعقد في البلاد العربية والاسلامية وطبعت منظوماته الموسومة

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ٢/٣٣٦ .
(٢) ماضي النجف وحاضرها ٢/٢٤٠ .
(٣) شعراء الغري ١٠/٣٢٤ .
(٤) شعراء الغري ٥/١٨٠ .

بالنصاريات عشرات المرات ، وعلى ذكر النصاريات نذكر ان الادب الشعبي الحسيني يستحق دراسة مستقلة لخصائصه وفنونه ، باعتباره احد العناصر الاساسية في برامج الخطيب الحسيني ويدخل ضمن هذا السياق طريقة الردّات الحسينية التي ظهرت في حدود الاربعينات من هذا القرن على يد مبتدعها المرحوم الملا فاضل الرادود[1] ثم تطورت بشكل كبير وتنوعت وكثر هواة هذه الطريقة حتى اصبحت فيما بعد قرينة للمجلس الحسيني لا سيما في العراق .

٥ ـ ظهور الوائلي كأحد اعلام الخطابة الحسينية ، وتميّزه بطريقته الخاصة في عرض افكاره ، حيث انه تأنق ما استطاع ان يتأنق ، واجداً في ذلك وسيلة للتأثير في نفوس سامعيه ، فاستولت طريقته على قلوب معاصريه ، وقلدوه فيها ، واتخذوه اماماً لهم واستطاع ان يعبر عما يجول في نفسه من عواطف لمستمعيه ، وان يؤدي ما يحتاج اليه المنبر الحسيني من الثقافة الموسوعية العلمية .

وان خطيباً هذا شأنه ، له اثره الكبير في توجيه الخطابة الحسينية في العالم العربي ، جدير بدراسة تكشف عن تجربته الفريدة في هذا المجال الحيوي من وسائل التثقيف الاسلامي .

والنجاح في الخطابة يرتكز على اسس وقواعد تجمع بين الاستعداد الذاتي والذكاء الفطري فمن اشتمل على ذلك ورُزق حظاً وافراً من العلم واللغة استطاع التكلم في كل موضوع بسهولة ورشاقة واقناع واصبح المصقع البليغ الضارب على اوتار كل فؤاد ، وقد اصبح من الضروري الوقوف على تلك الاسس والقواعد لكل خطيب عصري ينشد النجاح في الخطابة .

وليس من السهل تقييم الخطابة الناجحة ومعالجتها موضوعياً ذلك لأن الخطابة تتصل بالعواطف والاذواق وقلما تكون عناصرها موضوعية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ان الخطابة الحسينية يتفاعل معها الجمهور العريض المتنوع في ثقافته وذوقه ابتداءً من الاميين وانتهاءاً بحملة الشهادات العليا والعلماء ، ولهؤلاء مشارب متنوعة وتقييم مختلف ، فقد يعجب بعضهم بالخطيب لعذوبة صوته وقدرته على بعث الشجى في النفس ليس غير ، وقد يعجب بعضهم

---

(١) اصله من الكوفة وبها ولد في محلة السهيلية ويتلقب بالعاني ، وخاله المرحوم الحاج نجم البقال من ابرز ثوار انتفاضة النجف عام ١٩١٨ حين اعلنت البلدة العصيان وقتلوا الكابتن مارشال ـ الانجليزي ـ والملا فاضل جدير بدراسة مستقلة فهو شاعر وخطيب شعبي قلّ نظيره امتدت شعبيته في جميع البلدان العراقية ودخل معترك السياسة فكثر خصومه وسجن مدة طويلة وكتب في سجنه ديوانه (الف عدو ولا صديق واحد) ، وله شعر شعبي كثير جداً ومنه ديوان خاص نظم فيه رباعيات الخيام بالشعر الشعبي العراقي على شكل (مواليات) توفي عام ١٩٨٢ .

باحاطة الخطيب بالتأريخ ، وقد يعجب بعضهم بأدبه ، وربما يعتبره البعض ـ وخصوصاً الذين يخلون من المعرفة ـ يعتبرون الخطيب عظيماً لانه قال اشياء لا يفهمونها ، وكثيراً ما استغل بعض الخطباء المرتزقة هذه الظاهرة فمرروا خرافاتهم وجهلهم وادعائهم على مدارك هؤلاء السذج واوهموهم انهم يعالجون قضايا عميقة ودقيقة وما زالت حفنة من هؤلاء تمثل شريحة كبيرة تعيش على مثل هذه الاجواء .

ومن الضروري بمكان وضع معايير علمية ومقاييس تحدد درجة الخطباء لئلا تختل المقاييس والضوابط ويتسلق التهريج وتدفن كثير من الكفاءات من جراء عدم قدرة الجمهور على التمييز ، وقد يقول البعض ان هذا التسيب الذي تذكرونه موجود حتى على مستوى الحوزة العلمية ، والحقيقة ان الوضع بالنسبة للحوزة العلمية يختلف عنه هنا ، لأنَّ تحديد درجة طالب العلم انما يقوم بها ذوو الخبرة والكفاءة من حملة العلم ، بعكس المنبر الذي يتحكم بتحديده الجمهور كما ذكرنا ، وعلى العموم لا بد من الاشارة ولو اجمالاً الى شروط الخطابة العلمية ، وقبل كل شيء فان المؤهلات التي تراد للخطيب تنقسم الى قسمين : قسم خارج عن ارادته ، وقسم يقع في نطاق كسبياته ، اما القسم الاول ، فهو من قبيل ان يكون حسن الخلقة والصوت طلق اللسان ، خالياً من العيوب الخلقية التي تمنع عليه سهولة المخرج او جهادة المنطق كاللجلجة (التردد في الكلام) والتمتمة (التعتع في التاء) والفأفأة (التعتع في الفاء) واللثغة وغير ذلك وينتمي الى وسط علمي اسروياً ومكاناً . وان يكون صادق الحس ملهماً عجيب الفراسة بعيد مطارح النظر يدخل الى اعماق القلوب ليخاطب كل فئة على هواها ويحمل عليها اقدار منازلها ، متضعاً يمتزج بمن خاطبهم ويقرب ما بينه وبينهم فيكون في الظاهر خادماً لهم وهو السيد المطلق ، وان يمتاز بحضور الذهن فلا يتجاوز في القول ما يهم سامعيه وكلما احس نبوة من النفوس عنه او ملّة للقلوب منه القى اليهم نغمة جديدة وطلع عليهم بفكرة غير منتظرة فيمنع التثاؤب والملل ويعيد الانتباه الى مقره ويملك عليهم سمعهم وشعورهم لأن الخروج من معهود الى مستجد ، كما يقول الجاحظ استراحة للفكر ورياضة للخاطر .

واما القسم الثاني ان يكون على علم ودراية فهو اساساً بأمس الحاجة الى اتقان العلوم العربية والاسلامية ومقدماتها كالفقه والاصول والعقائد والفلسفة والنحو واللغة والبلاغة والمنطق . . الخ ثم هو بحاجة الى المام جيد بالفكر الحديث والعلوم الاساسية كعلم الاجتماع والنفس وفلسفة التأريخ وغير ذلك ، وبمعنى آخر ان يكون موسوعياً ، يضاف لذلك ان يكون حافظاً للقرآن وامهات الحديث والحوادث التأريخية ولكثير من الشعر الذي يحتاج اليه للاستشهاد به لو وردت مناسبته .

ولا بد من التنبيه هنا على صلة التاريخ بالخطابة الحسينية ، فهي صلة عضوية كصلة النسيج بالمنسوج وكالمعدن بالنسبة للاناء المصنوع منه ، فالتاريخ هو مادة وموضوع هذه الخطابة ومن مقوماتها الرئيسية ويعتبر مدى الاستفادة منه موقوفاً على مقدار خلفية الخطيب العلمية واستعداده الذاتي في الفهم والتحليل فبمقدار ما يتمتع به الخطيب من كفاءة ومؤهلات تتم استفادته من الحدث التأريخي وبالتالي صنع الغذاء الشهي للسامع .

وبهذا ترى ان الخطابة ما عادت من الامور السهلة التي يمارسها الانسان كوسيلة للمعاش ، وان وجد هذا المستوى بالفعل . ولكنه يبقى في نطاق الارتزاق ، اما الخطابة الهادفة التي تفرض احترامها على كل طبقات المجتمع فهي لا تحصل إلاّ بعطاء من الله تعالى وتسديد منه وجهد وعناء متواصل ، وان ملخص ما نريد التوجه له من جيلنا الصاعد المتطلع الى عزة ماضينا ورفعة ديننا هو دراسة ظاهرة الخطابة الحسينية والقيام بحلقات من البحوث والدراسات والمؤتمرات الخاصة ، لانها ظاهرة جديرة بذلك من اجل النهوض بها وتطويرها ورفع ما ران عليها من زيف المدعين والمستغلين ، فهي مؤسسة حضارية كبرى بل هي أداة الاقناع والعامل الاكبر في تقدم الامم وانهاض الهمم وتنبيه العزائم واذكاء الشعور بها وصولاً الى بناء الشخصية الاسلامية بناء سليما .

الوائلي في شعراء الغري

هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي[1] الشهير بالوائلي ، خطيب شهير ، وأديب مرهف الحس .

ولد في النجف يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول أوائل عام ١٣٤٢هـ ونشأ بها على أبيه ـ وهو من الخطباء الشعراء ـ فعني بتوجيهه وعند دور المراهقة بدأ بقراءة المقدمات ولما وجد الارتباك في الدراسة النجفية قد تجلى آثر على صغره أن يدخل مدرسة (منتدى النشر) التي كفلت توجيه

---

(١) شعراء الغري ١/٢٩٣ ـ ٢٩٥ ، والكتاب موسوعة كبرى في الشعر النجفي ، ألفه الاديب والمؤرخ العراقي الراحل الشيخ علي الخاقاني رحمه الله .

الطالب وتعليمه وفق ما يتطلبه ناموس الزمن فدخلها مع نفر من أذكياء الخطباء وكانت علائم الذكاء تبدو عليه منذ الصغر فدرس مختلف العلوم كالعربية والصرف والمعاني والبيان والمنطق وشيئاً من الفقه والأصول ، وبعد تخرجه منها اندفع يواصل الدراسة الخارجية فقرأ الحكمة وبعض الآراء المشرقية على الشيخ علي حفيد الإمام الهادي من آل كاشف الغطاء .

وتمرَّن في الخطابة منذ النشأة فقد صحب عن طريق التلمذة فريقاً من الاساتذة وأكثر من ملازمة بعضهم وهو الخطيب السيد **باقر السيد سليمون** . واستمر يتجلى بفنه تجلياً مما دعا أساتذته أن يعجبوا به وينظرونه نظرة الإكبار والاحترام ، وسار قدماً دون أن يثنيه شيء سوى تحقيق هدفه الذي رسمه لنفسه وهو التفوق في الخطابة وإعطاء صورة عنها تماشي فن الخطابة عند الفرس لتركزها على الأُسس العلمية والمواضيع الفلسفية وهو بدوره استطاع أن يبدع ويسحر في أسلوبه وفنه .

حضرت له عدة مجالس كانت أشبه بالمحاضرات دلت على سعة اطلاع وحسن القاء والتفاتة كانت تسترعي أذهان المثقفين قبل السذج ، قد وفق كل التوفيق فيها فقد ماشى فيها متطلبات الزمن ومقتضيات العصر ونال بها إعجاب المعظم إن لم أقل الجميع وهو في سن مبكرة استكثرها عليه كثير من اخدانه بل وحتى أساتذته كما قدمنا .

والوائلي شاب[1] يرضيك بسلوكه ويقظته ونقاء أسلوبه وارهاف حسه مع زهو بسيط قد قرأ أحدث الآراء التي تسالم على صحتها قادة الفكر ، يتحسس الحياة تحسساً ضمن اطار من الاتزان والهدوء النفسي ، ويشعر أن الزمن يسير بخطوات سريعة جداً ، لذا تراه في سيره يحاول أن يواكب الزمن مواكبة الوديع الذي يحرص على تحقيق رأيه دون ضوضاء ، ويفكر أن يضمن وجوده على طرق الحق والاستحقاق وقد أفلح في تحقيق ذلك على الأكثر .

والوائلي بالإضافة لتفوقّه في الخطابة فهو شاعر رقيق الشعر والشعور مليح القول مشرق الديباجة ، وقد نظم عدة قصائد كلها ناجحة تصوّر نفسيته وروحه وعقيدته واليك نماذج من شعره وفيها تظهر براعته في هذا الفن .[2]

---

(١) كتبت الترجمة والوائلي في الثلاثين من عمره ، وقد أثبتناها كما جاءت في الأصل لأجل مؤرخي الأدب .

(٢) أثبت المرحوم الخاقاني بعد ذلك اربعة قصائد ، ويمكن مراجعتها في الكتاب نفسه وهي : ١ ـ رثاء للمرحوم السيد عيسى آل كمال الدين ، ٢ ـ ليلة في بغداد ، ٣ ـ ذكرى ، ٤ ـ رثاء للامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبها انتهت الترجمة .

دواوين الوائلي المطبوعة

١ ـ الديوان الأول ، ١٥٨ ص ، ١٦,٥×٢٣ ، مجلد ط١ (١٤٠٠هـ ج ١٩٨٠) مؤسسة أهل البيت ـ بيروت .

٢ ـ الديوان الثاني ، ١٢٨ص ، ١٦,٥×٢٣ ، مجلد ط١ (١٩٨٣م) دار الكتاب الاسلامي ـ بيروت .

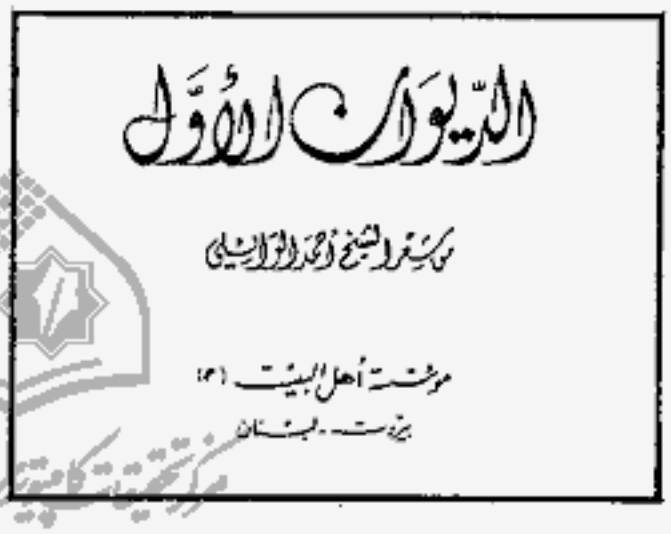

الأغراض	الشعر الديني	الشعر السياسي	الشعر الاخواني	الشعر الوجداني	الشعر الاجتماعي	الشعر الرثاء
الديوان الأول	٨	٦	٨	٥	٧	—
الديوان الثاني	٧	—	٤	٥	١١	٤
المجموع	١٥	٦	١٢	١٠	١٨	٤

٦٥ قصيدة

يظهر الجدول بوضوح غلبة الجانب الاجتماعي على شعره من مدح ورثاء واخوانيات ، وحتى قصائده التي آثر نشرها تحت عنوان الشعر الديني هي لها علاقة كبيرة بوظيفته الاجتماعية التي تفرض عليه روحية الأسلوب الذي يتحكم في شكل القصيدة وبنائها وحتى مضمونها ، كما يلاحظ غياب شعره الغزلي من هذين الجزأين وقد نبّه الوائلي إلى هذا أيضاً في مقدمة ديوانه الأول ص٩ فقال «هناك قصائد لم أُعان مضامينها في تجربة وإنما عانيتها خيالاً ! وقلّدت فيها اتجاهاً سائداً وحيث أن مضامين بعضها لا تنسجم مع وضعية دينية واجتماعية أعيشها وابتعاداً عن سوء فهم قد يحصل عند البعض آثرت أن أؤخر نشرها لفرصة أخرى» .

هوية التشيع

ط ١ (٢٤٠ ص) ٢٣ × ١٦,٥ سم
١٩٨٠ . مؤسسة أهل البيت ـ بيروت ـ لبنان

بدأ الكتاب بمقدمة عامة عن تأريخ التشيع عبر مراحله التأريخية تـ رس فيه لأمور تكفي لايضاح هوية التشيع ويدور حولها نزاع بين مختلف الفرق الاسلامية من جانب ، وبين الإمامية من فرق المسلمين ومايزال الجدل يحتدم حولها برغم ما كتب حولها ، وبرغم اشباعها بالبحث منذ أزمنة طويلة وهي تتناول من التشيع جوانب عرقية وجوانب فكرية ، ومن ذلك الفصول الخاصة حول فارسية التشيع وهوية التشيع العرقية وحول هوية التشيع العقائدية وموقف الشيعة من الغلو والغلاة وعقيدتهم في المهدي والتقية ورد جملة من الافتراءات على الشيعة كالشك في النبوة ورمي التشيع بالشعوبية وغير ذلك .

وعالج الكتاب بعض الالتهابات التي سببتها الجروح المزمنة في تأريخ المسلمين والكتاب بمجمله دراسة جديدة عن المذهب الشيعي يحمل في طيّاته دعوة مخلصة لتلافي مواطن الخلاف بين فرق المسلمين ونبذ الأنانية وحب الذات إذ ان الاختلال في مسائل الفكر سنة الكون وسجية النفوس وانما يحمل على نسيان هذه الحقائق الأفق الضيق والعصبية الرعناء ، وما أجدرنا بالابتعاد عنها وتنقية الأجواء خصوصا إذا استطاعت الأقلام ان تسافر بنا عبر دنيانا الى فجرنا الأصيل الذي شع بالتسامح ورفّت فيه نسائم من نقاء الروح وطهر الضمير وطبّعت الحياة فيه على مزاج الاسلام الطهور .

(طبع الكتاب عدة مرات في بيروت والقاهرة وقم) .

أحكام السجون بين الشريعة والقانون

٢٣٢ ص ، ٢٤×١٦,٥ ، بـيروت ، مؤسسة أهل البيت

بحث قدمه الوائلي الى معهد الدراسات الاسلامية ببغداد ، وهو من البحوث النادرة والهامة في هذا الموضوع .

بدأت فكرة الكتابة عندما قرأ المؤلف عن سجنين في الكوفة أسسهما الإمام علي (ع) ووصفهما التأريخ بمزايا تلفت النظر بما فيهما من رعاية للسجين ومعالجات تستهدف اصلاحه وتقويمه قبل ايقاع الجزاء عليه ، بدأ البحث باستعراض معنى السجن في اللغة والقرآن والسنة الشريفة ، ومشروعية الحبس من الكتاب مع أدلة أصحاب المذاهب الاسلامية على ذلك ورأي المفسرين ، ثم الأصول التأريخية للسجون الاسلامية ومواقعها وقوانينها مع ذكر الحدود والتغريرات وصفة الجرائم التي يتناولها التغرير وأقسامها مع الإشارة الى مرونة التعزيزات من حيث الكمية والنوعية . ثم تكلم عن الحاكم بالسجن والمنفذ وأصحاب المهن المتعلقة بذلك كوالي المظالم والحسبة وصاحب الشرطة . . الخ . وتكلم عن المسؤولية الجنائية : أساسها في الشريعة والقانون ، وتحديداتها وشروطها مع ذكر الاكراه والضرورة والنسبة اليهما ، ثم أهداف العقوبة واتجاهاتها في الشريعة الاسلامية ، وأقسام السجون (السجون الاصلاحية ـ الاختبارية ـ التنكيلية . .) ونفقات السجن والسجين ، رعاية السجين والاهتمام به ، تصنيف آخر للسجون (احتياطية ـ استبرائية ـ حقوقية ـ جنائية) ونماذج من مسببات السجن (المرتدة ، السارقة ثالثة . . الخ) ثم مدد الحبس والحبس الانفرادي وكل ما يمت الى السجن والسجين بصلة تناوله المؤلف حتى موضوع الخروج من السجن . وخصص آخر فصول الكتاب لتأريخ السجون عبر التأريخ الاسلامي كسجون الشام والعراق والحجاز في عهود الامويين والعباسيين ، واستعرض أنظمتها وأصنافها وقارن ما بينها وخرج بنتائج كثيرة ختمها بدعوة الى تطبيق نظام السجون الاسلامية .

في هذا الكتاب ضم الوائلي صوته الى الأصوات التي تدعو الى اصلاح السجون وتكييفها بما يضمن ولو الى حد ما تحقيق أهدافها . فبورك له هذا الجهد المثمر في بعث ماضي الأمة العريق واجتلاء أصالة تشريعها في فجرها المشرق لأن في ذلك تنفيذ لأوامر الله وأحكامه وشريعته وتوفير لكرامة الانسانية جمعاء .

من فقه الجنس في قنواته المذهبية

٢٦٤ ص ، ٢٤×١٦,٥ ، مؤسسة أهل البيت

بيروت ـ الغبيري ص.ب١٨١/٢٥

ط١ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦)

أصبح من المألوف الآن مطالعة مئات العناوين من الكتب التي تمتلىء بها المكتبات ، والتي تخوض في مسائل الجنس ، غير أن الكتب والدراسات الجادة في هذا الموضوع الحيوي الهام ما زالت قليلة ونادرة ومنها هذه الدراسة للدكتور الوائلي ، واسمها دليل على ما احتوته من مادة جهد المؤلف في تبسيط مضامينها الفقهية المعمقة لتكون في متناول فهم القارىء غير المختص بهذه المواضيع كذلك حرصاً على تلخيص أهم المسائل الجنسية وضغطها مع تحاشي الإخلال بالمضمون توفيراً لوقت وجهد القارىء ، وتلك المسائل جديرة باطلاع مختلف القراء ليقفوا بأنفسهم حيالها موقف المتفهم الواعي بعدما حتمت التطورات المعاصرة الى أن تكون المرأة الى جانب الرجل في كل مكان وبشكل من التبرج وإبداء المفاتن الذي يعصف بالأعصاب بالاضافة الى شيوع نظريات فرويد ومدرسته التي تحصر كل أنماط السلوك بالغريزة الجنسية ، وكالمدارس التي ترى ان اطلاق الطاقات الغريزية ضمان للصحة النفسية .

وفي مقابل ذلك يعالج المؤلف الموروثات القبلية والمتخلفة في المجتمع التي من شأنها الحيلولة دون تيسير الزواج ووضع العقبات أمام الشبان لممارسة غريزتهم الجنسية في جو شرعي ، كمشاكل المهر الضخم والحاجز الطبقي والطموح الاجتماعي ... الخ . مما يغري شبابنا بالانطلاق وراء الشهوات والمفاسد .

وباختصار فالوائلي أحسن عرض مشكلة الجنس وحلولها فقدم بذلك خدمة ممتازة للقراء الذين لا تسمح لهم ثقافتهم وأوقاتهم بالانصراف الى الموسوعات الطويلة والمعمقة للتزود منها .

وثمة أمر هام حققه الوائلي في دراسته ذلك أنه وضع القارىء وجهاً لوجه وبدون حجب مزيفة أمام رحدة المنبع عند المسلمين في الفقه والعقائد ـ ألا وهي الكتاب والسنة .

استغلال الأجير

وموقف الاسلام منه

عرض لاطروحة الدكتوراه للشيخ احمد الوائلي
جامعة القاهرة ـ كلية دار العلوم

ان الانسانية في تاريخها الطويل شهدت ألواناً من صور الاستغلال من الأقوياء للضعفاء في مختلف صور القوة والضعف وفي شتى الميادين التي يقع فيها الاستغلال . وقد تطور الاستغلال في مسيره وتضخم تبعاً لتطور وتضخم ميادينه وبخاصة في حقل العمل والعمال سواء في المجال التجاري ، او الصناعي او الزراعي . حيث شرع الناس الذين يمتلكون اسلحة لا يمتلكها غيرهم في حقل العلم والتكنولوجيا والأموال والامكانات الأخرى : يتخذون منها أدوات لاستغلال من لا يملك مثلها لاجتناء الربح والمنفعة والمكانة السياسية والاجتماعية .

فإذا تمرد أحد أو حدثته نفسه بالثورة على استغلالهم سحقته القوة وتعقبته وسائل العنف والابادة أحياناً .

وكان أن استبيحت في هذا الصراع كل الحرمات الانسانية وأهدرت الكرامات وذبحت قيم العدل والرحمة ، وحل محل ذلك علاقات مادية غليظة تقوم على الربح والمصلحة الشخصية وانتهاز الفرص لاستثمار كل ما يصلح للاستثمار وبكل اسلوب غير مشروع ، وتدرجت مظاهر الاستغلال هذه حتى اشتدت ونمت عند الرأسمالية وراحت تمتص ما شاء لها المجتمع وتنهب ما ساندتها القوة وتسرق ما أسعفتها الحيلة يدعمها في ذلك فكر له مصلحة يجتلب لها ما يشاطرها فيه ويبرر لها أساليبها ويلتمس لها حججاً تلبس أثواب العلم .

كما ساندتها وسائل قمع مرعبة من سلاح ، ومنافي ، وسجون ، فكمّت الأفواه وخرست الألسن واستكان الناس تحت سياط القمع لا يملكون إلا عيوناً تتلفت يميناً وشمالاً تبحث عن المنقذ وتتطلع الى سفينة نجاة .

ولم يعد في ميادينها قوة من فكرها وجيش من أبنائها تصول بهما وذلك بعد أن أبعد الفكر الديني والقوى التي تعمل باسمه وتصدر عنه ، أبعد من الميدان في اوروبا المسيحية بسبب تردي أوضاع الكنيسة وأفلاسها روحياً وتحولها الى مؤسسة تقوم على التهاويل والبخور والمظاهر التافهة والى أداة للاقطاع والسلطة تحارب العلم وتقاتل العدل .

أما في البلدان الاسلامية فكان الوضع أكثر سوءاً لأن هذه البلدان لم تكن محكومة من قبل أهلها ، وانما كانت تحكم من أناس أجانب استولوا عليها بالقهر والغلبة واستثمروها واستغلوها ، وفي سبيل المحافظة على بقائهم فيها شرعوا يحاربون عقيدتها التي تمدها بالمقومات الأساسية حاربوها بكل ما يملكونه من وسائل علمية ومادية ومن خداع ليخلو لهم الجو ولم يفتهم للتستر ان يبقوا فيها على كيانات شكلية تقوم على حفظ القشور وحراسة الخرافات والشعوذة بمختلف الأساليب . فشككوا في العقيدة ، وسخفوا النظريات ذات الأصالة ، واستهزؤوا بكل محترم وجندوا من أبناء الاسلام من يشهر السلاح بوجهه واتخذوا من أفكار وأدمغة بعض أبنائه قواعد لهم وكاد يتم لهم القضاء على الاسلام لولا أصالته وعمق جذوره .

إن الأفعال الرأسمالية العنيفة أثمرت ردود فعل معاكسة في اوروبا وهنا ، ولد الفكر اليساري ، من أب هو الحقد على ضراوة الاستغلال ، ومن أمٍّ هي : الحاجة بكل ما ينعكس عنها من شرور وآثام .

غير أن هذا الوليد لم ينبع من الموضوعية ليعالج المشكلة بموضوعية ، وإنما نبع من التأزم والثورة فراح يأكل الانسانية ويطحن قيمها واستقرارها بين فكين ضاريين وهو يظن أنه يخلصها من شقائها الذي أشبعها بالحرمان وأغرقها بالجوع . ونسي وهو في إبان ثورته أن الانسانية ليست كلها معدة والحياة ليست كلها جسد وإن كان الجسد والمعدة يكونان جزءاً هاماً منها .

ولكنه أكد عليهما وأبعد غيرهما من مقومات الانسان فأعاد الحياة الى مادية أغلظ من مادية الرأسمالية وشدّ الانسان الى المعدة يدور حولها والى الجسد يعيش في أبعاده ولا يملك الخروج عن هذا الاطار كما أريد له أن يظل فيه معصوب العينين مخدراً يجرع من دعاوى التقدمية تقصر عليه وهالات من النضال تشع حوله ومحمولاً على الايمان بذلك خوف الوصول الى مصير مرعب صار اليه غيره عندما كفر بالجنة الموعودة . وإذا بالانسان الذي أده ظلم اليمين يسلمه الى خيال اليسار الذي لم يصنع سوى هدم القيم ولم يستطع ان يرفع السفوح الى اكثر مما كانت عليه .

وإذا كان قد وفر (في أحسن الفروض) رغيفاً للمعدة فقد حرم الروح من العقيدة والوجدان من الخيال والنفوس من الحرية ، والدنيا من قيم مهمة .

وعاد الناس يتلفتون مرة اخرى وتناهى اليهم صوت من بعيد وتحركت بقية نبض في قلوب عاشت على بقايا وهج من العقيدة . وبدأ النبض يقوى وتشتد ضرباته ، وكأن السماء أرادت أن تمد الشرايين بدم جديد . وتحولت الأصداء الى أصوات تطالب بالعودة الى النبع الذي شرب منه الشرع بعد أن ذاقت المر من مياه غيرها وأجهدها العطش حين خدعها السراب فلم تجد ما يروي غلتها . وتحركت أقلام تلتمس طريقها الى المنبع لتعبّ منه ثم لتشبع النفوس والأفكار من

عطائه . وتململت جذوة وجذوة لتذيب بعض الجليد في بداية الى صهر الجليد كله وبعث الحرارة في أجواءه الباردة . وكانت عودة الى التراث الاسلامي لتعلي البناء الجديد على الأسس الراسخة ولتطمئن الى موضع الأقدام من الأرض . والله هو المسؤول ان ييسر لهذه المسيرة سبل الرعاية والوقاية من العثار في متعرج السبل وزحمة الدرب ، وما اطروحة الدكتور الوائلي في هذا الموضوع إلا خطوة رائدة على ذلك الطريق اللاحب .

وفيما نحسب أنه أضاف للمكتبة العربية دراسة قيمة سدت بها فراغاً كبيراً إذ أنه سلك طريقاً بين طريقين قام أحدهما : على توزيع مواد البناء في تركيز شديد ووزعها بين بُعد الفقه الاسلامي على امتداده من البداية الى النهاية ، وبلغة هي من الرموز التي تعارف عليها الفقهاء ، وقام الثاني على النهج الخطابي الذي يعني بالأضواء أكثر ما يعني بالجوهر ويحمل النصوص أكثر من مدلولها ويستنتج أحياناً من أوضاع قامت في إطار عليه اسم الاسلام ولم تغترف من روحه ، وقد بعد عن هذين اللونين وعاد للمصدرين .

وتقع الاطروحة التي حملت اسم (استغلال الأجير وموقف الاسلام منه) في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة : ذكر في المقدمة الدافع لاختيار هذا البحث وهو الاسهام في تجلية معالم الاقتصاد الاسلامي عن طريق معالجة بعض الجوانب في الاقتصاد الاسلامي ، وبحث في التمهيد مظاهر الاستغلال في المجتمعات : ما هو تاريخها وما هو مصدرها وهل هو غريزي أم من المحيط ، ومثل له بنماذج ثم ذكر كيف كافح الاسلام الاستغلال .

أما الباب الأول : فقد ذكر فيه تعريف العمل ثم تقسيمه وتقسيم العمال ، استعمال القرآن له بمعانيه المختلفة وكذلك استعمال السنة له بذلك المعنى ، وذكر مكانة العمل غير الذهني عند الحضارات الأخرى ومكانه عند الاسلام ممثلاً بالكتاب والسنة بكل أقسامها ، وشرح أحكام العمل وعدد تلك الأحكام ، واستعرض مسؤولية الدولة عن إعالة العمال وتوفير العمل له من وجهة نظر الشريعة ، ومعالجة الاسلام للبطالة وتناول عمل المرأة والصبي والأحكام المترتبة على العمل .

أما الباب الثاني : فشرح فيه معنى الاستغلال وقسمه الى مشروع وغير مشروع وشرح الاجارة لتعلقها بالعمل المأجور الذي هو محل الاستغلال فذكر أدلة تشريعها ومبرراتها وما ورد عليها من نقد والرد على ذلك النقد ثم الأجور عند المدارس الاقتصادية وعند الاسلام من عملية مقارنة طويلة لكل ملابسات الأجور .

وشرح مؤسسات نقابات العمال من وجهة اسلامية وهل للاسلام تجربة في ذلك وما هو رأيه فيها وشرح ما يساعدها من فعل المحتسب ودوره في حفظ حق العامل كما شرح بعد ذلك

ضمان حرية المتعاقدين وكيف ضمنها الاسلام .

ثم انتقل الى حماية العامل من السرقة وشرح الطرق التي يسرق منها العامل ومنها فاضل القيمة وكيف عالج الاسلام ذلك ثم ذكر مجالات عمل الأجير وكيف حددها الاسلام ولماذا . وختم الباب بنظرية تضمين العمال أو عدمه .

أما الباب الثالث : فقد طرح فيه تساؤلاً عن وجود عناصر أساسية للاقتصاد عند الاسلام أم لا ؟ وأجاب على ذلك بالايجاب وشرح بعض الجوانب البارزة في الاقتصاد الاسلامي كالملكية الفردية ـ كما هي في نظر الاسلام ـ ومبررات الملكية الفردية والآثار المترتبة على الغائها ، واستعرض بعدها السمات الأخرى للملكية من كونها توظيفاً اجتماعياً ، ثم اشتراط العنصر الخلقي في الاقتصاد الاسلامي وبذلك يتميز الاقتصاد الاسلامي عن غيره .

أما الخاتمة : فقد دعا فيها العمال المسلمين الى الثقافة الاسلامية ذات العلاقة بالعمل والعمال وتطبيق مفاهيم الاسلام في ذلك على أنفسهم ثم الدعوة لها عالمياً والعمل على نشرها من أجل بناء جيل الغد الباسم على أسس من الماضي العريق ولكي نصل ثقافتنا بجذورها الصحيحة .

وأملنا من الدكتور الوائلي المبادرة الى طبع هذه الاطروحة ليعم نفعها وفائدتها في وقت يزداد فيه الطلب على مثل هذه البحوث الرصينة التي تعالج المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الحساسة التي ما برح مجتمعنا يعاني منها .

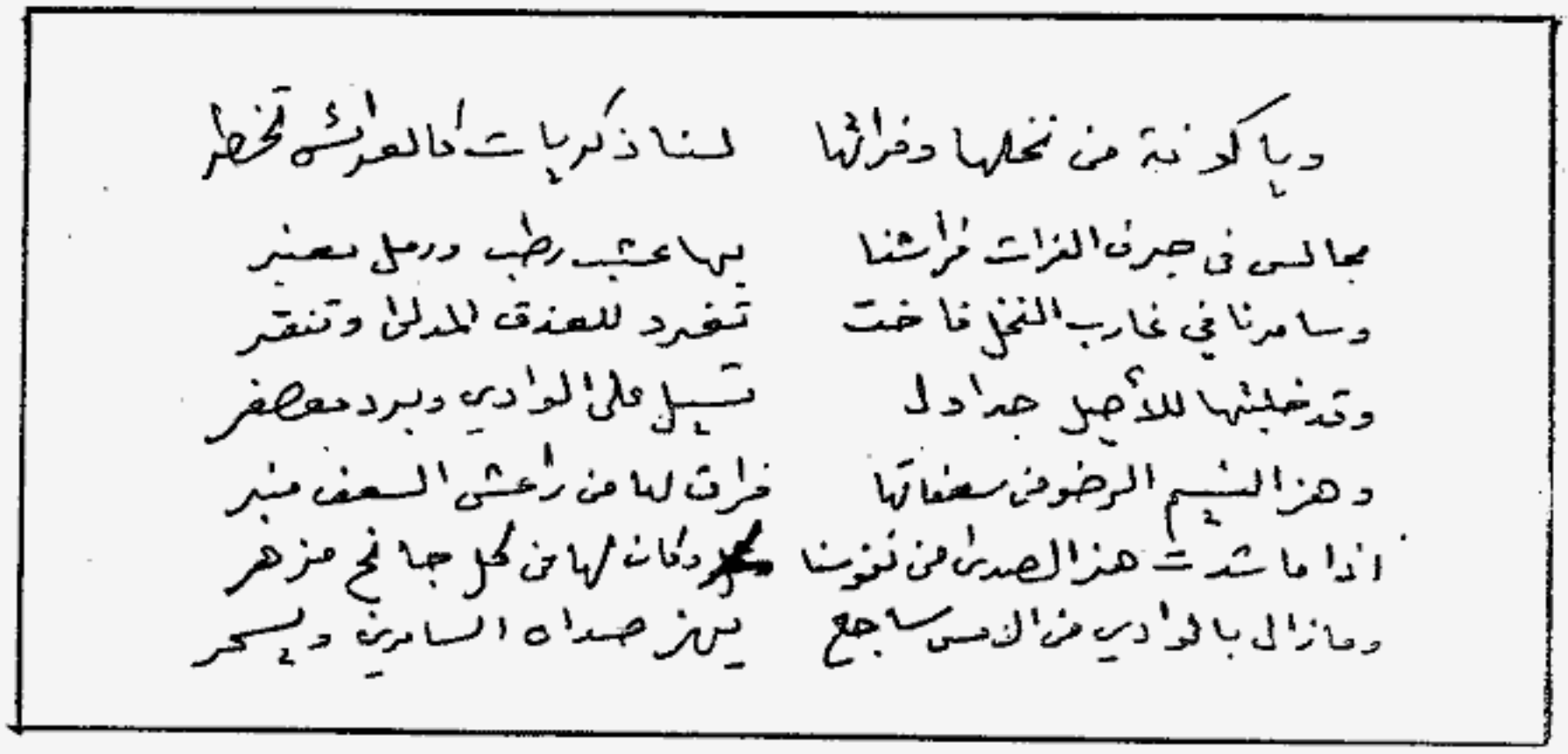

انموذج من خط الوائلي

الاتجاه العربي الاسلامي في فلسطينيات الوائلي

بقلم
الدكتور محمد حسين الصغير
جامعة بغداد

ـ الوائلي شاعر مجدد ، وأديب عبقري وخطيب رائد ، خدم الثورة الحسينية وصور أبعادها بأسلوب ممتع حديث وقد اتجه الوائلي بمعالجة قضية فلسطين ، اتجاهاً عربياً اسلامياً ، وحاول بذلك تصوير المأساة للعرب وللمسلمين كمشكلة لايمكن حلها إلا عن طريقهم ، وبتضافر جهودهم ، وبالوقوف صفاً واحداً إلى جنب الشعب الفلسطيني الجريح ، عارضاً مشاهد وصوراً وظلالاً من مآسي اللاجئين ، وطيوف النازحين ، وله في التعبير عن ذلك قصيدتان ، عقب نكسة الخامس من حزيران ، يقول فيها :

فلسطينُ مابخل المنفقُ ولا وهنَ الكتفُ المرهَقُ[1]
ولا مات بالعزمات اللهيبُ ولا أظلمَ الأمل المشرقُ
ومابَرحَ الساحُ أحلامُه تهدهدُها الضمّرُ السّبقُ
وينتظر الكبرياءَ الجريحَ مصيرٌ بأمثاله ألْيَقُ
فإما إلى حيث يرضى الشموخ وإمّا بعفر الثرى يلصقُ
فشدي الأكف ، وغذي اللهيب وخلي اللظى باللظى يلحقُ
وضمّي لتلك الجراح الجراح فما وقع جرحٍ بمن مزقوا
ولا تلبسي اليأس زهو الزحوفِ وإن خسر الشوطَ من أعنقوا
فما زال منذ وعينا الوغى يطيح ويرتفع البيرقُ

(١) الوائلي ، أحمد ، الديوان الأول ص ٦٢ .

ومَنْ لُـــذعـــوا بلهيب الشـــواظ جنـــوا منـه نَضْجـاً ، وإن أخفْقـوا
ومَهـــلاً فكَمْ تلد النـــائبـــاتُ لهـــاذمَ في خـــوضهـــا أخلقُ
وللجمـــرِ نبتٌ ، ومن طبعـــه بغـــير لـــظى الجمـــرِ لا يـــورقُ

يريد الشاعر هنا أن يطمئن فلسطين ، فما بخل المنفق ، ولا وهن العزم ، ولامات اللهيب ، ولا أظلم الأمل ، فسوح الجهاد تنتظرها الحياد ، والكبرياء ينتظرها مصيرها اللائق بها ، فإما الحياة الشاملة ، وإما الموت العزيز ، فاحتضني الأكف العربية وغَذّي لهيبها ، ومدّي لظاها ، وضمّي الجراح للجراح ،ولا تلبسي اليأس ، وإن خسر الشوط المعنقون ، فالمعركة أشواط ، وعلم النضال قد يقع وقد ينتصب ، تبعاً للظروف المعاشة ، على أن النكسة بتجاربها قد أفادت نضجاً ، وأولدت صِيداً ،وجمر النضال لايورقه إلا اللظى .

ثم ينعطف الشاعر ، ليصور الصمود الحري ، النابع من التراث العربي والإسلامي ، والذي تحدّر عن محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم ، ودفق عن يعرب ، مستعرضاً الصمود في القدس ، والهدير في طبرية ، والشعور بوحدة المغرب العربي ومشرقه ، وصوت الرافدين ، وحنين دمشق ، وهتاف أوراس ، واهتزاز أغادير ، موعداً فلسطين بمسح الذل بالدم ، وجر الخميس إثر الخميس ، ودفع الفيلق تلو الفيلق ، والسخاء في الأرواح ، والصدق في الوفاء ، وذلك قوله :

فلســـطينُ ، والفجـــرُ دامي الشروق وأبعـــاد سينـــا لـــظى يحـــرقُ
وفي القـدسِ حيث الصمـودُ العنيدُ عـــلى المـــوت أنيـــابـــه تـــطبقُ
وفي طـــبريـــة منـــا فَمٌ بغـــير القـــذائفِ لاينـــطقُ
وحيثُ مشـــاعـــرنـــا وحـــدةٌ دعـــا مغـــربٌ ، فـــانتخى مشـــرقُ
وجلجـــلَ صـــوتٌ عـــلى الـــرافـــدين فحنّتْ إلى وقعـــهِ جُلّقُ
وصـــوتٌ بـــأوراس هـــزت لـــه أغـــاديـــرُ ، واختلجت طبـــرقُ
كـــذا نحنُ ، يـــاهضبـــات الخليـــل غصـــونٌ إلى أصلهـــا تعـــرقُ
(محمّـــدُ) في فكـــرنـــا يشرق و(يعـــربُ) في دمنـــا يـــدفقُ
فقـــري وإن أثختنـــكِ الجـــراحُ فـــأنّـــا إليـــكِ هـــوىً شَيّقُ
سنمشي يجـــر الخميسُ الخميسَ ويـــدفـــع في فيلقٍ فيلقُ
سنعـــطيـــك حتى يقـــول العـــطاءُ كفى أيهـــا الـــدمُ مـــاتهـــرقُ
سنـــرضيـــك حتى يقـــول الـــوفـــاءُ صـــدقتم ، وكـــذَب مـــا لفّقـــوا
سنستاف تـــربـــك حيث الـــدمـــاءُ عبـــيرٌ بـــأفنـــائـــه يَعْبقُ

وما مسح الذلّ إلا دمٌ فذلك عندَ اللقا أصْدقُ

ثم يستعرض الشاعر جمال فلسطين الطبيعي ، وخيراتها ، وتلاعها ، وهضابها ، ورفيف سنابلها ، وجريان مائها ، وانها أصبحت جميعها لليهود المجرمين ، ومن حولها أهلها ترمقها مشردة ، جوعاً وذبولاً ، وذلاً ، وأسى ، ويستدرج بذلك حالة اللاجئين ، والبائسين المشردين ، من أبناء فلسطين ، ومعاتبة الأب لابنه ، وصراخ الأبن خلف أبيه ، وما الى ذلك من مشاهد حزينة باكية ، حيث يقول :

فلسطينُ لاذكرتنا الحياةُ إذا ما نسينا رؤىً تألقُ
رؤىً هي إن خطرت بالخيالِ أضاءَ الخيالُ بها رونقُ
تقولُ ملامحها للجنانِ ومطرفها الخضلُ الأزرقُ
رفيفُ السنابلِ في حقلها وزهو الكروم ، وما تغدقُ
وموسقةُ النبعِ من حولها غناءُ الصغارِ وما موسقوا
تفجّر خيراتها لليهود ومِنْ حولها أهلها ترمقُ
مشردةً للطوى والذبولِ وللنائباتِ وما تطرقُ
وللذُلّ ينهشُ في الكبرياءِ وللهَمّ يحنى له المفرقُ
ونطقُ الأسى في عيونِ الصغارِ وإن لم يقولوا ، ولم ينطقوا
وأسئلةٌ في شفاه الصبى لأمٍ بعبرتها تخنقُ
تلهّب أضلاعها إذ يقول أمّاه ، أينَ أبي المشفقُ ؟
وأينَ أخي ؟ ولداتي ؟ وأينَ ملاعبُ داري ؟ التي أعشقُ
لماذا أنامُ بهذي الخيام وخدي على الترب لايرفقُ
وأمّي بجَنْبي تنثّ الدماءُ من صدرها ، وأخي يشهقُ
وأأكل من كسر المحسنينَ وأرضيَ خيراتُها تغدقُ
لماذا يسمّوننا اللاجئين أليسَ لنا وطَنٌ مسبقُ
أما كنت بالأمسِ تربَ النعيمِ أعبّ ، وكاساتُه تدهقُ
يُغازلني النجمُ في مضجعي فلي مطرفٌ ، منه أو نمرقُ
وأرْجوحتي في مهَبِ العبيرِ لعوبٌ بدرب السنا تمرقُ
وكم لي من حلمٍ أخضرٍ مشى لي في موجهِ زورقُ
يقولُ أبي لو أردت النجومَ دمىً ، ستجيء فَلِمْ تقلقُ
ولو شئت في الروض جنيَ الورودِ تصدّت لعيني تَزوّقُ

أبي كم نشـــدتُ الكـــرى أن أراك ولكن عيني أبي تـــــــأرقُ
تعـــــال أبي ، ويـــــذوب الصبيّ وعينـــاهُ بـــالـــدمـــعِ تغـــرورقُ

ثم يتخلص الشاعر عن لسان اللاجىء ، مخاطباً ابنه بصنع فجر المستقبل ، بالدم ، والعلم ، والفداء ، وخوض الحرب ، مستنكراً ماحلّ به من الذلّ عند اليهود ، والاستهانة بقدره ، بالوقت الذي ضاق فيه الفضاء بسورة العزائم ، التي استاقت الكتائب ، بسيف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم ، فيما للمصير المرير ، وذلك قوله :

بُنَيّ رويـــداً فـــلابُـــدَ أن تـــردّ السهـــام لمن فـــوقـــوا
ونصنـــعُ فجـــراً سخيَ العـــطاءِ ومجـــداً عـــلى دمنـــا يبسقُ
ونـــرفـــعُ هـــامـــاً دعتـــه الـــوغى مـــدى الـــدهـــر يفتـــحُ أو يغلقُ
أنحنُ الجنـــائبُ عنـــدَ اليهـــودِ نـــرجي اليهـــود .. متى تـــطلقُ ؟
وبعض عـــزائمنـــا أمسِ ضـــاق بســـــــورتهـــــا الأفق الفيهقُ
غـــداةَ الكتـــائب تستـــاقهـــا بسيفِ (محمّـــــــد) إذ يمشقُ
فعـــدنـــا ، ويـــا للمصـــيرِ المـــريـــرِ ســـبـــايـــا ، ننـــاشـــد مَنْ يعتقُ

إلى آخر هذه القصيدة التي ينهيها بقضايا سياسية هادفة أخرى .

* * *

أما قصيدة الوائلي الثانية فعنوانها «أمتي» نَظَمها في ١٩٦٨/٣/١٠ م ، يخاطب بها الأمة ، ويعدّد أمجادها ومفاخرها ، وكان قد أعدّها لتلقى في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في القاهرة بتاريخ ١٩٦٨/٣/٢١م ، يقول :

أمّتي أرستِ الخـــطوبُ الســـودُ فـــأقرعيهـــا ، ولا يلنْ لـــكِ عـــودُ[1]
وانتشي بـاللظى ، فـما بـرحَ الكـأس خليـــاً من اللظى يســـتزيـــدُ
أجّجيـــه كي لايبـــوخ ، فـــإن النـــارَ أن يتبـع الـوقـودَ الـوقـودُ
وأنْشِقي من دخـــانِـــهِ ، فـــدخـــانُ النـــار في رحمـــةِ المعـــامـــعِ عـــودُ
إنـــه الأثمـــدُ المحببُ ، لم تكحـــل من مثله العيـــونُ الســـودُ
إنـــه والحـــرابُ محمـــومـــة الـــطعن خضـــوبٌ من الـــدمـــا تغـــريـــدُ
والجبـــاهُ السمـــراءُ تستشرف الـــطعن كـــما إستشرف الهـــوى معمـــودُ
أنت بـــين إثنتـــين ، إمـــا وجـــودٌ يتحـــدى الفنـــا ، وإمـــا لحـــودُ

(١) الوائلي ، أحمد ، الديوان الأول ص ٥٦ .

فـــأبـــوك ابن بجـــدة ، مـــاحـــواه غـــيرُ بـــردٍ محـــبّرٍ ، أو صُعيـــدُ

فهنا يطلب من الأمة مقارعة الخطوب ، والانتشاء بكأس اللظى ، وتأجيج ناره ، وانتشاق دخانه ، فهو دواء العيون ، وتغريد الدماء ، فالجباه تستشرف الطعن ، استشراف المحب للهوى ، والأمّة بين إثنتين : إما وجود يتحدى الفناء، وإما ممات ، فهي ابنة من اختار إحدى الحسنيين .

ويستمر مخاطباً الأمّة ، مُذكراً لها بالفتوح التي حققتها ، وإفتراعها للصعاب والمحن ، وقرعها للزحوف ، وسلاحها جريد النخل ، في محاربيها التقى ، وفي أقلامها الحضارات ، ولأمجادها الصروح ، فكيف لان حديدها ، وانصهر عودها ، وذلك قوله :

أمّتي واســألي النجـومَ ، أمـا كنـا أبـــاةً عـــبر النجـــوم نـــرودُ
وزرعنا الفتـــوحَ في كـــلّ فـــجٍ فلنـــا فـــوقَ كـــلّ أرضٍ شهـــودُ
الخـــدودُ المصعـــراتُ رسمنـــاها فخـــرت عـــلى ربـــانا الخـــدودُ
وافترعنا الصعـاب بالسيفِ ، فانهارت لـــديـنـــا حـــواجـزٌ وســـدودُ
إن نهدنـا للفتـحِ تسبقنـا الاصـداءُ حتّى تفـرّ منهـــا الجنـــودُ
أو قـرعنـا الـــزحـوفَ فـرت ، ولـو أن سـلاحـاً عـلى يـديـنـا (جريـدُ)
أو مشت خيلنـــا تـــبرّجنَ يلثمنَ خـــطاهـــا أبـــاطـحٌ ونجـودُ
في محـــاربينـا التقى ، والهـدى ، و الفكـــر ، لله لا ســـواه سجـــودُ
ولأقـــلامنـــا الحضـــاراتُ مـــازالَ إلى الآن جـــذرُهـــا مشـــدودُ
ولأمجـــادنـــا بكـــلّ ربـــاعِ الأ رضِ صـــرحٌ إلى الســـما ممـدودُ
ثم عـــذراً ، فـــما اجـتررت ولكني تســـاءلت كيف لانَ الحـــديـــدُ ؟
أهـــو عيبُ المـوادِ ، أمْ عيب من يبني ، فقـــد ضلل الهنـــا التعقيـــدُ
غـــير اني .. وربمـــا ســـاء رأيٌ وتخـــطّى الصـــواب فكـــرٌ ســـديـدُ
مـــا تـــرددت إنـــه عيب بـــانٍ صنـــعَ الجيـــلَ صنـــعَ من لايجيـــدُ
فـــاعـذروا أيهـا البناة ، إذا ذابـوا فعنـــد اللظى يـــذوب الجليـــدُ
شـــدتمـــوهـــم من الـفـراغِ فـماذا هـــل يُـرجّى من الـفـراغ رصيـدُ

ويستمر مخاطباً الأمّة ، عارضاً أمجادها ، مقارناً بين ماضيها المجيد ، وحاضرها الهزيل ، متحدياً رواية النكسة بما أفادته ، فيقول :

أمتي والشموخ والعزّةُ القعساء والمجدُ باذخٌ والصمودُ
والهديرُ المرنانُ من حلبات السبق نشوان من صداه الوجودُ
والسنا المشرأبُ في فجرنا الزاحف تجلو الظلام منه بنودُ
وصروحٌ من دونها سقطت هامٌ، وبانت سواعدُ وزنودُ
شهد الدم أننا دون مبناها زحمنا القراع وهو شديدُ
ذهبت والتوى الشموخ، وقالت نخوةٌ أينَ من جدودٍ حفيدُ؟
واستفاقَ الاباء، ينكر ما صرنا اليه، ولجّ فيه الجحودُ
وتمطى دمٌ عصيٌ، على الجلى أبيٌ، على الهوان عنودُ
يتحدى روايةَ النكسة الشنعاء بل فرية رواها حسودُ
وجراح موجودةٌ من حرابٍ القوم ينزو منها دمٌ وصديدُ
كذبت وهي بالشفار تشظى أن من يحمل الشفارَ اليهودُ

ثم يصف الاستفاقة بعد النكسة، وتغير الحال، وإذا بالسادة عبيد، والعبيد سادة، بعد أن أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وذلك قوله:

وأفقنا بزعمنا، غير أنّا ماعرفنا للآن أنّا رقودُ
وبأن الذي زعمناه في القرقر فقعاً، ورب زعم بليدُ
وضعَ القيدَ في يدينا، ونحنُ السادةُ الغرّ، والأباةُ الصيدُ
وعبيد كانت لنا تدفع الجزيةَ، همُ سادةٌ، ونحنُ العبيدُ
فابك يافخرُ، واخرسي ياماويل وقلْ أيها الشجي ما تريدُ
واستكيني ياكبرياءُ لذلٍ مالمعناه في الهوانِ حدودُ

ويستمر باستعراض هذه الحال، وقد صوح الحقل، ومات البذر، مستنجداً بأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وقد ألوى بخيبر كالغصن في يده، ليستنزع سيناء من الاعداء، ويرجع الأسرى، ويسوّي زيف الطبائع، فيرد كل شيء إلى أصله، وذلك قوله:

صوّحَ الحقل ياجهام، ومات البذر من أصلهِ، ففيم الرعودُ؟
يا ذرى «خيبر» أما من (عليٍ) يتلوى بكفّه أملودُ
ينتضينا «سينا»، ويرجعُ أسرانا فقد الحفتْ عليها القيودُ
ويسوّي زيفَ الطبائع، حتى كلّ شيء لأصله مردودُ
حيثُ ما استأسد ابنُ آوى، ولكن خدرت في مروضيها الأسودُ

ثم ينعطف الشاعر على فيتنام ، وهي تكرع الموت ، وتدوس الغرور ، وتقسر آلهة الحرب على الركوع ، لتذكر الأمّة بالبطولات ، إذا تناستها ، وتمنحها العزم واللهب ، إذا سرى اليها الركود ، فيقول :

يا (فيتنام) يالهى تكرع الموت إذا خاف حتفهُ الرعديدُ
يا خطى داست الغرورَ جباهاً وأذلته وهو وغْدٌ حقودُ
قسرت للركوع آلهة الحرب فأهوى إلى النزولِ الصعودُ
ذكرينا ، إذا نسينا البطولات فقد يعتري الذكّي شرودُ
وامنحينا وقداً ، ليصهر بردٌ يستوي فيه قائدٌ ومقودُ

ويعود إلى ما نعالج به النكسة ، من الأقوال ، والقصائد ، والأناشيد ، والرقص ، شاجباً ذلك كله ، فيقول :

يا جراحاً قد ضمدّوها بجرح هل لجرحٍ بمثله تضميدُ
كان جرحٌ بالأمسِ طبّب منه الشاعرُ الفحلُ ، والخطيبُ المجيدُ
وأتى جرحٌ اليوم ينشد طباً فتصدى إلى العلاجِ النشيدُ
وصداحٌ من المها ، راقص الوقع يزكي حماسه التنهيدُ
واصدحي يا مها ، وأبدع من ذلك أن تشرع الرماحَ النهودُ
من عذيري من راقصين على البلوي ، كأن الشقا لديهم عيدُ

كل ذلك ، وله من المبررين العديد الأكثر ، وحوالينا للشجون حديث معاد مردد ، فمن طعين الى شهيد ، ومن طفل يتيم ، الى بقايا أم تجود ببقايا روح ، ويسرد عدة من المآسي ، ويعرض صوراً حزينة للاجئين في خيامهم ، ولحديثهم فيما بينهم ، فيقول :

فهنا يرسل الأنينَ طعينٌ وهنا يلفظُ الحياةَ شهيدُ
وتبارى المبررون وكم هان على ثغرِ نائحٍ تعديدُ
ووقفنا ، وللشجون حوالينا حديثٌ يملّهُ الترديدُ
وهنا طفلةٌ ، وطفلٌ يتيمٌ والأسى ، والحرمانُ ، والتشريدُ
وبقايا أمٍ بَرَتْها الرزايا ببقايا حطام روحٍ تجودُ
وعلى صدرها تكوّر طفلٌ كل مافيه نابضٌ ووريدُ
شاحب اللون ينشد الدرّ من أثداء جفّتْ ، فليسَ إلاّ جلودُ
وصبايا بالأمسِ ، ودّ شفيفُ النور لو أنه لهنّ برودُ
ناعماتٌ فواغم بالشذى والعطرِ لدنٌ من البضاضةِ غيدُ

بتنّ يرفلنَ بالشباب ربيعاً خضلاً ، تستحمُ فيه الورودُ
ثم أصبحن ، والمواطن نهبٌ ولذيذ الأوطار حلمٌ بديدُ
لا أبٌ يحضنُ الصغار ، ولا عشٌ به تحتمي ، ولا مَنْ يذودُ
الأماني ، والطهر ، والأهل ، والأوطان ، راحت فهل هناك مزيدُ
ما لها غير خيمة أشبعتها الريح مزقاً ، ومئزرٌ مقدودُ
وفراشٌ مهلهلٌ فيه للاحسان ، والمن في الرقاب ، عقودُ
وهمومٌ وما أظن الرزايا عرفت مثلهن مما يؤودُ
نمّ عنهنّ في الترائبِ نار وحكتهنّ في العيونِ جمودُ

ثم يختتم قصيدته هذه ، بوصف آلام اللاجئين ، وهم كاللقى لا إلى موت مريح ، ولا من حياته يستفيد ، وينعطف لسرد فضائح المائعين من الشباب ، الذين يؤمل بهم النصر ، ليصف ماهم عليه من خمور ، وفجور ، وليال حمراء ، فألم الجلد لايحسّه إلا الجلود ، والمتفرجون يهون عليهم ذلك ، فإن شئتم المهات فموتوا أيها اللاجئون ، وإلاّ فكل ماترون سراب في سراب ، فلا يروي الغليل إلا عودتكم إلى فلسطين ، وذلك قوله :

أيها اللاجئونَ ياوشل الآلامِ يانضوَ نكبةٍ لاتحيدُ
يالقىً إلى المهات فيرتاح ولا من حياتِه يستفيدُ
كل صبحٍ يميته الواقعُ المُرّ وتحييه في المساءِ الوعودُ
هوّموا ليلكم بما فيه فالقرّ وشربُ الدموعِ والتهيدُ
هل أتاكم بأن ليل صحابي (شهرزاد) تحكي ، وخمر ، وعودُ
وانتهاب لحاضر لايبالي بغدٍ ، أهو مدقعٌ أمْ رغيدُ
وأماني ضاحكات ، وللجلى أمانيكم الثقالُ السودُ
وكؤوسٌ مازلن يحلمنّ بالصهباء والكرم ما بها عنقودُ
أيها اللاجئون هان على الناظر ماقد يذوقه المَجْلودُ
فاذا شئتم الحياة فموتوا فوراء المهات بعثٌ جديد
احسبوا كل ماترون سراباً لايروي الغليل حتى تعودوا

(فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ ـ ١٩٦٨ م) ط ٢ (بيروت ١٩٨٤) .

فلسطين في شعر الوائلي

الدكتور حاتم الساعدي

استاذ الأدب العربي الحديث

ـ جامعة سبها ـ الجماهيرية الليبية

ليس ربط العمل الأدبي بأهداف اخلاقية أو تعليمية أو سياسية ، أو بمعتقدات دينية حديثاً ، وإنما هو قديم كقدم الأدب نفسه ، إذ استخدمه أدباء اليونان ونقادهم أمثال الشاعر الكوميدي (ارستوفان) الذي استخدم مسرحيته (الضفادع) للموازنة بين كبار شعراء التراجيديا اليونانيين أمثال (ايسكيلوس ويوروبيدس) مفضلاً الأول على الثاني ، منطلقاً من معتقداته الدينيّة والاجتماعية التي تقف إلى جانب تقديس المفضل للآلهة ، وضدّ إبعاد (يوروبيدس) مسرحه عن الدين والآلهة .

ومن القدماء ، الذين ربطوا العمل الأدبي بالأهداف المذكورة (هوراس) الذي قال «يهدف الشعر إمّا إلى الفائدة أو المتعة ، أو إلى جمع المتعة والفائدة معاً» .

أمّا في عصر النهضة فأبرز عمل ربط به صاحبه العمل الشعري بهدف أخلاقي ، قد صدر عن الانكليزي (فيليبي سدني) في كتابه «دفاع عن الشعر» أو «اعتذار عن الشعر» الذي دار في إطار المفهوم الكلاسيكي للشعر كما قال به أرسطو ، إلا أنه لم يقف عند المفهوم الفني للشعر فقط ، كما كان لدى ارسطو وإنّما ربطه بوظيفة أخلاقية . فالشعر لدى سدني في كتابه المار الذكر «محاكاة هادفة» . والشعر الذي لافائدة له ولاهدف لاقيمة له .

وأتى بعد سدني آخرون أمثال بيرك (Burk)و(نيومان newman) ثم ماثيو آرنولد ، ناقد العصر الفيكتوري .

---

١ ـ في نقد الشعر : د . محمود الربيعي ص٣٩ـ٤٤ ، ط ٤ ١٩٧٧ ، دار المعارف بمصر .

وأمّا النظريات الأدبية التي آمنت بالأيديولوجيات ، أي «المواقف المحددة المتسقة» فهي «نظرية التعبير» و (نظرية الانعكاس) .

فالنظرية التعبيرية قد آمنت بالفرد ، ولاسيّما العبقري ، وقالت بحريته الشخصية ، حتى أصبح ذلك الأيمان جزءاً من ايديولوجية الطبقة البرجوازيّة التي أثرت في المسار الأدبي تأثيراً كبيراً على صعيد الموضوعات والأساليب والأهداف .

وآمنت نظريّة الأنعكاس بالفكر الاشتراكي العلمي . وطالبت الأديب بأن يحمل هموم طبقته ، وأن يجعل همومه جزءاً من تلك الهموم ، وأن ينظر الى الأدب على أنه انعكاس للواقع الاجتماعي يتأثر به ويؤثر ، ويتفاعل معه بصورة متحركة دائمة[٢] .

وإذا كان أدبنا العربي القديم لم يشترط الالتزام بغاية أخلاقية أو اجتماعية معينة ، بل كان ينتهج المقاييس الفنّية البعيدة عن الأهداف الدينّية والتعليمية[٣] ، فإنّ بعض شعراءنا المحدثين ، اختطّوا سبيل الالتزام إمّا بسبب تأثرهم بالتيارات الأجنبية ، وإمّا نتيجة لأجتهادهم الخاص ، الذي الزمهم الأضطلاع بالمسؤوليّة الملقاة على عاتق الأديب ، تلك التي يراها البعض مسؤولية شرعيّة . فالأنسان ـ كما يرى عدد من النقاد والشعراء المحدثين ـ خليفة الله في أرضه ، ومهمة هذه الخلافة تلزم الانسان أن يوظّف نشاطاته في سبيل الله ، ومن أجل الدعوة لما أمر به سبحانه . ولما كان الأدب شكلاً من أشكال النشاط الأنساني ، كان حقيق على الانسان أن يوظفه لخدمة تعاليم السماء[٤] . فالفن ـ كما يقولون ـ «من وجهة نظر الاسلام هو الإبداع البشري الهادف الجميل الذي يرتفع بروح الأنسان باتجاه المثال النقي مبتعداً عن أوحال الأرض وشرورها»[٥] .

ويظهر أن شاعرنا الوائلي واحد من الشعراء الذين وظفوا شعرهم لخدمة دينهم وأمّتهم ذابّين عن تراث تلك الأمّة وترابها وقيمها ، راجين لها أن تعيش سليمة من الدنس بعيدة عن الاستغلال والسيطرة الأجنبيّة . ولا مراء في ذلك إذا ما لمسنا أن الكلمة الشعريّة ـ في منظاره ـ

---

٢ ـ محاضرات في نظرية الأدب : د . شكري عزيز الماضي ص٩٧ وما بعدها ، ط ٤ ١٩٨٤ ، قسنطينة / الجزائر .

٣ ـ انظر : طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني والموازنة للآمدي

٤ ـ مجلة الفجر : السنة الاولى / صفر ١٤٠٤هـ طهران .

٥ ـ الواقعية الاسلامية : د . أحمد بسام ساعي ، دار المنارة ، جدة ـ السعودية ط ١ ١٩٨٥ .

ليس إفرازاً عاطفياً فحسب ، بل هي «إذا أُحسن توظيفها في مسارها الأيديولوجي . . ثمرة لمعاناة مقصودة ذات هدف محدّد»[٦] . ولاغرو فيه إذا ما سمعنا أجراس ذلك الشعر تقرع بين الفينة والأخرى داعية للتصدي للمهمات ومنازلة الأرزاء ، ولأستعذاب الموت من أجل الأهداف الكريمة والغايات النبيلة . إذ كيف لا وهو ممّن يقولون بأن الأدب تعبير عن المجتمع ، وإنه المرآة المصورة لكل «مايخوضه من معارك ومن نضال وكل مايتصل به من قضايا سياسيّة واقتصادية» .

ومن ثمّ الفيناه يرفض شتم الخطب والتباكي أمامه ، ويدعو للتصدّي له ولمحاولة اخضاعه ، من أجل الحياة والمجد الذي يحتقر الجبناء ، قائلا :[٨]

لاتشتمنَّ الخطب أو تبكي له فالخطب ليس بمثل ذلك يدفع
فلقد شتمنا الرّزءَ حتّى اتخمت آذانه والرزءُ باقٍ مزمع
لكن تصدّ له فإن أخضعته تحيا وإن خفت المهات ستخضع
فالمجدُ يحتقر الجبان لأنه شرب الصدّى وعلى يديه المنبع

والفيناه متتبعاً مسار الشعر وواعياً دوره التاريخي وما ألحق بالطغاة الظالمين ، منشداً :

فالشعر أجّج ألف نار وانبرى يلوي أنوف الظالمين ويجدعُ

مفيداً بأنه يستطيع في كلّ وقت تحقيق الأهداف الكبار إنْ شاء ، وإنْ أحسن استخدامه . وهذا بعض قوله :

لو شاء صاغ النجم عقداً ناصعاً يزهو به عنق أرقّ وأنصعُ
أو شاء ردّ الرمل من نفحاته خضلاً بأنفاس الشذى يتضوّع
أو شاء قاد من الشعوب كتائباً يمنو لها من كلّ أفق مطلع

والفيناه يرفض انزواء الشعر وخروجه من ساحات الكفاح ، وانشغاله في خدمة المترفين ، وتلطيف اجواء أنسهم وسمرهم الباطل ، مردداً :

---

٦ ـ مقدمة ديوان الوائلي (الأول) : ص٧ ، مؤسسة أهل البيت ، بيروت ١٩٨٥ م .
٧ ـ قضايا النقد الأدبي المعاصر : د . محمد زكي العشماوي ص١٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / الاسكندرية .
٨ ـ الديوان الأول : للوائلي ص٤٩ وما بعدها .

أنا لا أريد الشعر إن جدّت بـا نـوبٌ يخـلّي مـاعـنـاه ويـقـبـع
أو أن يوشيّ الكأس في سمر الهوى لـيضـاء لـيـل المـترفـين فـيـسـطع

مناشداً إياه أن يكون سيفاً ومجداً :

لكن أريـد الشعـر وهـو بـدربنـا مجـد وسـيف في الـكـفـاح وأدرع

وأن يكون (رائداً . . وفكراً) :

إنّـا نـريـدك والأمـاني جـسّـدت بـك رائـداً يـبني وفـكـراً يـبـدع

وهكذا كان شاعرنا يقدر دور الكلمة ويقول بضرورة توظيفها لأداء رسالتها ، في الوقت الذي يؤكد فيه الجانب الفني وأهميته والعفوية وعدم التكلّف والعزيمة والثقافة وأهمية هذه المسميات في الشعر ، منتهياً الى «أن تغليب الجانب الفني على الجانب الرسالي أو العكس إنما يحدده التأكيد (كذا) على أحد الجانبين دون أن يطمس هذا التأكيد معالم الجانب الآخر»[٩] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ـ فلسطين والتزام الوائلي ـ

اذاً لم يغفل شاعرنا الوائلي رحاب القدس وأرض فلسطين في قصيدته (رسالة الشعر) التي تحدّث فيها عمّا يجب أن يضطلع به الشعر من دور قياديّ وجهاديّ وتوجيهي ، فإنّه لم يقف عند هذا الحدّ ، وإنما تناول فلسطين في أكثر من مناسبة وكتب فيها أكثر من قصيدة .

وإن كان في قصيدته المذكورة قد عدّ فلسطين زاوية من زوايا معاناته ، وهدفاً من أهداف شعرنا الكبار ، مشيراً إلى ما يتعرض له في قوله :

هـذي رحاب القـدس منذ تـرسخت صرعـى الى زعـقـاتـنـا تـتـسـمّـع
تصحـو عـلى نـوء فتتلع جيدها وتـراه من خـدع السّحـاب فتهـطع

فإنه في ديوانه ـ الذي كانت قصيدة «رسالة الشعر» من بين ما نشر فيه ـ قد كتب ثلاث قصائد في فلسطين هي : «من وحي النكسة[١٠]» و«حديث فلسطين»[١١] و«العمل

---

٩ ـ مقدمة ديوانه الأول : ص٧ .
١٠ ـ ديوانه الأول : ص٥٦ .
١١ ـ المصدر السابق : ص٦٢ .

الفدائي»[١٢] . خاض فيها عدداً من الموضوعات منها : الشعب الفلسطيني وتشرده ، والصهاينة وحقيقتهم ، وماصدر عنهم ، وفلسطين وأهميتها وكونها التربة التي نبت فيها الأنبياء . ودور الحكام العرب والمسلمين إزاء ما تعرضت له فلسطين ، والمطالبة بالثورة والفداء من أجل الكرامة والنصر .

معاناة الشعب الفلسطيني

إذا تحركنا مع الوائلي ابتداءاً من تصويره للشعب الفلسطيني وما تعرض له من ويلات خلال المدّة الطويلة التي جثم فيها العدو الصهيوني على كاهل فلسطين ، وجدناه يبّرز أوصاب هذا الشعب ويعرض جراحاته ، منتقلاً من عطاء أرض فلسطين المتجسّد بزهوّ كرومها ورفيف سنابلها وغناء أطفالها وسكر حضائرها وربوعها ، ومنافستها لجنان الخلد في العطاء وفي تضوّع انسام السعادة والرخاء ، منتهياً إلى أنّ كلّ ذلك أمسىٰ من نصيب اليهود في قوله :

تفجر خيراتها لليهود ومن حولها أهلها ترمق

ولم يقف شاعرنا عند هذا الحدّ ، لأن العدوّ لم يكتف بامتلاك الأرض ، ولم يرضِه أن يبق الشعب المظلوم يتوسّد تراب أرضه الطاهر ، وإن عاش على الطوى ، بل أضاف إلى جوعه وغربته الوطنيّة ، التشريد والخسف والهوان ، فبيوتات هذا البلد :

مشرّدة للطوى والزبول وللنائبات وما يطرق
وللذلّ ينهش في الكبرياء وللهمّ يحنى له المفرق
ونطق الأسى في عيون الصغار وإن لم يقولوا ولم ينطقوا

ونتيجة لكل ذلك أمست أضلاع النساء وقلوبها ملجأً للأسى ، وخدورها مأتماً للنوح . إذ كيف لا والسؤال الحائر في عيون الأطفال وعلى شفاههم «أمّاه أين أبي المشفق» ؟ يحتاج إلى جواب . . وكذلك :

وأين أخي ولدّاتي وأين ملاعب داري التي أعشق
لماذا أنام بهذي الخيام وخدّي على الترب لايرفق
وأمّي بجنبي تنثّ الدماء من صدرها وأخي يشهق
لماذا يسممّوننا اللاجئين أليس لنا وطن مسبق

---

١٢ ـ المصدر نفسه : ص٧٢ .
١٣ ـ نفسه : ص٦٢ وما بعدها .

إذ كيف لا ؟ وأطفال فلسطين قد أَغلَقت أمامهم الحياة ـ نتيجة لما سادها من جور وظلم ـ أبواب السعادة ، وأذوت من ربيع حياتهم كلّ أزاهير البُشر والهناء ، بعد ان حرمتهم من كلّ شيء ، وضنت عليهم حتى في رؤية آبائهم الذين كانوا سوحاً لتحقيق آمالهم وأحلامهم ، بل بَخِلت عليهم حتى في الحصول على لحظات من الكرى التي يأملون أن يمدوا خلالها جسور الاتصال بآبائهم . ومن ثم كانت حال الطفل الفلسطيني وكان نداؤه :

أبي كم نشدت الكرى كي أراك ولكن عيني أبي تأرقُ
تعالَ أبي ، ويذوب الصغير وعيناه بالدمع تغرورق

ولم ينفكّ الوائلي يلاحق مواطن اللوعة والحسرة والذبول والفناء التي يتعرض له الشعب الفلسطيني ، نافضاً تراب التغاضي والتعامي عن عمق جراحاته . ففي قصيدته (من وحي النكسة) وضع لمساته على صور متعددة : للشهداء وتوديعهم للحياة ، وللاطفال وما يلاقون والجرحى وما يفرزون والامهات وما يكابدْنَ قائلاً[١٤] :

فهنا يبعث الأنين جريح وهنا يلفظ الحياة شهيد
وهنا طفلة وطفل يتيم والأسى والحرمان والتشريد
وبقايا أمّ برتها الرزايا ببقايا حطام روح تجود

وعلى الرغم من كلّ مايجري فالشاعر متفائل آمل في النصر :

بنيّ رويداً فلابدّ أن تردّ السّهام لمن فوقوا
ونصنع فجراً سخيّ الضياء ومجداً على دمنا يبسق

ـ سهام الشاعر ـ

لايخفى على من أمعن النظر منصفاً وأرهف السمع وهو حصيف ، أنّ مايدور على تراب فلسطين هو حرب مصيريّة بين شعب شرعي الوجود مهضوم الحقوق ، منتهك الحرمات وبين شرذمة باغية ناصرها الباطل وشجعها التخاذل ودعمتها الخيانة .

---

١٤ ـ نفسه : ص٥٦ وما بعدها .

وإذا كان شاعرنا قد صور بعض جوانب القتل والتشريد التي تعرض ويتعرض لهذا هذا الشعب ، وكؤوس الآلام التي يتجرعها أبناؤه كل يوم ، فإنّه قد أزال ـ فيما كتبه ـ الستار عن حقيقة هذه الشرذمة الباغية ، وعن اسباب جبروتها مفيداً بأن ولادتها وإن زكتها قوى الاستعمار الظالم فهي محرمّة ، وأن انتصارها وإن تحقق في شوط أو أكثر فهو إلى الفشل وهي إلى الخيبة . وهذا بعض قوله[١٥] :

إيه صهيون ياولادة بغي أبواها خيانة واجتراح
إن وضعاً ولدت فيه وإن زكّاه حكم القويّ فهو سفاح
خفضي التيه لايغرك عرس أنت فيه فقد يليه نياح
كلّ شوط فيما علمّنا سجال لم تدم فيه خيبة أو نجاح
سيدوس الصمود غطرسة البغي وتعنو تلك الوجوه الوقاح

وإذا كانت سهام الوائلي قد وجهت الى الصهاينة وعرّتهم ممّا يتسترون به من زيف ، فإنها صوّبت كذلك الى بعض الحكام ، الذي تحوّلت مهمّاتهم ومسؤولياتهم من حماية الوطن والحفاظ على ترابه وشرفه ، إلى التفنن في قتل الشعوب وسرقة حقوقها وتكبيل حريتها ، وبناء ابراجهم من دمها وعرقها ، مما اضطر شاعرنا إلى أن يسمهم بـ (رفات الرجال) والدواهي التي ألمت بالشعوب ، وبالسارقين والقتلة ، ويرميهم بالبلادة والحمق مردّداً :

أقادتنا يارفات الرجال وياجيفاً نتنها يخنق
ويانوباً ما أصاب الشعوب كأمثالها نوب تمحق
ويابلهاً ما أضاع الحقوق أتفه منه ولا أحمق
وياسارقين ولم يُقطعوا ويا قاتلين ولم يُشنقوا

وحَمَلَهُ على أن يكشف بعض أوراقهم : كاستئسادهم على ابناء جلدتهم وتخاذلهم أمام الاعداء ، و (تزئبق) أفكارهم وتلونها ، والانشغال بالقول دون الفعل وبالخيال دون الواقع ، مما ارساهم وبلادهم وشعوبهم على ماوصلوا اليه من نتائج مؤلمة ومواقع متخلفة ، وهذا بعض قوله :

---

١٥ ـ نفسه : ص٦٢ وما بعدها .

فيامن على شعبهم آفة ويامن على خصمهم أنيق
ويامن تعود لعق الجراح متى يؤلم الجرح من يلعق
ويامن تزئبق في فكره متى عرف المبدأ الزئبق
ركبتم بنا سابحات الضجيج فللترب أنتم ومن صفقوا

وفي قصيدته (العمل الفدائي) يطالب الحكام بالصراحة وبالصدق والاخلاص في العمل بعيداً عن الاقتراحات والمهاترات الفارغة ، ويناشدهم بأن لا يثيروا ضباب الغموض في دروب الشعوب ، مفيداً بأن العربي كان ولا يزال مارداً مقداماً ذا عزم عالٍ وهمة كبيرة ، بيد أن ما وضع في دربه من عراقيل ، وحول قضيته من خداع ومتاجرات هو الذي وصل به الى هذه الحال . فالشاعر بعد ان يخاطب الحكام قائلاً :

إيه يا قادة السفين أما آن بأن ينطق الكلام الصراح
والوغى تصطلي وهذي عرانا واقع قائم ونحن اقتراح

ينتقل الى تصوير العربي ، داعياً الى إبعاد الوعود الكاذبة الخداعة عن ساحته ، والى وضعه في جادة الحقيقة ، للاضطلاع بمهمته بنفسه قائلاً :

عربيّ ملء الزمان وعزم يتلظى وصاهل نفّاح
وهو اليوم مثلما كان بالأمس هدير مزمجر وطماح
غير أن الضباب سدَّ عليه الدرب فاستبهمت به الأشباح
فضعوا خطوَه على واقع الدرب أشوك بدربه أم أقاح
وأريحوه من خداع وعودٍ وسمتها بالكذب حتى سجاح

ـ خطَاب الشاعر لأبناء الأمة ـ

إذا كان الوائلي قد وظَّف قسماً من شعره ـ الذي كتبه في قضية فلسطين ـ في إبراز ما تعرض له الشعب الفلسطيني من ويلات ، وفي التنديد بأعداء الشعب من صهاينة وحكّام غير مخلصين ، فإن لم يقف به عند هذا الحد ، وإنما تطلع الى التفاؤل والأمل والى التحرر والانتصار ـ ولما كان يعلم ـ وهو الخبير المجرب ـ أن الشعوب هي سلاح النصر ووقود العطاء ، ومادة الديمومة والاستمرار ، أدار وجهه نحوها حاضّاً إياها ، شاحذاً همها ، مجسداً دورها ، راسماً لها سبيل النصر .

والملاحظ أن الشاعر في هذا الميدان قد سلك عدداً من المسارب ابرزها :

١ ـ لفت أنظار أبناء الأمة الى أهمية فلسطين .

٢ ـ تذكيرهم بماضيهم وأمجاده .

٣ ـ رفض وسائل التخدير والرقص على البلوى .

٤ ـ الدعوة الى الجهاد والاستعداد للموت من أجل النصر .

وهذه صورة موجزة عن المسارب التي سلكها والاسلوب الذي اتبعه فيها .

ـ كيف خاطب شاعرنا أبناء الأمة ـ

لما كانت قناعة الشاعر قد رست على أن الأمة هي السلاح الذي بشحذه واستخدامه يتحقق تطهير أرض فلسطين وقدسها الشريف من دنس الصهاينة ، ويتحقق تخليص الشعب الفلسطيني من ربقة السيطرة الأجنبية ليتنسّم عبير الحرية ويتذوق لذّة الوجود والاستقلال ، لم يبق أمامه ـ والشاعر المخلص كما هو معروف لسان الأمة ومحركها ـ إلا تهيئة هذا السلاح وشحذه أي تعبئة الأمة وتحريكها . وهذه التعبئة تحتاج الى ضم القضايا العاطفية والوجدانية الى القضايا العقلية لأن الاقناع الوجداني قريب من الحكمة والالزام في الغالب . ومن ثم يلاحظ قارىء أشعار الوائلي انه حين خاطب جماهيره قد لفت أنظارهم الى قداسة ارض فلسطين ، أو الى أنها التربة التي درج عليها الأنبياء والبلد الذي تناغم في ربوعه التسبيح ، وفاح في أجوائه عطر الرسل والرسالات ، حيث أنشد :

يـا ثرى ينبت النبيون فيه ... فهو النور والهدى والصلاح
تختفي بالصلاة والحمد والتسـ ... ـبيح فيه العشيّ والاصباح
بصمات المسيح فوق ثراه ... وشذى من ردائه فوّاح
وبه من محمد قسمات ... يجتلي حسنها السّنا اللمّاح

كما لفت أنظارهم الى ماضي أمتهم ، ماضي العز والإباء والشموخ ، والهدير الذي أطرب الوجود ، والبنود التي انجلى من سناها الظلام ، والصروح التي بنتها هامات الرجال الأماجد ، مستشهداً بدمائهم مردداً :

شهد الدم أننا دون مبناها ... زحمنا القراع وهو شديد

ومتأسفاً ومتألماً لما وصلنا اليه من ضعف وانحدار قائلاً عن الصروح التي شيّدها الدم بأنها :

ذهبت والتوى الشموخ وقالت نخوة أين من جدود حفيد

وإذا ما حاول الشاعر أن يرينا بصوره الجميلة ـ التي نرجو أن يحالفنا الحظ في ان نخصها بدراسة مستقلة ـ أن الإباء العربي قد استفاق ، وأن الدم العربي قد غلى في العروق وثار على الهوان متحدياً النكسة ، ومكذباً افتراء الأعداء القائل بتفوقهم وعدم قهرهم ، فإنه ينتهي بنا الى أرض الواضع التي استقرت عليها أقدامنا ، قائلاً :

وضع القيد في يدينا ونحن السادة الغرّ والأباة الصيد
وعبيد كانت لنا تدفع الجزية هم سادة ونحن العبيد

لذلك أبكانا وأبكى أحاسيس الفخر فينا وأدوات الفرح لدينا :

فابك يا فخر واخرسي يا مواويل وقل أيها الشجا ما تريد

واستنجد بالماضي ورجالاته قائلاً :

يا ذرى خيبر أما من عليّ يتلوى بكفّه أملود
ينتضينا سيفاً ويرجع أسرانا فقد أطبقت علينا القيود

وبعد هذه الاستفزازات العاطفية والإثارات الوحدانية وضع الشاعر لمساتنا على علة فشلنا مفيداً :

حيث ما استأسد ابن آوى ولكن خدّرت في مروضيها الأسود

ولفت انتباهنا الى بعض ممارساتنا غير المجدية قائلاً :

يا لوجدي من راقصين على البلوى كأنّ الشقا لديهم عيد

وأخذ بأيدينا وأيدي أبناء الأمة الى السبيل الذي ما دونه سبيل ، سبيل الجهاد والتضحية والفداء . ففي قصيدته (من وحي النكسة) قال مستهلاً :

أمتي أرست الخطوب السّود فاقرعيها ولا يلن لك عود
وانتشي باللظى فما بسرح الكأس خليّاً من اللظى يستزيد
أجّجيه كيلا يبوخ فإن النار أن يتبع الوقود الوقود
وانشقي من دخانه فدخان النار في زحمة المعامع عود

وهكذا حتى ينتهي بالأمة الى أحد طريقين إما الحياة وإما الردى ، منشداً :

أنت بين اثنتين إما وجود يتحدّى الفنا وإما لحود

ويكرر الشاعر مناداته للكفاح ودعوته الى استعذاب الموت واسترخاص النفوس من أجل الوطن والكرامة في أكثر من موضع . فإذا كان قد دعا الأمة ـ بأبياته السابقة ـ الى قرع الخطوب وتأجيج نار الحرب ضد المعتدين والتلذذ بلظاها ، فإنه قد توجه كذلك الى الشباب مطالباً بالفداء

والجود بالدماء وبكل غالٍ ونفيس من أجل العزة والكرامة ، وهذا بعض قوله :

يا شباب الفداء يا ديمة في الجرب تشتاقها الذرى والبطاح
نحن بين الحياة في حكم اسرائيل شعباً يدوسه الذباح
أو كراماً نعطي الدماء لنحيا أمّة من عطائها الأرواح
ليس بين الهوان أو مسلك العز اختيار وللنفوس طماح
فالكرامات دونها ألف غال ونفيس في النازلات يباح

وتوجّه الى اللاجئين مناشداً :

فإذا شئتم الحياة فموتوا فوراء الممات بعث جديد

ويذكر شاعرنا (فيتنام) التي شربت كؤوس الموت لتدوس غرور امريكا وتذل كبرياءها ، مطالباً بأخذ العبرة منها ، مردداً :

يا فيتنام يا لُهىً تكرع الموت إذا خاف حتفه الرعديد
يا خطى داست الغرور جباها وأذلته وهو صلف حقود
قمرت للركوع آلهة الحرب فأهوى الى النزول الصعود
ذكرينا إذا نسينا البطولات فقد يعتري الذكي شرود
وامنحينا وقداً ليصهر برد يستوي فيه قائد ومقود

ويخلص المتتبع لما نظمه الوائلي في فلسطين الى انه كان متفائلاً واثقاً بالنصر شريطة أن تترسم الشعوب العربية سبيل الجهاد والمقارعة الحقة ، وسبيل التلاحم وجمع الكلمة . وهذا بعض قوله :

سيعود السلام يا بلد القدس وشيكاً ويطرد السفّاح
ويلم الشمل الشتيت ويُنهى لغريب من الديار انتزاح
ويخلى من الأسير الذي أسرف فيه عضُّ القيود سراخ
وتسيل الانغام من قصب الراعي ويشدو بحقله الفلاّح
فيحيى الأحياء والشهداء الغرّ يفترُّ عنهم القدّاح

من لم تفده عبراً أيامه كان العمى أولى به من الهد

(ابن دريد)

اسلوب الوائلي في فن الخطابة

بقلم الشيخ علي عبد الله الخطيب(*)
جامعة الإمام الأوزاعي
كلية الدراسات الاسلامية ـ لبنان

إن من أولويات الأعمال التي كُلِّف بها الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم من قبل السماء هو دعوة الناس إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى : «وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» النحل/١٢٤ وهذا عمل شاق إذا ما أُخذ بنظر الاعتبار تنوّع أمزجة الناس وذهنياتهم وإدراكهم للأمور ، واعتقادهم بعقائد يتبنوها كابراً عن كابر ، لهذا كان على الداعية أن يكون قوياً وصلباً وعطوفاً . أما ان يكون قوياً فمعناه هنا الاستيعاب الوافي لمفاهيم الرسالة ، وأما أن يكون صلباً فمعناه الحرص الشديد على تطبيق المفاهيم مع نفسه أولاً لتتطبّع بها الأمة ثانياً ، وأما أن يكون عطوفاً أي لا ييأس من هداية الناس ولا ينتقم منهم ، فهذا النبي نوح عليه السلام الذي دعا قومه ليلاً ونهاراً وما زادهم دعاءه إلا فراراً . بقي أن يحمل الود والمحبة إلى أهله وذويه حتى خاطبه الله سبحانه في كتابه الكريم «ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون» المؤمنون/٢٧ .

والداعية في بحثنا هذا هو الخطيب الذي نذر نفسه لأداء هذه المهمة الربانية (الدكتور احمد الوائلي) الذي توفّر على مواصفات أهّلته أن يخدم الرسالة الإسلامية وأن يشيّد صرح مدرسة جديدة في عالم الخطابة من خلال المنبر الحسيني في النصف الثاني من القرن العشرين .

(★) ولد في بغداد ١٩٥٢ ودرس في جامعتها ونال شهادة البكالوريوس في اللغة الانجليزية وآدابها عام ١٩٧٢ ثم شهادة الدبلوم المهني العالي في التربية عام ١٩٧٤. ودرس شطراً من العلوم الدينية والعربية ومارس فن الخطابة الحسينية منذ عام ١٩٨٠، كتب عدة بحوث منها هذا البحث عن الوائلي وهو قسم من اطروحة لنيل شهادة الماجستير من جامعة الاوزاعي ، وله بحث عن آخر عن الاستشهاد بالحديث في علم النحو ، وآخر بعنوان : التخطيط الاعلامي في ثورة الامام الحسين ، وكتاب عن مباحث الدليل اللفظي في علم الاصول .

الخطابة

معنى الخطابة هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[١]. وقد ورد الخطاب في القرآن الكريم بمعنى حسم الخلافات وفصل الخصومات . قال تعالى : «وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب»[٢]. كما وردت اللفظة بمعنى الغلبة في المحاجة كما في قوله تعالى : «قال إكفلنيها وعزني في الخطاب»[٣]. كما وردت بمعنى السؤال عن القصد والشأن كما في قوله تعالى : «قال فما خطبك يا سامري»[٤] أي ما شأنك ولماذا صنعت هذا ؟ وقال تعالى : «ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون»[٥]. بمعنى لا تسألني في شأنهم . وقال تعالى : «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما»[٦]. أي لا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم في جدل أو عراك مع السفهاء والحمقى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهمية الخطابة :

للخطابة قيمة عالية ودور عظيم في حمل الناس على تبني الأفكار البناءة ، وهذا يعتمد على قدرة الخطيب البيانية في مخاطبة الجمهور بالإضافة إلى تشخيصه السليم لذهنياته واتجاهاته ، إذ أن تعدد إتجاهات الناس وميولهم أمر بديهي كما قال تعالى : «ولكل وجه هو موليها»[٧] وإزاء هذا التعدد في الاتجاهات تحدث المحاورات والمناقشات الكلامية ، والعاقبة الجيدة هي لأولئك الذين يتكلمون بالحقائق ويلتزمون بها ويدعو إليها «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين»[٨]!

وإذا تعارف الناس على مواجهة خصومهم بشهر السلاح في وجوههم وإخضاعهم لما يريدون ، فإن سلاح الخطابة قد يكون أبلغ وأجدى في التغلب على الخصم ولهذا أكّد الإسلام

---

(١) الحوفي : فن الخطابة
(٢) سورة ص/٢٠
(٣) ص/٢٣
(٤) طه/٩٥
(٥) المؤمنون/٢٧
(٦) الفرقان/٦٣
(٧) البقرة/ ١٤٨
(٨) فصلت /٣٢

على استعمال الحوار الهادف من خلال الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة حتى يكون كما قال تعالى : «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم»(١).

وعند استقراءنا لماضي الأمم فإنا لا نجد سجلاتها خالية من الخطابة «فقد حفظها خط آشور المسماري وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفي ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي منذ القرن السابع قبل الميلاد ، وبها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعاليمه ، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الاسلام وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص»(٢).

ومما يؤكد أهمية الخطابة ومنزلتها وقوتها في التأثير على ذهنيات الآخرين واستمالتهم نجد النبي موسى عليه السلام يتضرع إلى الله ويطلب منه أن يرسل معه أخاه هارون لأنه صاحب لسان فصيح وحجة قوية يعينه على مواجهة بني إسرائيل والتغلب عليهم . قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : «وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون»(٣). بل إن كل الناس يمارسون الخطابة بدرجات مختلفة من المهارة وبصورة شتى وكما يقول أرسطو : «إن كل الناس يلجأون إلى الخطابة والجدل بدرجات متفاوتة ، وبعض الناس يمارس الخطابة والجدل فطرة وسليقة ، وبعضهم الآخر يمارسها بالمرانة التي اكتسبها من مقتضيات الحياة»(٤).

وعلى أي حال ، تبقى الخطابة وظيفة صعبة لا ينالها راغبها بيسر وسهولة ، فراكبها لابد أن يتوفر على درجة عالية من الصبر وبذل الجهد في مجالي الفكر والجسد ، فهو بالإضافة إلى مؤهلاته الذاتية ، يحتاج إلى المعايشة المستمرة للمكتبات والتنقل من مكان إلى آخر ، ومن مكتبة إلى أخرى من أجل العثور على هذا المصدر أو ذاك ، ناهيك عن ردود الفعل جراء ملاحظات المستمعين وانتقاداتهم .

---

(١) فصلت /٣٤

(٢) الحوفي : فن الخطابة ، ص ٤١

(٣) القصص /٤٤

(٤) الخطابة لارسطو/ ٩٠ ترجمة الدكتور ابراهيم سلامة نقلاً عن الخطابة للعاملي ص ٣١ نقلاً عن فن الخطابة ص ١٠

الخطابة في الجاهلية .

عرف العرب منذ جاهليتهم بأنهم أهل فصاحة وبيان وإن الخطابة كانت عدتهم في كثير من مواقفهم الاجتماعية والسياسية[1]. وذكر الجاحظ ما يؤكد هذه الخصيصة لديهم حين قال : «وكانت الخطابة فيهم طبيعية وقريحة كالشعر ، لا تحملهم عناء ولا تكلفهم رهقاً ، وكانوا يدربون فتيانهم في حداثتهم ، ولهم بها عناية خاصة ، فحفظوا بعض الخطب وتناقلوها ووضعوا لها الأسماء ، شأنهم حينما سمّوا بعض قصائدهم المعلقات ، فقد ذكروا من خطب العرب : العجوز ، وهي لآل رقية ، ومتى تكلموا فلابد لهم منها أو من بعضها ، والعذراء ، وهي خطبة قيس بن خارجة»[2].

الخطابة الاسلامية في صدر الاسلام

إذا كانت الخطابة عدة أهل الجاهلية ، كما يقول الدكتور نايف معروف ، في كثير من مواقفهم الاجتماعية والسياسية فأصبحت مهمة الدعوة إلى هذا الدين الجديد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ومما يسَّرها لهم أكثر تعلمهم للقرآن الكريم ، والذي هو المعجزة البلاغية ، إذ أعطاهم فصاحة إلى فصاحتهم . وقد أدت الخطابة دوراً مهماً في صدر الإسلام خاصة وإن الكتابة ونسبة المتعلمين لها كان قليل جداً ، علماً ان الاعلام الرسالي الجديد متوقف عليها .

وكان لخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دور كبير في تغيير ذهنيات الناس آنذاك ، ولأجل هذه الغاية السامية أخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبعث الرسل إلى الملوك والقياصرة ليخاطبوهم بالاسلام ويدعونهم إلى دين الله ، وعلى هذا المنهاج سار الخلفا الراشدون .

وأنا في هذا البحث لا أريد أن أستقرىء تاريخ الخطابة ونشأتها ورقيها وانحطاطها ، وأ أكتفي بهذا التمهيد لأنتقل إلى موضوع البحث وهو «اسلوب الوائلي في فن الخطابة» والذي تطور للمجالس الحسينية التي برزت بوادرها في العصر الأموي بعد مقتل الحسين بن علي بن طالب عليهم السلام في محرم من سنة ٦١ هـ ، بعد أن توفي معاوية وتولى الخلافة بعده ، عهده ، ابنه يزيد .

---

(١) معروف : الادب الاسلامي في صدر الاسلام ص ١١
(٢) الجاحظ : البيان ١/١٢٦، ٢٧٤ نقلاً عن الأدب الاسلامي ص ١١

الخطابة والمنبر الحسيني

للشيعة الامامية أسلوب من أفضل الأساليب التي استخدمت لنشر الوعي الاسلامي وتركيز متبينات العقيدة الربانية في أذهان المسلمين ، وذلك عن طريق المنبر الحسيني الذي ينصب في شهر محرم حيث فاجعة كربلاء باستشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

الدوافع التي دعت إلى انتشار هذا اللون من الخطابة

ومنشأ هذا التوجه هو البكاء على أبي الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام ، الذي قتل على يد يزيد بن معاوية ومُثّل بجسده الشريف ، وقطع رأسه وحمل من كربلاء إلى الكوفة في العراق ثم إلى الشام ، وأخذت نساؤه وأخواته وبناته سبايا يُطاف بهن من بلد لى بلد حتى رجعن إلى المدينة . والشيعة الامامية يرون في إقامة المآتم والنياحة على الحسين محبوبية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال : «حسين مني وأنا من حسين»[1]. إذ إنهم يعزونه بهذا المصاب الجلل الذي أبكى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته . إذ جاء في الروايات عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : دخل الحسين بن علي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحى إليه فنزا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منكب ولعب على ظهره ، فقال جبريل لرسول الله أتحبه يا محمد ؟ قال : يا جبريل ومالي لا أحب إبني ؟ قال : فإن أمتك ستقتله من بعدك فمدّ جبريل عليه السلام يده فأتاه بتربة فقال : في هذه الأرض يقتل إبنك هذا يا محمد واسمها الطف ، فلما ذهب جبريل عليه السلام أخبرني إن الحسين إبني مقتول في أرض الطف ، وإن أمتي ستفتن بعدي ، ثم خرج إلى أصحابه وفيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفه وعمار وأبو ذر رضي الله عنهم وهو يبكي ، فقالوا : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرني جبريل ان ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة وأخبرني ان فيها مضجعي[1].

وطبيعي جداً أن يكون الصحابة قد شاركوه البكاء والحزن على مصاب الحسين ، وبهذا يعتبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو المؤسس الأول للمآتم الحسيني .

---

(١) معجم الطبراني ـ ترجمة الحسين ج٤٨ ص ١٢٣

وبعد استشهاد الإمام أخذ الأئمة من ولده يحثون محبيهم ومواليهم على إقامة المآتم لما في ذلك من الأجر والثواب فالإمام السجاد علي بن الحسين الذي شهد الواقعة ولم يشارك فيها لعلة أصابته كان كثير البكاء لمصيبة أبيه الحسين علي السلام ، حتى قيل انه كان إذا مر بقصاب وهو يذبح شاة يسأله يا هذا هل سقيت الكبش ماء ؟ فيقول له القصاب ، نعم ، فيقول عليه السلام : إن الكبش لا يذبح حتى يسقى الماء وقد قتل أبي الحسين عطشاناً . ولكثرة بكائه قال له أبو حمزة الثمالي أما آن لحزنك أن ينقضي ؟ فقال : يا أبا حمزة إن يعقوب عليه السلام قد فقد ولداً واحداً ، وله أحد عشر ولد ، وهو لا يزال على قيد الحياة ، فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، وأنا رأيت مصرع أبي وسبعة عشر من اخوتي وأبناء عمومتي صرعى مجزرين في عرصات كربلاء وتريد مني أن أكف عن البكاء ، لا يكون ذلك أبداً .

وكان الإمام الباقر بن الإمام السجاد يترحم على شيعتهم الذين يقيمون المجالس الحسينية ، فقد جاء في الأخبار انه قال : «رحم الله شيعتنا لقد شاركونا بطول الحزن على مصاب جدي الحسين». وكذا كان ولده الصادق عليه السلام الذي قال لبكر بن محمد الأزدي : «تجلسون وتتحدثون ؟ قال : جعلت فداك . نعم ، قال : إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا ، رحم الله من أحيا أمرنا».

كما شجع الامام الكاظم بن الامام الصادق الناس على زيارة قبر الحسين عليه السلام وإقامة المآتم عنده الأمر الذي حدا بهارون الرشيد إلى أن يهدم القبر الشريف عام ١٨٣هـ[1].

وحكى دعبل الخزاعي قال : دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام (يعني أيام عاشوراء) فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب ، وأصحابه من حوله ، فلما رآني مقبلاً ، قال لي : مرحباً بك يا دعبل ، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه ثم وسّعَ عليَّ في مجلسه ، وأجلسني إلى جنبه ثم قال لي : يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً ، فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعداءنا . يا دعبل من بكى وأبكى على مصابنا ولو كان واحداً فأجره على الله . ثم إنه عليه السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين نساءه وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين ، ثم التفت إليَّ وقال يا دعبل إرث الحسين أنت مادحنا وناصرنا فلا تقصر عن نصرتنا ما دمت حياً ، قال دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي فأنشأت[2] :

---

(١) مجلة المنطلق ، العدد ١٧ ص ٦٧

(٢) الأمين : المجالس السنية ٣٨/١

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذاً للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي ياابنة الخير واندبي نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخّ نالها صلواتي
وأخرى بجنب النهر من أرض كربلاء معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشى بالفرات فليتني توفيت فيهم قبل حين وفاتي

هذا والرضا يبكي والنساء تبكي ، قال دعبل فلما وصلت إلى هذين البيتين علت أصوات النساء بالبكاء وصحن واامحمداه ، والبيتين هما :

بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله منهتكات
بنات زياد في الحصون منيعة وآل رسول الله في الفلوات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تطور المآتم

وقد طرأ على المأتم الحسيني جملة تطورات مهمة منها الطابع الجماهيري واشتراك الموالف والمخالف في المجلس وهذه تدل على اتساع المآتم ، كما ان الرثاء أصبح ظاهرة بارزة ومهمة في هذا الجانب ، إذ ان قصائد الرثاء كانت تنشد بنبرات حزينة تثير الأشجان وتستدر الدموع .

ومما يساعد على تبلور المجلس الحسيني هو التأكيد على زيارة القبور ومنها قبر الحسين عليه السلام إذ الوارد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها ترقق القلب وتذكر الآخرة»(١)، فكانت المجالس تقام حول القبر ، ومن الأخبار التي تؤكد ذلك ما ورد عن الشريف الرضي أنه جاء لزيارة قبر الحسين في كربلاء سنة ٣٨٦ هـ حيث شاهد الجماهير المحتشدة عند القبر المطهر تبكي فهرع إليها مهرولاً وهناك رثى الحسين بقصيدته المشهورة والتي منها :

كربلا لا زلت كرباً وبلا مالقى عندك آلُ المصطفى
كم على تُربك لما صُرّعوا من دم سال ومن دمع جرى

(١) البوطي : فقه السيرة ، ص ٤٧٤
(٢) ديوان الشريف الرضي ص ١٠٢

يارسول الله لو عاينتهم وهُمُ ما بين قتل وسْبا
من رميضٍ يُمنَعُ الظل ومن عاطش يُسقى أنابيب القنا
ومَسُوقٍ عائِرٍ يُسعى به خلفَ محمولٍ على غير وَطَا
لرأت عيناك منهم منظراً للحَشى شجْواً وللعين قَذَى
ليس هذا لرسول الله ، يا أمةَ الطغيان والبغي جزا
جَزَروا جزر الأضاحي نسله ثم ساقوا أهله سوق الإما

خطابة المنبر الحسيني تحسين لشكل المراثي

خطابة المنبر الحسيني هي ليست حصيلة تطور لفن الخطابة ، بل هي عملية تطور وتحسين لشكل المراثي الحسينية التي كانت مألوفة ـ والمتطور في شكلها هو ، بالاضافة إلى قصائد الرثاء ، أن يتحدث الخطيب عن أسباب الثورة ودوافعها ونتائجها ، أي الالمام بأحداثها ، وما جرى على أهل بيته بعده ، ثم صار الأمر عند بعض الخطباء إلى استنتاج الدروس والعبر منها ، وكشف فضائح الظالمين ليس في عصرهم فحسب ، بل في كل العصور التي مرت مستشهدين بالقصص القرآنية وقصص السيرة .

أوقات المنبر الحسيني

وكما ان للخطب العامة مناسباتها ، فإن لخطابة المنبر الحسيني مناسبات وأوقات هي شهر محرم حيث زمن الفاجعة ، ثم الأربعين والتي تصادف في العشرين من شهر صفر . ولما لهذه المجالس من دور في توعية الأمة ، دأب المخلصون من أبناء الاسلام على إحياء ليالي شهر رمضان بالمجالس أيضاً ، حيث ينتدب لها الخطباء المبرزون ليقوموا بدورهم في تركيز المعاني الروحية وتبيان معطيات شهر رمضان المبارك بالاضافة إلى الدروس القرآنية وأحداث شهر رمضان في زمن صدر الاسلام .

وفي وقتنا الحالي ، فإن الدكتور أحمد الوائلي له دور مشهود في هذه المواسم .

أسلوب الوائلي في فن الخطابة

امتاز الدكتور أحمد الوائلي على سابقيه بميزات جعلته ينفرد باسلوب خاص أصبح يسمى باسمه أو بمدرسة خاصة في خطابة المنبر الحسيني إذ أصبحت تسمى (بمدرسة الوائلي في الخطابة) وذلك لتوفره على مواصفات نقل بها المنبر من حالة إلى أخرى . وأهم هذه المواصفات هي :

أولاً ـ التنوع بابعاد المعرفة : إذا أخذنا قطعة لخطيب ما قبل تألق الوائلي ، فإنا لا نشكو من إلقاءها أو عرضها وإنما نشكو من محتواها ، إذ ان الخطباء السابقين ما كانوا ليلتزموا بوحدة الموضوع ، رغم النقلة النوعية الهائلة التي أحدثوها في هذا المجال بالتعرض إلى ثورة الامام الحسين عليه السلام وتوضيح أسبابها ونتائجها . بل تعدوا ذلك إلى تبيان أصول الدين ودروس قرآنية ومواضيع عامة أخرى . أما اسلوب الوائلي فيتسم بوحدة الموضوع في البحث . وهذا يحتاج الى جهد كبير يبذله الخطيب ليلم بمعطيات موضوع البحث . وبالتالي لابد من الجمع بين العلوم الاسلامية والحديثة . والوائلي الذي تتلمذ على أيدي أساتذة أكفاء في جامعة النجف الاشرف ومتابعته للدراسات العليا في جامعة بغداد والقاهرة اكسباه مهارة وقدرة في الهيمنة على ذهنيات المستمعين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كيف حصل الوائلي على هذه المعرفة:

حصل الوائلي على هذا التنوع لتوفر ما يلي :

أ ـ الاستعداد الفطري : بالرغم من الاهتمام المتزايد بفن الخطابة منذ القدم لايجاد خطباء من ذوي القدرات الفائقة لممارسة هذه المهمة الصعبة ، بالرغم من كل ذلك يبقى للاستعداد الطبيعي ، أي إمكانات الخطيب الذاتية ، دور فعال في نجاح الخطيب بمهمته .

فالخطابة موهبة قد يتوفر عليها انسان ولا يتوفر عليها آخر ، وهذا الاختلاف في المواهب والرغبات ضرورة حياتية شخصتها السماء فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : «ولكل وجهة هو موليها»[1] وقال تعالى : «وإن سعيكم لشتى»[2].

وهذه الميول والرغبات لا يمكن قهرها بسهولة وإحلال غيرها مكانها ، وإنما تواصل عملها وتفعل فعلها إذا توفرت لها الظروف الموضوعية . فقد يمارس الانسان عدة وظائف لكن النتائج التي يحصل عليها لا يمكن أن تكون متساوية ، بل تجد النتيجة الجيدة في حصيلة وظيفة من هذه الوظائف ، وهي التي يهوى . والوائلي الخطيب كان الاستعداد واضحاً عنده يؤكده ارتقاؤه منبر الخطابة وهو ابن عشر سنين ، وانخراطه في الحوزة دون الاستمرار في دراستها العليا لنيل درجة

---

(١) البقرة/١٤٨

(٢) الليل /٤

الاجتهاد ، التي كان بوسعه الوصول إليها لما عنده من مؤهلات تيسر له ذلك ، رغبة في الخطابة ، ولعل الدوافع لذلك هو شعوره بالفراغ الموجود في هذا المجال ، بالإضافة إلى ما للخطابة من قدرة على دعوة الناس إلى الالتزام بدين الاسلام ودرء الشبهات عنه وفي هذا الثواب الكبير عند الله الذي يغري كل انسان لديه من الامكانات التي تجعل منه خطيباً ناجحاً .
وفي هذا المعنى يقول السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، «لئن أكون خطيباً ناجحاً أفضل عندي من أن أكون مرجعاً»(١) واستعداد الوائلي بالفوز بهذه المهمة كان بارزاً ليس في إمكاناته العلمية فحسب وإنما بطريقة أدائه وحسن صوته كما سيجيء .

ب ـ المثابرة والصبر : عندما يباشر الخطيب عمله الرسالي في فن الخطابة ، فإنه لا يمكن أن يقفز بين عشيّة وضحاها ليكون خطيباً محترفاً ، بل يحتاج إلى مواصلة وبذل جهد . ومع كل هذا قد تحدث ثغرات في خطابته بين فترة وأخرى ، يحتاج الخطيب الهادف إلى مزيد من المثابرة والصبر وعدم التراجع ، إذ قد تحدث «منبسطات في منحنى الخطابة»(٢) كما يقول علماء النفس تولد شرخاً كبيراً في اندفاع الخطيب تحول دون الاستمرار في هذا الميدان المهم . لهذا نجد كثيراً ممن مارسوا هذا الفن قد تساقطوا في الطريق لأنهم لم يتمكنوا من اجتياز هذه «المنبسطات».

فالخطيب الناجح ، الذي يتوفر على معرفة عميقة بأدوات عمله ومثابرة متواصلة في الاستزادة منها ، هو الذي يقوى على صهر المنبسطات وتذويبها بإرادته العالية وسمو الهدف الذي يسعى لتحقيقه من خلال هذا الفن .

إن الاستسلام لليأس حين مواجهة المطبات ظاهرة سلبية في عالم الخطابة وقد استشرت كثيراً ، فقد ارتقى المنبر عدد كبير من المفوَّهين إلا أنه لم يكتب لهم الاستمرار في إرتقائه وذلك لعدم تحملهم المطبات التي يمرون بها(٣)، ولهذا نجد حوزة النجف الأشرف في العراق قد خرَّجت علماء متفقهين أكثر من علماء خطباء ، وإن عدد الخطباء ضئيل جداً لا يكاد يشكل أي نسبة أمام الفنون والنشاطات الأخرى التي تمارس دورها في ترشيد المستوى الثقافي من كل جوانبه .

---

(١) العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب من الخطباء والمحققين

(٢) دايل كارينغي : فن الخطابة ، ص ٦٤

(٣) قيل لعبد الملك بن مروان : عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين . قال : وكيف لا يعجل علي وانا اعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة او مرتين . أو قال : شيبني صعود المنابر وخوف اللحن .

أما المثابرة في شخصية الدكتور الوائلي فهي الصفة البارزة فيها ، والمثابرة عند الوائلي تعني المتابعة للمصادر العلمية ، وتلقف كل جديد يخدم المصلحة العامة للعمل به وتبليغه للجماهير ، والمثابرة في قاموس الوائلي تعني احترام الوقت وهذا عين الالتزام بمبادىء الدين الحنيف . فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «اغتنموا خمساً قبل خمس : فراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك»[1]. ومما يدل على مثابرته وحرصه على الوقت هو عدم نومه بعد صلاة الفجر وانكبابه على المطالعة ، وتنظيمه لأوقات الزيارات والواجبات الاجتماعية . والمعروف عن الوائلي انه يطارد الوقت ويشتكي من ضيقه وقصر الأيام وسرعة مرورها . فالخطيب الناجح والذي يحترم نفسه ويحترم هذه الوظيفة لابد ان يكون حريصاً على وقته .

هذا عن مثابرته ، أما عن تحمله وصبره على مكاره المنبر ، وليس للوائلي مكاره فيه ، لأنه أمسك زمام المنبر فلا يشكو من لحن ولا يضعف من عزمه مستوى المستمعين الثقافي العالي ، وإنما يشكو من صعوبة التوفيق في الحديث مع جمهور يضم شرائح مختلفة من المجتمع . فمجلس الوائلي يحضره استاذ الجامعة والطبيب والمهندس والعامل البسيط والفلاح والكسبة ، وهؤلاء يختلفون إختلافاً كبيراً في قابلية الادراك وسرعة الاستيعاب إلا أن إمكاناته العلمية وصبره ولّدا عنده القدرة في الاستعلاء على هذه الصعوبات .

فالوائلي لم يك معلم أطفال أو إمام مسجد يدرس مستمعيه وتلاميذه مسائل فقهية أو يعلمهم قراءة القرآن الكريم وإنما الوائلي خطيب يشخص أمراض المجتمع ويصف لها الدواء بعيداً عن الترف الفكري والثقافي ، يريد بذلك أن ينهض بالأمة لتعي دورها التي خلقت من أجله وتمارس مهامها الربانية ، يريد بذلك أن ينتشلها من حالة الضياع التي هي عليه بفعل سيطرة الثقافة الكافرة عليها . فكان دائماً ما يتحرق ألماً لحالة الأمة المتهرئة وينذر من شر العاقبة الوخيمة ، وكثيراً ما يلقي باللائمة على أبنائها المثقفين ، فيخاطبهم بكلمات هادئة واعية لأن يتحملوا مسؤولياتهم ، وقد لا يتمالك نفسه في كثير من الأحيان فيصرح بكلمات ، كأن يضع روحه على راحته ويطلقها إلى الجماهير ، فهو ما كان ليسب زيد أو عمرو حاشاه من ذلك إلا أنه كان يدعو إلى الحق ولكن أكثرهم للحق كارهون .

---

(١) مجموعة ورام : ص ٤٦٨

ج ـ إيمانه العميق بالفكر الذي يدعو له : شهدت الحياة الانسانية وعلى مرالعصوركثيراً من المحدثين والخطباء الذين ارتقوا المنابر وواجهوا الجماهير واستمالوهم إلا أن دوافع ذلك لم تكن صميمية عند معظمهم . فقد يكون للمال والجاه والمنصب دور كبير في نصرة هذا النظام أو ذاك أو هذه الفكرة أو تلك . أما الخطيب الاسلامي فهو الذي استوضح الدين ودعا إليه . قال تعالى : «قُلْ هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن إتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين»[1]. الخطيب الاسلامي هو الذي أخذ الدين بقوة . فطبقه على نفسه ثم سعى إلى نشره لأن مدرسة الاسلام مدرسة التطبيق والعمل ، فالأخذ بقوة والدعوة بقوة من مهمات المغير ، وهذا ما أمر به الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قائلاً : «يا يحيى خذ الكتاب بقوة»[2]. وهذه المهمة لا ينفرد بها الخطيب ، وإن يكن أقدر عليها ، إلا أن الأمة مسؤولة عن ذلك خدمة للعقيدة، ولهذا تتعد ممارسات الناس الذين ينتمون إلى عقيدة واحدة ، لخدمة هذه العقيدة ، لتعدد مجالاتها وشعوراً منهم بالمسؤولية يكون التنافس في دفعها إلى الأمام ، والاستعلاء على المصاعب مهما كانت .

فليس عبثاً أن يقف ابراهيم عليه السلام بين أكوام الحطب متحدياً أساليب نمرود ، ولا تعنتاً أن يبقى محمد ﷺ مصراً على عدم التنازل لقريش ويخاطب عمه (أبا طالب): والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه[3]. ولا إنتحاراً أن يبرز علي بن أبي طالب لفارس الجزيرة العربية عمرو بن عبدود العامري ، وإنما الذوبان في العقيدة والفهم الواعي لها هو الذي دعاهم للدفاع عنها وجعلهم يسترخصون البذل في سبيل ديمومتها وخلودها ، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا وهذا شأن الربانيين الذين قال عنهم الباري عز وجل في كتابه الكريم : «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين»[4]. إنهم عرفوا الله وأيقنوا بالثواب الكبير عنده فهانت عليهم نفوسهم رجاء لخلود العقيدة ورفعة للأمة التي تحملها . فهناك بوناً شاسعاً بين إنسان يريد في مقابل جهاده وعمله التضحوي والعلمي ان يخلِّد نفسه وتبقى شهرته وبين من يريد وجه الله .

---

(١) يوسف /١٠٨

(٢) مريم /١٢

(٣) هارون : تهذيب السيرة . ص ٥٠

(٤) آل عمران /١٤٦

والدكتور الوائلي هو امتداد لنسل حماة المسيرة الربانية والمدافعين عنها ، فهو بفعل ما توفر على شهرة واسعة تأتيه العروض من أرباب المجالس في الخليج العربي إلا أنه كان يعتذر لهم ، وذلك لأن همه أن يوصل كلمته الهادفة إلى أوسع قطاعات الأمة . فالتغيير والأثر المترتب عليه وهو مرضاة الله مبتغاه[1]. وهذا توجه اسلامي محمود ، فقد جاء في الروايات أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعث علياً عليه السلام قاضياً إلى اليمن فاعتذر له لعدم معرفته بأهلها فقال له يا علي : «لو أن الله هدى بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس». ونقل هذه العبارة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه فقه السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي في يوم خيبر . إذ ورد في الكتاب : «فقال عليه الصلاة والسلام أنفذ إليهم حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمرِ النعمَ . ثم خرج فقاتل ، فكان الفتح على يديه»[2]

وهذا العمل الشاق لأنه يحتاج إلى معرفة ذهنيات الناس وميولهم ، فقد يصبح من اليسير على الخطيب أن يتحدث الى شريحة واحدة من الأمة يعرفها ويعرف ميزاتها ومستوى ذهنياتها وحاجاتها ، أما إذا تعددت الشرائح في مجلس واحد فيصبح ليس من الميسور مخاطبة ذهنيات متعددة ، قال افلاطون : «لكل أمر حقيقة ، ولكل زمان طريقة ولكل إنسان خليقة ، فعامل الناس على خلائقهم والتمس من الأمور حقائقها ، وأجرِ مع الزمان على طرائق»[3].

د ـ الهدفية في اسلوب الوائلي : التنوع بأبعاد المعرفة لدى الوائلي لم يكن هواية عنده ولا حبه للاطلاع ، وإنما تجسيد للهدفية التي كان يعيشها ـ إذ كان يهدف إلى توعية الجمهور وتثبيت الأيمان في قلوبهم ، وحتى يُحقق أهدافه يغور الوائلي فيما يقدم لهم من بحوث ومواضيع مدروسة ومهيأة قبلاً . ولهذا تجدك تحس باختلافها من مجلس لآخر ، فللذهنية المستمعين دور كبير في اختياره للمادة موضوع البحث ، ولأنه يحمل روح الهدفية ترى التجديد واضحاً في أبحاثه .

وعندما تتابع مجالس الوائلي تستطيع أن تكتشف فيها بعداً آخر ألا وهو نقل المستمع من الدنيا التقليدية في فن الخطابة إلى العصر بما يحمل من أفكار .

---

(١) له اليد الطولى في إخراج كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده للسيد عبد الزهراء الحسيني . كما أشار لذلك المؤلف في ص١٤ ط٢ ومعنى هذا انه ينشد الخير في اكثر من مجال .

(٢) البوطي : فقه السيرة ص ٣٣١

(٣) ابو زهرة : الخطابة ، ص ١١

وحيث تعرض الفكر الاسلامي لهجمات فكرية يراد منها النيل من الاسلام وتلويث أذهان المسلمين بها ، عمد الوائلي إلى مناقشة هذه الأفكار المستوردة مناقشة هادئة بعيدة عن التعصب .

ولم يقف اسلوبه عند هذا الحد ، فهو بالاضافة الى تفنيده للنظريات الوضعية المعاصرة ودحرها لا يغفل القضايا العلمية في الشريعة الاسلامية وعلاقتها بالتطور التكنولوجي الحديث ، كل ذلك بفضل ما يملك من رصيد معرفي ضخم أعطاه هيبة ثقافية في نفوس مستمعيه .

هـ ـ **البيئة** : نشأ الوائلي في مدينة النجف وهي حاضرة عظيمة للعلم والعلماء منذ مئات السنين ، فالجو الشائع فيها هو الجو الثقافي حيث تتوفر فيها المكتبات الكبيرة ودور النشر مما يلبي طموح ورغبات الوائلي الذي كان ولا يزال له ميل منقطع النظير نحو متابعة نتاجات العلماء والمؤلفين ، كما إن توجهه الخطابي هذا يملي عليه أن يكون ملماً إلماماً كبيراً بحاضر العلوم اضافة الى المصادر الأساسية التي يعتمد عليها في تبيان المطالب الذي يبحثها من على المنبر، ونشعر بميله الشديد وحاجته الى الثقافة إذا ما علمنا أنه يمارس عمله التوعوي ثلاثة أشهر في السنة (شهر رمضان ، محرم ، صفر) إضافة الى المناسبات في بقية الشهور ، والتهيؤ والأعداد لأحياء هذه الاشهر أمر صعب ، خاصة وقد يصل معدل المجالس اليومية فيها (٢ـ٣) .

فالبيئة هيأت له كثير من مستلزمات الخطابة وشدته إليها ، . كما إنَّ البيئة هي التي ربَّت فيه هذا الفن فوالده كان خطيباً ، والمسابقات الأدبية التي كانت تعمل عملها في دفع الناشئة الى المطالعة والكتابة قد أثرت في تقدمه كثيراً وتشجيعه على المضي في هذا الفن ، إذ حاز على الجائزة الاولى في المسابقة التي جرت للأطفال في حفظ خطبة الزهراء عليها السلام ، كما إن مدينة النجف كانت تحيي المناسبات الدينية وخاصة في شهر محرم ، فإذا عرفنا هذا ندرك مدى تأثير البيئة في تنمية مواهبه وتعميق معرفته .

و ـ **الذكاء والحافظة القوية** : ذكرنا فيما مر أن الوائلي استطاع أن يفوز بمسابقة حفظ خطبة الزهراء وهو في الصف السادس الابتدائي ، وهذه الخطبة التي تقدر بثلاثين صفحة لا يمكن حفظها لأي طالب في سِنِّه ، لا بل وأكبر من سِنِّه بفترة زمنيّة لا تتجاوز الأسبوع .

وذكاء الوائلي دعاه إلى ان يفكر بطريقة جديدة في العرض ، لا بل استحدث اسلوباً جديداً في العرض . أما حافظته القوية مكنته من سرد الأدلة والحجيج لما يطرح وبدون تلكؤ أو تباطؤ . ومن الجدير بالذكر أن الوائلي نفسه يرى أن من مواصفات الخطيب الناجح أن يتوفر على حافظة قوية . فالخطيب الذي يمتلك حافظة جيدة يكون لبقاً ويمكنه ان يتلاعب بالألفاظ ليشد السامعين إليه .

وإذا ذكرنا قابلية الوائلي على الحفظ نذكر حفظه لغالبية ما جاء في كتاب الله العزيز ، وهذا ما أعطاه هيبة في نفوس مستمعيه ، إذ أن من قوة الخطيب الاستشهاد بآي الذكر الحكيم عند البحث والتحدث الى الناس . وخير شاهد على ذلك ما أورده الجاحظ في البيان والتبيان حيث قال : «حدث عمران بن حطّان الخطيب الخارجي فقال : خطبت عند زياد خطبة ظننت إني لم أقصر فيها عن غاية ، ولم أدع لطاعن علة ثم مررت ببعض المجالس ، فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن»(١) .

ز ـ نظمه للشعر : قد تتوفر للانسان العادي ملكة الخطابة أو ملكة الشعر أو ملكة أخرى ، أما أن تكون ملكة الخطابة وملكة الشعر لأنسان فهذا الأنسان الموهوب والمؤهل للريادة في ميدان عمله ، والوائلي وإن لم يكثر الاستشهاد بشعره في حديثه إلاّ أن موهبته الشعرية جعلته أقدر على إنتقاء القصائد الشعرية المؤثرة أو الأبيات محل الأستشهاد .

يغلب على شعر الوائلي الحماس وبث الشكوى والجرأة في مواجهة الباطل والدعوة الى يقظة المسلمين ، وهذه الجوانب تجدها واضحة أيضاً في خطابته .

ثانياً : الجرأة والصراحة في القول : وإن هذه الجرأة والحس السياسي العميق لدى الوائلي يدل دلالة واضحة على عمق المعرفة ونزاهة المهنة ، وخطيب يملك هذه المواهب لا بد أن تقدم له العروض . ومحاولات شراء الذمم وحتى الأساليب القهرية ، إلا أنها أستعصت على الوائلي بقي جبلاً شامخاً يأبى التنازل عن مبادىء الدين مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم قال لعمه أبي طالب : «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يُظهره الله أو أهلكَ فيه»(٢) .

فالجرأة عند الوائلي أن يحرص الخطيب حرصاً شديداً على أن يرفع وعي الأمة لأن تمارس دورها في الحياة وأن تعي مسؤوليتها كأمة مستخلفة على هذه الأرض ، وأجلى ما تكون ممارسة الخطيب لوظيفته هي بأماطة اللثام عن الحق ودحض الباطل ، وهذه مهمة صعبة ، خصوصاً وإنَّ بني الأنسان يعيشون صراعاً عنيفاً بين الحق والباطل ، فللحق أهل وهم قليلون وللباطل أهل وهم كثيرون ، والخطيب الجريء من يدافع عن الحق وهذه وظيفته ، وهي وظيفة خطرة قد تكلفه حياته .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ١٦٨/١

(٢) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة إبن هشام ، ص٥٠

والخطيب الناجح والمخلص لعقيدته هو من يملك الجرأة الكافية التي يستطيع معها أن يقول كلمة الحق في وقت ينتشر فيه الباطل والى هذا يشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» .

والجرأة من الخصائص البارزة في اسلوب الوائلي ، فهو يضمن كلامه كلمات واعية هادفة يريد منها تنبيه الأمة ويقظتها وتهيأتها لمواجهة محاولات الاسغفال وتمرير المؤامرات الدنيئة ضد إرادتها وعقيدتها . وأنت تجد المعاني بارزة في دواوينه الشعرية وإليك منها مخاطباً بغداد[1] .

بغداد جفَّ الربيع الطلق واحترقا ... وصوّح الروض لا زهراً ولا عبقا
كل إخضلال العصور الخضر حوّله ... يبساً هجيرُ لئيمٌ ألهب الأفقا
بغداد ساسك حكام وغاشية ... مَن سفَّ في حكمه منهم ومن سمقا
بغداد كانت هموم الناس أمنيةَ ... نشوى تخايل أسماراً ومغتبقا
واليوم عادت هموم الناس يحكمها ... ما غيّر الكل والأهداف والطرقا
أن تسترد شعوب آدميتها ... وأن يُردّ لها ما ابتز أو سرقا
ولا يؤله حكمٌ فاجر عبثت ... يداه بالشعب حتى بالدما غرقا
يا من أدار شؤون الناس في شططٍ ... من المقاييس لا عدلاً ولا خلقا
ومن رمتنا به الأيام إذ هزلت ... والأرض إذ أجدبت والدهر إذ بصقا
ما عندكم موضعٌ للشتم نشتمكم ... منه فأنتم مسوحٌ يابني الطلقا

إن الهظم الواعي للاسلام مكّن الوائلي من معالجة الأحداث السياسية والدينية التي مرت بالأمة الاسلامية ، بعقاقير إسلامية ما كانت لترضي أهل الباطل .

ثالثاً : معرفة نفسيات السامعين والتأثير فيهم : كخطيب خبر المنابر ، فإن الدكتور أحمد الوائلي أصبحت عنده قدرة على فرز نفسيّات المستمعين ،وهذه القدرة يسّرت له حسن إختيار المواضيع والبحوث التي يطرحها من خلال المنبر الحسيني ، كما أكسبته نفوذاً عالياً مكّنه من أن يملأ القلوب روعة ويهيمن عليهابكل مستوياتها ، إذ ان شهرته وسمعته قد أمدّاه بقابلية التأثير على أذهان الناس ونيل رضاهم وولدا له نفوذاً شخصياً كبيراً .

---

(١) الوائلي : الديوان الثاني ، من قصيدته : بغداد جف الربيع الطلق ص٣٩

والنفوذ الشخصي قد يتحصل «بالجبة والشعر» كما ورد عن باسكال إذ قال : «بضرورة الجبة والشعر للقادة ولولاهما لفقدوا ثلاثة أرباع نفوذهم[1]» أما الوائلي فقد حصل على هذا النفوذ بالهيبة الثقافية التي يحرزها ، فأصبح عَلَماً يرجع إليه في معرفة كيفية بناء الخطيب الناجح ، وصاحب مدرسة لها طلابها ومريديها . ولقد قيل فلئن جادت علينا الحياة بأبن سينا في الطب وسيبويه في النحو ، وملا صدرا في الفلسفة فقد جادت علينا بالوائلي في الخطابة .

ومن أهم العوامل التي ساعدت الوائلي على التأثير في نفسيات مسمتعيه أنه وُهب لساناً لَبِقاً وكما ذكرنا فالوائلي يمتلك ثروة ثقافية ضخمة بالإضافة إلى كونه شاعر رفيع المستوى . . كل هذا جعل البيان مطواعاً للسانه ومكنه من أن يعبر عن أفكاره بسهولة وحسب ما يلائم المقام ويبهر سامعيه . وقد جاء في الحديث الشريف «إن من البيان لسحراً[2] . فالكلمات تتدفق على لسان الوائلي بدون تكلف ومن دون أن يسعى إليها .

ومما أكسب الوائلي جماهيرية واسعة هو مراعاته لحالة مستمعيه ، إذ أنه يراعي المقام وما يقتضيه من إختصار أو إطناب ، فلئن ألفت الناس قديماً خطباً منها الطوال وأخرى قصار كما يقول الجاحظ «ثم اعلم أن جميع الخطب للعرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ، ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه[3] إذا كان هذا قديماً ففي عصرنا وكما هو الحال في الجامعات والمدارس فإن أذهان الناس عموماً لا تتقبل الأنصات أكثر من (٤٠ـ٥٠ دقيقة) .

فالوائلي يرى أن الخطيب الناجح هو من يلاحظ مستمعيه والاّ يغترر بما عنده من معلومات وإن كان مسيطراً على الجمهور ، وللوائلي في هذاالباب قول مفادهُ «إن مثل كثرة الحديث على الجمهور كمثل المعدة التي إذا امتلأت تزداد إضطراباً . . أو كما قال مُطرف بن عبد الله «لا تطعم طعامك من يشتهيه[4]» . يريد ألاّ تقبل بحديثك على من لا يُقبل عليك .

ولأيصال المفاهيم بسهولة ودون صعوبة يعمد الوائلي الى تجنب التعابير التقنية والمصطلحات الغريبة على أذهان السامعين ، لأنها قد تسبب الانزعاج والنفور ، كما إن استعمال

---

(١) الحوفي : فن الخطابة ص٥٧

(٢) الحوفي : فن الخطابة ص٧

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٦/٣

(٤) الحوفي : فن الخطابة .

المصطلحات الغريبة قد يدعو الى ضياع الوقت من دون جدوى . فالمنبر ليس منصة يلقي المدرس من عليها مادة الدرس ثم يناقش طلابه حول المادة ، وإنما هو مكان لطرح قضية من القضايا أو تبيان مفهوم من المفاهيم بأعلى ما يكون البيان والأيضاح من أجل غرسه في الأذهان .

رابعاً ـ جهارة الصوت وشجاوته : وهناك ميزة أخرى استطاع الوائلي أن يشدّ مستمعيه إليه ومتابعتهم له هي جودة الألقاء وحسن الصوت ، إذ ان من مواصفات الخطيب الناجح في العراق وإيران وبلدان الخليج هو ان يمتلك صوتاً شجياً يعينه على أداء المصيبة الفاجعة في نهاية المجلس على الأقل والوائلي يتوفر على هذه الميزة ، إذ هو صاحب الصوت الشجي الجهوري ، فلا يزال له من يقلده في أداء المرثاة .

خامساً ـ سمو الخلق : بقدر ما يمتلك الخطيب من مواصفات أخلاقية رفيعة يكون تأثيره أكبر في ذهنيات مستمعيه وتصرفاتهم ولهذا يقول أرسطو : «وأخلاق الخطيب نفسه تنتهي به الى الإقناع حينما تكون الخطبة محضوة بشكل يبعث على الثقة ، ويملأ نفس الخطيب بالطمأنينة ، وليس صحيحاً أن نصدق ما قاله الذين كتبوا في الخطابة ، من أنّ أمانة الخطيب ونزاهته لا دخل لها في الإقناع ، فنحن نقرر على عكس ما يقولون ، أن للصفات الخلقية التي يمتاز بها الخطيب أكبر الأثر في قوة الإقناع[1] .

ونحن قد عرفنا ان الوائلي قد نشأ وترعرع في مدينة النجف الأشرف حيث كبار العلماء والروحانيين بالإضافة الى بيته النظيف[2] ، إذا عرفنا هذا نعرف سمو أخلاقه ، فهو قد علّمَ نفسه قبل ان يعلم الناس فأصبح بحق معلم أخلاق ومربي وناصح .

أجزاء الخطبة

تتكون الخطبة عند الوائلي من ثلاثة أجزاء هي :

١ ـ المقدمة .

٢ ـ العرض .

٣ ـ الخاتمة .

---

(١) ارسطو : الخطابة ، ١٠١/١

(٢) نقل الوائلي مرة : أن أباه كان يهتم كثيراً بتهذيبه وفي يوم من الأيام افتقده أباه إذ خرج على أثر سماعه ضجيج في الحي فخرج مع من خرج من الأطفال ، فلما عاد عاتبه والده وحاسبه وعاقبه على ذلك ولا تزال آثاره على جسده .

١ ـ المقدمة : المقدمة من الخطبة تمهد لما بعدها ، وتهيء السامعين الى الإصغاء ، وكلما كانت المقدمة قوية وجيدة كلما كان الإصغاء أكثر والعكس صحيح .

والمقدمة تكون بمثابة إعلان للسامعين عما يجول في الخطبة ، وتشوقاً لمستمعيه فإنَّ الدكتور الوائلي يغري مستمعيه أكثر في مقدمته ، إذ كثيراً ما يقول وإن في البحث مواضيع أخرى أعرض لها بالتفصيل إنشاء الله . حينها يركز السامع ذهنه الى ما يعرضه في البحث . والمقدمة عند الوائلي تختلف حسب الموسم ، وكثيراً ما كان يبدأ مجلسه بأبيات من قصيدة رثاء في موسم محرم الحرام ، أما في شهر رمضان فإن الوائلي يبدأ مجلسه بآي من الذكر الحكيم أوبحديث و قول ثم يشرع بتبيان ما يريد إيصاله الى المستمعين .

٢ ـ العرض : من مؤاخذات الوائلي على الخطباء الذين سبقوه أنهم لم. يلتزموا بوحدة الموضوع ، كما إن من نقاط الضعف عندهم أنهم كانوا يتطرقون الى مواضيع شتى في الخطبة الواحدة ، ويرى ان على الخطيب عرض موضوعه متسلسلاً ، أي يسلم كل جزء الى ما بعده ، وهذا سيؤدي الى تحقيق النتيجة المطلوبة ، وهي إيصال الفكرة للجمهور بطريقة واضحة بعيداً عن اللف والدوران الذي يتعب المستمع ويجعل من المتعذر عليه إلتقاط كلام الخطيب .

وإليك ملخص لنموذج من خطبه المنبرية :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في كتابه الكريم : «ولقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» .

هذه الآية تحمل مجموعة من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحن بأمس الحاجة إلى التعرف على أخلاقه . والأخلاق ككلمة فيها أخذ ورد ، نيتشه الالماني يقول الأخلاق إخترعها الضعفاء للأحتماء بها من الأقوياء . وهي حرفة عاجز وضعيف لا يستطيع مواجهة عنف الحياة حتى تحميه من طغيان الأقوياء .فالأخلاق ليس لها أساس موضوعي ، بل الفقراء يحمون أنفسهم بقانون سموه الأخلاق ، وهو لا يؤمن الا بالقوة ، ويقول يجب على الضعفاء ألاّ يعيشوا بل يموتوا .

أما ماركس فيقول إن قانون الأخلاق اخترعه الأقوياء حتى يأكلوا الضعفاء فهو يغلف الظلم والجور بالأخلاق . ويقول أن الضعفاء ليس لهم حول ولا قوة وإنما يستغلهم الأقوياء . . . ويقول الوائلي هذه النظريات بمثابة كارثة . فالإنسانية بأمس الحاجة الى الأخلاق والمجتمع الذي لايحتوي على اخلاق يتحول إلى غابة ولا يمكن للإنسان أن يعيش في الحياة .

إن مهمة الشرائع السماوية هي الأخلاق وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». أما إذا أصبحت الحياة وسيلة لأن يأكل القوي الضعيف فيها فيكون وجود الأخلاق ضرورياً .

والأخلاق تأتي من التلقي ، إنما تصير عند الأنسان شخصية من التعلم سواء المباشر أو غير المباشر ، فالتلميذ يأخذ أخلاقه مثلاً من المعلم ـ وغير مباشر أي من الاسرة التي يعيش فيها كالوالدين ـ والأنسان يتعلم ذلك من دون توصية بل بممارسات الوالدين في الصدق والأنضباط والوفاء .

والشخصية تتربى من مجموعة مواقف تأخذها بالتلقي فجلفورد ـ وهو أحد دعاة المدرسة السلوكية ـ يقول الشخصية هي السمات المميزة للفرد .

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخذ أخلاقه من الله (القرآن) وهو القائل : «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» ، وكما ورد عن عائشة أنها قالت : «كان خلقه القرآن» ، ويستمر الوائلي بحديثه ويقول : فالآية تقول : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم ولها معاني منها ان الشعوب لا تتأثر بالمصلح الذي يأتيها من الخارج كتأثرها بابن بلدها ، لان المتربي بين أظهرهم يعرفونه ويعرفون أخلاقه ، فالقرآن يقول لهم إطمأنوا له لأنكم تعرفونه .

والمعنى الثاني أو الرأي الثاني هو أن الناس كانوا يتصورونه الأنبياء من جنس غير جنس الناس «وقالوا مال هذا الرسول يمشي في الأسواق ، والقرآن يقول لهم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منكم ، أما علوّه في التصرف فهو بسبب إلتزامه ، وهو القائل : «أنا إبن امرأة من قريش تأكل القديد» فالنبي إنسان في درجة القمة من الأنسانية ، والعصمة عنده نوع من التهذيب العالي .

والرأي الثالث : فإن هناك من يقرأها «لقد جاءكم رسول من أنفُسِكمُ» يعني أن الله أختاره إختيار فهو خيرة الخير . والشاعر يقول في هذا :

لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والآباء

ثم قالت الآية : «عزيزٌ عليه ما عنتم» (يعني الأرهاق والشدة) أي لا يكلفكم بالأرهاق

والشدة فهو لا يكلفكم كثيراً وحتى الصوم فهو رياضة روحية . . يقوي الارادة ويحكم الغرائز ، فهو ترويض على الفضيلة .

جاء في الروايات أن أحداً كان يؤدب أبناء الخلفاء العباسيين . وبعث أحدهم إبنه لتأديبه على يده . فقال المؤدب للبواب يوماً إذا جاء ولي العهد هذا فأوقفه على الباب ساعتين وإذا كنت تعطيه الطعام الساعة الواحدة اعطه بالثالثة ثم اضربه بالسياط . وفعل البواب ما قال له المؤدب إتجاه ولي العهد . ثم لما رجع الأبن إلى أبيه قصّ عليه الخبر ، فبعث الى المؤدب وقال له : ما هي دوافعك ؟ قال : إن هذا ولي العهد وله مستقبل إذ سيجلس بدائرته والناس عندهم حوائج فلكي يفكر بالناس درسته هذا المعنى عملياً ، وهذا منذ ولد الى الان لا يعرف معنى الجوع ، ولكي يقدر حالة الجوعان ولا يقسي على الجياع كان تأخير طعامه ، ثم علمته أن ضرب السوط يترك أثر في قلب المضروب . فقال الخليفة للمؤدب أنا اشكرك على هذه التصرفات الموزونة .

فالتكاليف الاسلامية لينة ليس فيها مشقة والصوم تربية وترويض .

وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «بالمؤمنين رؤوف رحيم» وذلك لأن الاسلام يهتم بالشفقة والرفق حتى بالحيوان والإمام علي عليه السلام يقول : «الناس صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» . فحتى أهل الذمة لهم حقوق المواطنة ، والاسلام إنما يقاتل الكافر لأنه لا يؤمن بالقيم .

فالأخلاق الاسلامية مهمتها خلق الإنسان المثالي وكان خلق الرسول هذا حتى مع الكافرين ، وجاء في الأخبار أنه دخل عليه يهودي فقال له : السلام عليك فأجابه وعليك . فالتفتت إلى إحدى نسائه وقالت له يقول لك كذا ، قال لها : «إرفقي فإن الدين الرفق» . والألفاظ تعجز عن التعبير عما كان يقوم به الرسول إتجاه المؤمنين إذ كان يبيت الليالي جائعاً ويقدم الطعام للبائسين .

٣ ـ الخاتمة : ثم ينقل الوائلي مستمعيه الى مأساة كربلاء فيقول والشبه الموجود بهذه الأخلاق بالإضافة الى الخلق كان عند علي الأكبر بن الأمام الحسين عليه السلام . لما برز إلى القوم رفع الحسين عليه السلام طرفه الى السماء قائلاً : اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان أهل البيت إذا اشتاقوا لرؤية الرسول نظروا الى علي الأكبر فقسمات وجهه تشابهه ، وكان كذلك في الأخلاق إذ كان يسعى في قضاء حوائج الناس ويوقد النار ليلاً ، فجمع صفات الرسول وفي هذا يقول الشاعر :

وجمع الصفات الغر فهي تراثه من كل غطريف وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر بإبا الحسين وفي مهابة أحمد

لما قتل علي الأكبر إنحدر إليه الحسين ومعه أهل بيته حتى وقف عليه ورآه مقطعاً بالسيوف إرباً إرباً فقال : يابني قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وعلى إنتهاك حرمة الرسول ثم استهلت عيناه بالدموع وقال : ولدي على الدنيا بعدك العفا ، أمّا أنت فقد استرحت من هم الدنيا وغمها وبقي أبوك لهمها وغمها .

فيالك من زكي طبت نفساً ويالك من دم طهر مراق
بني تركتني بين الأعادي ومالي مسعد بالنفس واقي
تقطع بالسيوف وأنت قلبي فهل أبقوا لقلبي فيك باقي

خاتمة البحث

لئن تعارف الناس في العراق على تقييم الخطيب بأنه من يتوفر على أوليات العلوم الأسلامية ويلم بأدب الطف إضافة الى الصوت الشجي . فإن الوائلي بفعل ما امتلك من مواهب وطاقات أصبح عالماً خطيباً ، وصاحب مدرسة في خطابة المنبر الحسيني . إلاّ ان المؤاخذات على الوائلي إنه لم يشرف إشرافاً مباشراً على تنمية هذه المدرسة واستمراريتها رغم الألحاح المتواصل من قبل المتأثرين بأسلوبه عن طريق السماع .

إن أسلوبه الفذ أصبح بحق مثلاً أعلى للخطباء لأنه رسم الصورة السليمة لتغذية المستمعين بالفكر النير ، ولهذا يقاس مستوى تألق الخطيب وهبوطه بقدر ما يتقن الخصائص التي وضعها الوائلي في خطابة المنبر الحسيني. وكلنا أمل أن يضغط الوائلي على وقته لمتابعة وتنمية الطاقات الموجودة لدى بعض الخطباء الناشئين من أجل تحقيق الاهداف المرجوة ، والله من وراء القصد .

مؤلفات جاهزة للوائلي :
١ ـ الاوليات في حياة الامام علي عليه السلام : (يتضمن ما لم يُسبق به الامام نظرياً وتطبيقياً من الامور) .
٢ ـ جمعيات حماية الحيوان في الشريعة الاسلامية : (يتضمن النصوص الاسلامية في حماية ورعاية الحيوان ونمط معاملته) .
٣ ـ الخلفيّة الحضارية لموقع النجف قبل الاسلام (يتضمن تحديد النجف جغرافياً وأنماط الحضارات السكانية التي توطنته وآثارها قبل الاسلام) .